



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا  
عليكم يا صابغ  
الرماد

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمّد أبو الفضل إبراهيم

( ٣ )

دار النهضة العربية  
بيبي الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٨	شرح نهج البلاغه المجلد ١١
٨	اشاره
١٠	اشاره
١٢	تتمه باب الخطب و الأوامر
١٢	اشاره
١٢	١٩٦ و من كلام له ع
١٤	١٩٧ و من كلام له ع كان كثيرا ما ينادى به أصحابه
١٦	١٩٨ و من كلام له ع كلم به طلحه و الزبير بعد بيعته بالخلافه
١٦	اشاره
١٩	[من أخبار طلحه و الزبير]
٣٠	١٩٩ و من كلام له ع و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين
٣٤	٢٠٠ و من كلام له ع فى بعض أيام صفين و قد رأى الحسن ابنه ع يتسرع إلى الحرب
٣٨	٢٠١ و من كلام له ع قاله لما اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومه
٤١	٢٠٢ و من كلام له ع بالبصره و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى
٤١	اشاره
٤٣	[ذكر بعض مقامات العارفين و الزهاد]
٤٧	٢٠٣ و من كلام له ع و قد سأله سائل عن أحاديث البدع و عما فى أيدي الناس من اختلاف الخبر
٤٧	اشاره
٥٠	[ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاه محمد ع]
٥٢	[ذكر بعض ما منى به آل البيت من الأذى و الاضطهاد]
٥٧	[فصل فيما وضع الشيعة و البكريه من الأحاديث]
٦٠	٢٠٤ و من خطبه له ع
٦٩	٢٠٥ و من خطبه له ع

- ٢٠٦ و من خطبه له ع ..... ٧١
- ٢٠٧ و من خطبه له ع ..... ٧٤
- اشاره ..... ٧٤
- أذكر بعض المطاعن في النسب و كلام للجاحظ في ذلك] ..... ٧٧
- أذكر بعض أحوال العارفين و الأولياء ] ..... ٨٢
- ٢٠٨ و من دعاء كان يدعو به ع كثيرا ..... ٩٩
- ٢٠٩ و من خطبه له ع خطبها بصفين ..... ١٠٣
- اشاره ..... ١٠٣
- أفضل فيما ورد من الآثار فيما يصلح الملك] ..... ١٠٨
- الآثار الواردة في العدل و الإنصاف] ..... ١١٤
- [ ٢١٠ كلام له ع في جواب رجل من أصحابه أكثر فيه الثناء و السمع و الطاعة] ..... ١١٨
- ٢١١ و من كلام له ع ..... ١٢٧
- اشاره ..... ١٢٧
- أفضل في أن جعفرًا و حمزه لو كان حيين لبايعا عليا] ..... ١٣٣
- ٢١٢ و من كلام له ع في ذكر السائرين إلى البصره لحره ع ..... ١٣٩
- ٢١٣ و من كلام له ع لما مر بطلحه بن عبيد الله و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل ..... ١٤١
- اشاره ..... ١٤١
- [عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد] ..... ١٤١
- [بنو جمح] ..... ١٤٣
- ٢١٤ و من كلام له ع ..... ١٤٥
- اشاره ..... ١٤٥
- أفضل في مجاهده النفوس و ما ورد في ذلك من الآثار] ..... ١٤٥
- أفضل في الرياضه النفسيه و أقسامها] ..... ١٥٤
- أفضل في أن الجوع يؤثر في صفاء النفس] ..... ١٥٧
- كلام للفلاسفه و الحكماء في المكاشفات الناشئه عن الرياضه] ..... ١٥٧
- ٢١٥ و من كلام له ع يحث فيه أصحابه على الجهاد ..... ١٦٢

- ٢١٦ و من كلام له ع قاله بعد تلاوته ..... ١٦٥
- اشاره ..... ١٦٥
- [بعض الأشعار و الحكايات فى وصف القبور و الموتى] ..... ١٧٦
- [إيراد أشعار و حكايات فى وصف الموت و أحوال الموتى] ..... ١٨٨
- ٢١٧ و من كلام له ع قاله عند تلاوته ..... ١٩٦
- اشاره ..... ١٩٦
- [بيان أحوال العارفين] ..... ٢٠١
- ٢١٨ و من كلام له ع قاله عند تلاوته ..... ٢٨٩
- ٢١٩ و من كلام له ع ..... ٢٩٦
- اشاره ..... ٢٩٦
- نبت من أخبار عقيل بن أبى طالب ..... ٣٠١
- ٢٢٠ و من دعاء له ع ..... ٣٠٦
- ٢٢١ و من خطبه له ع ..... ٣٠٨
- اشاره ..... ٣٠٨
- [ذكر بعض الآثار و الأشعار الواردة فى ذم الدنيا] ..... ٣١٠
- ٢٢٢ و من دعاء له ع ..... ٣١٨
- اشاره ..... ٣١٨
- [أدعيه فصيح من كلام أبى حيان التوحيدى] ..... ٣٢٠
- فهرس الخطب ..... ٣٣٠
- فهرس الموضوعات ..... ٣٣٣
- تعريف مركز ..... ٣٣٥

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله

گرداورنده: شريف الرضى، محمد بن حسين

نويسنده: على بن ابى طالب (عليه السلام)، امام اول

شماره بازيابى : ۷۶۹۲-۵

پديد آور : ابن ابى الحديد، عبد الحميد بن هبه الله، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادى : نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پديد آور : شرح نهج البلاغه [نسخه خطى] / ابن ابى الحديد

وضيقت كتابت : محمد طاهر ابن شيخ حسن على ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاهرى : ۳۴۵ گك [عكس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازه سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ راده گذارى؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز ، انجام ، انجامه : آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفيق التتميم.

باب المختار من كتب امير المومنين على عليه السلم و رسائله الى ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التى بنى هذا الشرح على قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله على

زيادات تخلو عنها اكثر النسخ... و يكف عنى عاديه الظالمين انه سميع مجيب و حسبنا الله وحده و صلواته على سيدنا محمد

النبي و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فى ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدى الاول سنه اربع و ثمانين و الف كتبه الفقير الحقيير ... ابن شيخ

حسن على محمد طاهر غفرالله تعالى له و لوالديه تمت.

يادداشت كلى : زبان: عربى

تاريخ تاليف: اول رجب ۶۴۴- صفر ۶۴۹ ق.



یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c۴۱۲c۵۱b-c۴b۸-۴e۰۹-۹۴۲b-۸cb۶۴۴۸۲۴۲e۲/Catalogue.aspx>

ص : ۱

**اشاره**



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ

١٩٦ و من كلام له ع

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَ الْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَ لَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَ أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أُبْدَانُكُمْ فِيهَا اخْتَبَرْتُمْ وَ لَغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدَّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا وَ لَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرَضًا عَلَيْكُمْ .

٢٤٥٧

ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ (١) عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ خَطَبَنَا أَعْرَابِيٌّ بِالْبَادِيَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَهُ وَ وَحَدَّهُ وَ صَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ص فَأَبْلَغَ فِي إِجْزَالِ نَمْرِ النَّاسِ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاغٍ وَ الْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا لِمَقَرِّكُمْ مِنْ مَمَرِّكُمْ وَ لَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ فِي الدُّنْيَا أَنْتُمْ

ص: ٣

وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ وَ الْمُصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَ الْمَدْعُو لَهُ الْخَلِيفَةُ (١) وَ الْأَمِيرُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ .

و ذكر غيره الزيادة التي في كلام أمير المؤمنين ع و هي أن المرء إذا هلك إلى آخر الكلام.

و أكثر الناس على أن هذا الكلام لأمير المؤمنين ع .

و يجوز أن يكون الأعرابي حفظه فأورده كما يورد الناس كلام غيرهم.

قوله ع دار مجاز أى يجاز فيها إلى الآخرة و منه سمي المجاز في الكلام مجازاً لأن المتكلم قد عبر الحقيقة إلى غيرها كما يعبر الإنسان من موضع إلى موضع.

و دار القرار دار الاستقرار الذي لا آخر له.

فخذوا من ممركم

أى من الدنيا لممركم و هو الآخرة.

قوله ع قال الناس ما ترك يريد أن بنى آدم مشغولون بالعاجلة لا يفكرون في غيرها و لا يتساءلون إلا عنها فإذا هلك أحدكم فإنما قولهم بعضهم لبعض ما الذى ترك فلان من المال ما الذى خلف من الولد و أميا الملائكة فإنهم يعرفون الآخرة و لا تستهويهم شهوات الدنيا و إنما هم مشغولون بالذكر و التسبيح فإذا هلك الإنسان قالوا ما قدم أى أى شىء قدم من الأعمال.

ثم أمرهم ع بأن يقدموا من أموالهم بعضها صدقه فإنها تبقى لهم و نهاهم أن يخلفوا أموالهم كلها بعد موتهم فتكون وبالاً عليهم فى الآخرة

ص: ٤

---

(١ - ١) يريد به أبا جعفر المنصور؛ و قد ولى ابن عمه جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس المدينة سنة ست و أربعين و مائه.

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وَ أَقْلُوا الْعُرْجَةَ [الْعُرْجَةَ]

عَلَى الدُّنْيَا وَ انْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بَحَضَرْتَكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَهُ كَثُودًا وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَ الْوُقُوفِ عِنْدَهَا.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَمِيَّةِ نَحْوَكُمْ [دَائِيَّة]

(١) دَائِيَّةٌ وَ كَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ وَ قَدْ دَهَمَتْكُمْ مِنْهَا مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ وَ [مُضْلِعَاتُ]

(٢) مُعْضَلَاتُ الْمَحْذُورِ.

فَقَطُّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا وَ اسْتَظْهَرُوا بَزَادِ التَّقْوَى.

[وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم يخالف هذه الرواية]

تجهزوا

لكذا أى تهيئوا له.

و العرجة التعريج و هو الإقامة تقول ما لى على ربعك عرجه (٣) أى إقامة و عرج فلان على المنزل إذا حبس عليه مطيته.

ص: ٥

١-١) مخطوطه النهج: «دائيه».

٢-٢) مخطوطه النهج: «المعضلات».

٣-٣) فى اللسان: «ما لى عندك عرجه [مثلته العين مع إسكان الراء]، و لا- عرجه [بفتحتين]، و لا- تعريج، و لا- تعرج، أى مقام، و قيل: محبس».

و العقبه الكئود الشاقه المصعد و دائبه جاده و المخلب للسبع بمنزله الظفر للإنسان.

و أفضع الأمر فهو مفضع إذا جاوز المقدار شده.

و مضلعات المحذور

الخطوب التي تضلع أى تجعل الإنسان ضليعا أى معوجا و الماضى ضلع بالكسر يضلع ضلعا.

و من رواها بالظاء أراد الخطوب التي تجعل الإنسان ظالعا أى يغمز فى مشيه لثقلها عليه و الماضى ظلع بالفتح يظلع ظلعها فهو

ظالع

ص: ٦

و قد عتبا عليه من ترك (١) مشورتها و الاستعانه فى الامور بهما لقد نَقَمْتُمَا يَسِيرًا وَ اَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا اَلَا تُخْبِرَانِي اَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ اَمْ اَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُمْ عَلَيَكُمَا بِهِ اَمْ [اَوْ]

اَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ اِلَيَّ اَحَدٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ اَمْ جَهْلْتُهُ اَمْ اَخْطَاْتُ بَابَهُ.

وَ اللّٰهُ مَيَّا كَانَتْ لِيْ فِي الْخِلَافَةِ رَعْبَةٌ وَ لَا فِي الْوَلَايَةِ اِرْبَةٌ وَ لَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي اِلَيْهَا وَ حَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا فَلَمَّا اَفْضَتْ اِلَيَّ نَظَرْتُ اِلَى كِتَابِ اللّٰهِ وَ مَيَّا وَضَعَ لَنَا وَ اَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَ مَا اسْتَيْنَّ (٢) النَّبِيُّ ص فَاقْتَدَيْتُهُ فَلَمْ اَحْتَجِجْ فِي ذٰلِكَ اِلَى رَايِكُمَا وَ لَا رَايٍ غَيْرِكُمَا وَ لَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُهُ فَاسْتَشِيرُكُمْ وَ اِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ اُرْغَبْ عَنْكُمَا وَ لَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

وَ اَمَّا مَيَّا ذَكَرْتُمَا مِنْ اَمْرِ الْاَسْوَةِ فَاِنَّ ذٰلِكَ اَمْرٌ لَمْ اَحْكُمْ اَنَا فِيهِ بِرَايِي وَ لَا وَلِيَّتُهُ هَوَى مَنِي بَلْ وَحَدْتُ اَنَا وَ اَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُوْلُ اللّٰهِ ص قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ اَحْتَجِجْ اِلَيْكُمَا فَيَمَا قَدْ فَرَغَ اللّٰهُ مِنْ قَسْمِهِ وَ اَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لَكُمَا وَ اللّٰهُ عِنْدِي وَ لَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُنْبِي.

اَحْذَ اللّٰهُ بِقُلُوْبِنَا وَ قُلُوْبِكُمْ اِلَى الْحَقِّ وَ اَلْهَمْنَا وَ اِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

ص: ٧

١-١) ساقطه من مخطوطه النهج.

٢-٢) مخطوطه النهج «استسن».



ثُمَّ قَالَ ع رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَ كَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ .

نقمت عليه بالفتح أنقم هذه اللغة الفصيحة و جاء نقمت بالكسر أنقم.

و أرجأتما

أخرتما أى نقمتما من أحوالى اليسير و تركتما الكثير الذى ليس لكما و لا لغيركما فيه مطعن فلم تذكراه فهلا اغتفرتما اليسير للكثير.

و ليس هذا اعترافا بأن ما نقماه موضع الطعن و العيب و لكنه على جهه الجدل و الاحتجاج كما تقول لمن يطعن فى بيت من شعر شاعر مشهور لقد ظلمته إذ تتعلق عليه بهذا البيت و تنسى ما له من المحاسن الكثيره فى غيره.

ثم ذكر وجوه العتاب و الاستراده (1) و هى أقسام إما أن يكون لهما حقّ يدفعهما عنه أو استأثر عليهما فى قسم أو ضعف عن السياسه أو جهل حكما من أحكام الشريعة أو أخطأ بابه.

فإن قلت أى فرق بين الأول و الثانى قلت أما دفعهما عن حقهما فممنعهما عنه سواء صار إليه ع أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل بقى بحاله فى بيت المال.

ص: ٨

---

١- ١) الاستراده: طلب الرجوع و اللين و الانقياد، و منه الحديث: فاستراد لأمر الله، أى رجع و لان و انقاد. (اللسان).

و أما القسم الثاني فهو أن يأخذ حقهما لنفسه و بين القسمين فرق ظاهر و الثاني أفحش من الأول.

فإن قلت فأى فرق بين قوله أم جهلته أو أخطأت بابه .

قلت جهل الحكم أن يكون الله تعالى قد حكم بحرمة شىء فأحله الإمام أو المفتى و كونه يخطئ بابه هو أن يصيب فى الحكم و يخطئ فى الاستدلال عليه .

ثم أقسم أنه لم يكن له فى الخلافه رغبه و لا إربه بكسر الهمزه و هى الحاجه و صدق ع فهكذا نقل أصحاب التواريخ و أرباب علم السير كلهم و

٢٤٥٨

١- رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ وَ رَوَاهُ غَيْرُهُ أَيْضاً إِنَّ النَّاسَ غَشَوْهُ وَ تَكَاثَرُوا عَلَيْهِ يَطْلُبُونَ مُبَايَعَتَهُ وَ هُوَ يَأْبَى ذَلِكَ وَ يَقُولُ دَعُونِي وَ التَّمَسُّوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسَدِّقُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ قَالُوا نَشْشُدُكَ اللَّهُ أَلَا تَرَى الْفِتْنَةَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا حَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ أَلَا تَخَافُ اللَّهُ فَقَالَ قَدْ أَجَبْتُكُمْ لَمَّا أَرَى مِنْكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَ إِنْ تَرَكْتُمُونِي فَإِنَّمَا أَنَا كَأَحَدِكُمْ بَلْ أَنَا أَسَمِعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَ لِيَتِمُّوهُ أَمْرَكُمْ إِلَيْهِ فَقَالُوا مَا نَحْنُ بِمُفَارِقِيكَ حَتَّى نُبَايَعَكَ قَالَ إِنْ كَانَ لَا يُدُّ مِنْ ذَلِكَ فَفِي الْمَسْجِدِ فَإِنْ بَيْعْتِي لَا تَكُونُ خَفِيًّا وَ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ رِضَا الْمُسْلِمِينَ وَ فِي مَلَأٍ وَ جَمَاعَةٍ فَقَامَ وَ النَّاسُ حَوْلَهُ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَ انْتَالَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَبَايَعُوهُ وَ فِيهِمْ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ (١)

قلت قوله إن بيعتي لا تكون خفيا و لا تكون إلا فى المسجد بمحضر من جمهور الناس يشابه

٢٤٥٩

١- قَوْلُهُ بَعْدَ وَفَاهِ رَسُولِ اللَّهِ ص لِلْعَبَّاسِ لَمَّا سَامَهُ مَدَّ يَدَهُ لِلْبَيْعَةِ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أُصْحَرَ بِهَا (٢) وَ أَكْرَهُ أَنْ أُبَايَعَ مِنْ وَرَاءِ رِتَاجٍ .

ص: ٩

١- ١) تاريخ الطبرى ١٥٢: ٥ (المطبعة الحسينيه) مع تصرف.

٢- ٢) أصحح: من قولهم: أصحح الأمر و به، إذا أظهره.

ثم ذكر ع أنه لما بوع عمل بكتاب الله و سنه رسوله و لم يحتج إلى رأييهما و لا رأي غيرهما و لم يقع حكم يجهله فيستشيرهما و لو وقع ذلك لاستشارهما و غيرهما و لم يأنف من ذلك.

ثم تكلم في معنى التنفيل في العطاء فقال إني عملت بسنه رسول الله ص في ذلك و صدق ع فإن رسول الله ص سوى في العطاء بين الناس و هو مذهب لأبي بكر .

و العتبي الرضا أي لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحل لي في الشرع ارتكابه و الضمير في صاحبه و هو الهاء المجروره يرجع إلى الجور أي و كان عوننا بالعمل على صاحب الجور

### [من أخبار طلحه و الزبير]

قد تقدم منا ذكر ما عتب به طلحه و الزبير على أمير المؤمنين ع و أنهما قالوا ما نراه يستشيرنا في أمر و لا يفاوضنا في رأي و يقطع الأمر دوننا و يستبد بالحكم عنا و كانا يرجوان غير ذلك و أراد طلحه أن يوليه البصره و أراد الزبير أن يوليه الكوفه فلما شاهدا صلابته في الدين و قوته في العزم و هجره الأدهان و المراقبه و رفضه المدالسه و المواربه و سلوكه في جميع مسالكة منهج الكتاب و السنه و قد كانا يعلمان ذلك قديما من طبعه و سجيته

٢٤٤٠

١- وَ كَانَ عُمَرُ قَالَ لَهُمَا وَ لغيرِهِمَا إِنَّ الْأَجْلَحَ (١) إِنْ وَلِيَهَا لِيَحْمِلَنَّكُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ وَ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

٢٤٤١

وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص

ص : ١٠

---

(١ - ١) الأجلح، من الجلح، و هو ذهاب الشعر من مقدم الرأس، و كان رضي الله عنه كذلك.

مِنْ قَبْلُ قَالَ وَ إِنْ تُؤَلَّوْهَا عَلَيَّا تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا.

إلا- أنه ليس الخبر كالعيان و لا القول كالفعل و لا الوعد كالإنجاز و حالا عنه و تنكرا له و وقعا فيه و عاباه و غمصاه (١) و تطلبا له العلل و التأويلات و تنقما عليه الاستبداد و ترك المشاوره و انتقلا من ذلك إلى الوقيعه فيه بمساواه الناس فى قسمه المال و أثنيا على عمر و حمدا سيرته و صوبا رأيه و قالوا إنه كان يفضل أهل السوابق و ضللا عليا ع فيما رآه و قالوا إنه أخطأ و إنه خالف سيره عمر و هى السيره المحموده التى لم تفضحها النبوه مع قرب عهدنا منها و اتصالتها بها و استنجدا عليه بالرؤساء من المسلمين كان عمر يفضلهم و ينفلهم (٢) فى القسم على غيرهم و الناس أبناء الدنيا و يحبون المال حُبًّا جَمًّا فتنكرت على أمير المؤمنين ع بتنكرهما قلوب كثيره و نغلت (٣) عليه نيات كانت من قبل سليمه و لقد كان عمر موفقا حيث منع قريشا و المهاجرين و ذوى السوابق من الخروج من المدينة و نهاهم عن مخالطه الناس و نهى الناس عن مخالطتهم و رأى أن ذلك أس الفساد فى الأرض و أن الفتوح و الغنائم قد أبطرت المسلمين و متى بعد الرءوس و الكبراء منهم عن دار الهجره و انفردوا بأنفسهم و خالطهم الناس فى البلاد البعيده لم يأمن أن يحسنوا لهم الوثوب و طلب الإمره و مفارقه الجماعه و حل نظام الألفه و لكنه رضى الله عنه نقض هذا الرأى السديد بما فعله بعد طعن لأبى لؤلؤه له من أمر الشورى فإن ذلك كان سبب كل فتنه وقعت و تقع إلى أن تنقضى الدنيا و قد قدمنا ذكر ذلك و شرحنا ما أدى إليه أمر الشورى من الفساد بما حصل فى نفس كل من الستة من ترشيحه للخلافه.

ص: ١١

١-١ (١) غمصاه: تهاونا بحقه.

٢-٢ (٢) ينفلهم: يعطيهم النفل.

٣-٣ (٣) نغلت: فسدت.

وَرَوَى أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ قَالَ كَانَ عُمَرُ قَدْ حَجَرَ عَلَى أَعْلَامِ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْخُرُوجَ فِي الْبُلْدَانِ إِلَّا بِإِذْنٍ وَ أَجَلٍ فَشَكَوهُ فَبَلَّغَهُ فَقَامَ فَخَطَبَ فَقَالَ أَلَا إِنِّي قَدْ سَنَنْتُ الْإِسْلَامَ سِنَّ الْبَعِيرِ يَبْدَأُ فَيَكُونُ جَذَعًا ثُمَّ تَيْبًا (١) ثُمَّ يَكُونُ رِبَاعِيًّا (٢) ثُمَّ سَدِيسًا ثُمَّ بَازِلًا (٣) أَلَا- فَهَلْ يُنْتَظَرُ بِالْبَازِلِ إِلَّا التَّقْصَانُ أَلَا وَ إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ صَارَ بَازِلًا وَ إِنَّ قُرَيْشًا يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ مَعُونَاتٍ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَلَا- إِنَّ فِي قُرَيْشٍ مَنْ يُضْمِرُ الْفُرْقَةَ وَ يَزُومُ خَلْعَ الرَّبْقَةِ أَمَا وَ ابْنُ الْخَطَابِ حَتَّى فَلَا إِنِّي قَائِمٌ دُونَ شِعْبِ الْحَرَّةِ آخِذٌ بِحَلَاقِيمِ قُرَيْشٍ وَ حُجَزِهَا أَنْ يَتَهَاقَتُوا فِي النَّارِ .

وَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ أَيْضًا فَلَمَّا وُلِّيَ عُثْمَانُ لَمْ يَأْخُذْهُمْ بِالَّذِي كَانَ عُمَرُ يَأْخُذْهُمْ بِهِ فَخَرَجُوا إِلَى الْبِلَادِ فَلَمَّا نَزَلُوهَا وَ رَأَوْا الدُّنْيَا وَ رَأَوْا النَّاسَ حَمَلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَوْلٌ وَ لَا قَدَمٌ فِي الْإِسْلَامِ وَ تَبَّهَ أَصْحَابُ السَّوَابِقِ وَ الْفَضْلُ فَانْقَطَعَ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَ صَارُوا أَوْزَاعًا مَعَهُمْ وَ أَمْلُوهُمْ وَ تَقَرَّبُوا إِلَيْهِمْ وَ قَالُوا يَمْلِكُونَ فَيَكُونُ لَنَا فِي مُلْكِهِمْ حُظُوهُ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ وَهْنٍ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ أَوَّلَ فِتْنَةٍ كَانَتْ فِي الْعَامَةِ .

وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ لَمْ يَمُتْ عُمَرُ حَتَّى مَلَّئَتْهُ قُرَيْشٌ وَ قَدْ كَانَ حَصَرَ رَهْمَ بِالْمَدِينَةِ وَ سَيَأْلُوهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْبِلَادِ فَامْتَنَعَ عَلَيْهِمْ وَ قَالَ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ انْتِشَارُكُمْ فِي الْبِلَادِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي غَزْوِ الرُّومِ أَوْ الْفُرْسِ وَ هُوَ مِمَّنْ حَبَسَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ قُرَيْشٍ وَ لَا- سَيِّمًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَيَقُولُ لَهُ إِنَّ لَكَ فِي غَزْوِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا يَكْفِيكَ وَ يَبْلُغُكَ وَ يُحْسِبُكَ (٤) وَ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْغَزْوِ الْيَوْمِ وَ إِنَّ خَيْرًا لَكَ أَلَّا تَرَى الدُّنْيَا وَ لَا تَرَكَ .

ص: ١٢

١- ١) الثنّى:الذى يلقي ثنيته.

٢- ٢) الرباعي:هو الذى ألقى رباعيته،و الرباعيه:السن التى بين الثنيه و الناب.

٣- ٣) البازل:البعير فطر نابه و انشق،و يكون ذلك فى السنه التاسعه.

٤- ٤) يقال:أحسبه إذا أرضاه أو أعطاه ما يرضيه و كفاه.

فلما مات عمر و ولي عثمان خلى عنهم فانتشروا فى البلاد و اضطربوا و انقطع إليهم الناس و خالطوهم فلذلك كان عثمان أحب إلى قريش من عمر .

فقد بان لك حسن رأى عمر فى منع المهاجرين و أهل السابقيه من قريش من مخالطه الناس و الخروج من المدينه و بان لك أن عثمان أرخى لهم فى الطول (1) فخالطهم الناس و أفسدوهم و حببوا إليهم الملك و الإمراه و الرئاسه لا سيما مع الثروه العظيمة التى حصلت لهم و الثراء مفسده و أى مفسده و حصل لطلحه و الزبير من ذلك ما لم يحصل لغيرهما ثروه و يسارا و قدما فى الإسلام و صار لهما لفيف عظيم من المسلمين يمنونهما الخلافه و يحسنون لهما طلب الإمراه لا سيما و قد رشحهما عمر لها و أقامهما مقام نفسه فى تحملها و أى امرئ منى بها قط نفسه ففارقها حتى يغيب فى اللحد و لا سيما طلحه قد كان يحدث بها نفسه و أبو بكر حى و يروم أن يجعلها فيه بشبهه أنه ابن عمه و سخط خلافه عمر و قال لأبى بكر ما تقول لربك و قد وليت علينا فظا غليظا و كان له فى أيام عمر قوم يجلسون إليه و يحادثونه سرا فى معنى الخلافه و يقولون له لو مات عمر لباعناك بعتة جلب الدهر علينا ما جلب و بلغ ذلك عمر فنخطب الناس بالكلام المشهور أن قوما يقولون إن بيعه لأبى بكر كانت فلتة و إنه لو مات عمر لفعلنا و فعلنا أما إن بيعه لأبى بكر كانت فلتة إلا أن الله وقى شرها و ليس فيكم من تقطع إليه الرقاب كأبى بكر فأى امرئ بايع امرأ من غير مشوره من المسلمين فإنهما بغره أن يقتلا فلما صارت إلى عثمان سخطها طلحه بعد أن كان رضىها و أظهر ما فى نفسه و ألب عليه حتى قتل و لم يشك أن الأمر له فلما صارت إلى على ع حدث منه ما حدث و آخر الدواء الكى.

و أما الزبير فلم يكن إلا علوى الرأى شديد الولاء جاريا من الرجل مجرى نفسه.

ص: ١٣

---

١-١) الطول: الحبل، يريد أنه لان و ترك لهم الحبل على الغارب، حتى فعلوا ما فعلوا.

١٥، ١- وَ يُقَالُ إِنَّهُ عَ لَمَّا اسْتَنَجَدَ بِالْمُسْلِمِينَ عَقِيبَ يَوْمِ السَّقِيْفَةِ وَ مَا جَرَى فِيهِ وَ كَانَ يَحْمِلُ فَاطِمَةَ عَ لَيْلًا عَلَى حِمَارٍ وَ ابْنَاهَا بَيْنَ يَدَيْ الْحِمَارِ وَ هُوَ عَ يَسُوْقُهُ فَيَطْرُقُ بُيُوتَ الْأَنْصَارِ وَ غَيْرِهِمْ وَ يَسْأَلُهُمُ النَّصِيْرَةَ وَ الْمَعُوْنَةَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا فَبَايَعَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ وَ أَمَرَهُمْ أَنْ يُضَيِّبُوا بُكْرَةً مُحَلَّقِي رُءُوسِهِمْ وَ مَعَهُمْ سِلَاحُهُمْ فَأَصْبَحَ لَمْ يُوَافِهِ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةُ الزُّبَيْرِ وَ الْمِقْدَادُ وَ أَبُو ذَرٍّ وَ سَلْمَانَ ثُمَّ أَتَاهُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَنَاشَدَهُمْ فَقَالُوا نُضَيِّبُكَ عُدُوَّةً فَمَا جَاءَهُ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ وَ كَذَلِكَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ وَ كَانَ الزُّبَيْرُ أَشَدَّهُمْ لَهُ نُصْرَةً وَ أَنْفَذَهُمْ فِي طَاعَتِهِ بِصِيْرَةٍ حَلَقَ رَأْسَهُ وَ جَاءَ مَرَارًا وَ فِي عُنُقِهِ سَيْفُهُ وَ كَذَلِكَ الثَّلَاثَةَ الْبَاقُونَ إِلَّا أَنَّ الزُّبَيْرِ هُوَ كَانَ الرَّأْسَ فِيهِمْ

و قد نقل الناس خبر الزبير لما هجم عليه بيت فاطمه ع و كسر سيفه في صخره ضربت به و نقلوا اختصاصه بعلي ع و خلواته به و لم يزل مواليا له متمسكا بحبه و مودته حتى نشأ ابنه عبد الله و شب فترع به عرق من الأم و مال إلى تلك الجهة و انحرف عن هذه و محبه الوالد للولد معروفه فانحرف الزبير لانحرافه على أنه قد كانت جرت بين علي ع و الزبير هنات في أيام عمر كدرت القلوب بعض التكدير و كان سببها قصه موالى صفيه و منازعه على للزبير في الميراث فقضى عمر للزبير فأذعن علي ع لقضائه بحكم سلطانه لا رجوعا عما كان يذهب إليه من حكم الشرع في هذه المسأله و بقيت في نفس الزبير على أن شيخنا أبا جعفر الإسكافي رحمه الله ذكر في كتاب نقض العثمانيه عن الزبير كلاما إن صح فإنه يدل على انحراف شديد و رجوع عن موالاته أمير المؤمنين ع .

١- قَمَالَ تَفَاخَرَ عَلِيٌّ عَ وَ الزُّبَيْرِيُّ فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ أَسْلِمْتُ بِالْغَا وَ أَسْلِمْتَ طِفْلًا- وَ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ سَلَّ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَكَّةَ وَ أَنْتَ مُسْتَحْفٍ فِي الشَّعْبِ (١) يَكْفُلُكَ الرَّجَالُ

وَيَمُونُكَ الْأَقَارِبُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَكُنْتُ فَارِسًا وَكُنْتُ رَاجِلًا وَفِي هَيَأْتِي نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ وَ أَنَا حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ص

قال شيخنا أبو جعفر و هذا الخبر مفتعل مكذوب و لم يجر بين علي و الزبير شىء من هذا الكلام و لكنه من وضع العثمانيه و لم يسمع به فى أحاديث الحشويه و لا فى كتب أصحاب السيره .

و لعلى ع أن يقول طفل مسلم خير من بالغ كافر و أما سل السيف بمكّه فلم يكن فى موضعه و فى ذلك قال الله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ (١) الآية و أنا على منهاج الرسول فى الكف و الإقدام و ليس كفاله الرجال و الأقارب بالشعب عارا على فقد كان رسول الله ص فى الشعب يكفله الرجال و الأقارب و أما حربك فارسا و حربى راجلا فهلا أغنت فروسيتك يوم عمرو بن عبد ود فى الخندق و هلا أغنت فروسيتك يوم طلحه بن لأبى طلحه فى أحد و هلا أغنت فروسيتك يوم مرحب بخيبر ما كانت فرسك التى تحارب عليها فى هذه الأيام إلا أذل من العنز الجرباء و من سلمت عليه الملائكه أفضل ممن نزلت فى هياته و قد نزلت الملائكه فى صورته دحيه الكلبى أ فيجب من ذلك أن يكون دحيه أفضل منى و أما كونك حوارى رسول الله ص فلو عددت خصائصى فى مقابله هذه اللفظه الواحده لك لاستغرقت الوقت و أفنيت الزمان و ربّ صمت أبلغ من نطق (٢) .

ثم نرجع إلى الحديث الأول فتقول إن طلحه و الزبير لما أيسا من جهه على ع

ص: ١٥

١-١ (١) سورة النساء ٧٧.

٢-٢ (٢) انظر رساله العثمانيه ٢٢٤ و ما بعدها.





أَلَا يَنْقُضَا بَيْعَتَهُ وَلَا يَغْدِرَا بِهِ وَلَا يَشُقُّمَا عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُوقِعَا الْفُرْقَةَ بَيْنَهُمْ وَأَنْ يَعُودَا بَعْدَ الْعُمْرَةِ إِلَى بُيُوتِهِمَا بِالْمَدِينَةِ فَحَلَفَا عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ ثُمَّ خَرَجَا فَفَعَلَا مَا فَعَلَا

٢٤٦٦

١- وَرَوَى شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ قَالَ لَمَّا خَرَجَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ إِلَى مَكَّةَ وَأَوْهَمَا النَّاسَ أَنَّهُمَا خَرَجَا لِلْعُمْرَةِ قَالَ عَلِيُّ ع لِأَصْحَابِهِ وَاللَّهِ مَا يُرِيدَانِ الْعُمْرَةَ وَإِنَّمَا يُرِيدَانِ الْغُدْرَةَ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَيَّ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيَّ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١).

٢٤٦٧

١- وَرَوَى الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ قَالَ لَمَّا بَايَعَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ عَلِيًّا سَأَلَاهُ أَنْ يُؤَمِّرَهُمَا عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصِيرَةِ فَقَالَ بَلْ تَكُونَانِ عِنْدِي أَتَجَمَّلُ بِكُمْ فَإِنِّي أَسْتَوْحِشُ لِفِرَاقِكُمَا .

قَالَ الطَّبْرِيُّ وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُمَا قَبْلَ بَيْعَتِهِمَا لَهُ إِنْ أَحْبَبْتُمَا أَنْ تُبَايَعَانِي وَإِنْ أَحْبَبْتُمَا بَايَعْتُكُمَا فَقَالَا لَا بَلْ تُبَايَعُكَ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا بَايَعْنَاهُ خَشْيَةً عَلَى أَنْفُسِنَا وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُبَايَعَنَا ثُمَّ ظَهَرَ إِلَى مَكَّةَ وَذَلِكَ بَعْدَ قَتْلِ عُمَرَ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .

٢٤٦٨

١- وَرَوَى الطَّبْرِيُّ أَيْضًا فِي التَّارِيخِ قَالَ لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ عَلِيًّا وَتَمَّ لَهُ الْأَمْرُ قَالَ طَلْحَةُ لِلزُّبَيْرِ مَا أَرَى أَنْ لَنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا كَحِسِّهِ (٢) أَنْفِ الْكَلْبِ

٢٤٦٩

١- وَرَوَى الطَّبْرِيُّ أَيْضًا فِي التَّارِيخِ قَالَ لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ عَلِيًّا بَعْدَ قَتْلِ عُمَرَ جَاءَ عَلِيٌّ إِلَى الزُّبَيْرِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ قَالَ أَبُو حَبِيبَةَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ فَأَعْلَمْتُهُ بِهِ فَسَلَّ السَّيْفَ وَوَضَعَهُ تَحْتِ فِرَاشِهِ وَقَالَ ائْذَنْ لِي فَادْنُ لِي فَادْخُلْ فَسَلَّمَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ وَهُوَ وَقِفٌ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ الزُّبَيْرُ لَقَدْ دَخَلَ لِأَمْرِ مَا قَضَاهُ قُمْ مَقَامَهُ وَانظُرْ هَلْ تَرَى مِنْ

ص: ١٧

١- ١) سورة الفتح ١٠.

٢- ٢) كذا في تاريخ الطبري ٣٠٦٩: ١ (طبع أوربا)، والكلمة غير واضحة في الأصول.

السَّيْفِ شَيْئًا فَقُمْتُ فِي مَقَامِهِ فَرَأَيْتُ دُيَابَ السَّيْفِ فَأَخْبَرْتُهُ وَقُلْتُ إِنَّ دُيَابَ السَّيْفِ لَيُظْهَرُ لِمَنْ قَامَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ ذَاكَ  
أَعْجَلَ الرَّجُلَ

٢٤٧٠

١- وَرَوَى شَيْخُنَا أَبُو عُثْمَانَ قَالَ كَتَبَ مُضَيْعِبُ بْنُ الرُّبَيْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ مُضَيْعِبِ بْنِ الرُّبَيْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَلَامٌ  
عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعِيدٌ سَتَعْلَمُ يَا فَتَى الرَّزْقَاءِ أَنِّي أَمَا إِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ الْوَفَاءَ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَتَرَجَّعَ أَوْ  
تَتُوبَ وَلَعَمْرِي مَا أَنْتَ كَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الرُّبَيْرِ وَلَا مَرْوَانَ كَالرُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ صَ وَابْنِ عَمَّتِهِ فَسَلِّمِ الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ  
فَإِنَّ نَجَاتَكَ بِنَفْسِكَ أَكْبَرُ الْغَنِيمَتَيْنِ وَالسَّلَامُ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الدَّلُولِ الَّذِي أَخْطَأَ مِنْ سَيِّمَاهُ الْمُضَيْعِبِ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي  
أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعِيدٌ أَتُوَعِدُنِي وَلَمْ أَرِ مِثْلَ يَوْمِي

أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ وَفَائِكَ فَلَعَمْرِي لَقَدْ وَفَى أَبُوكَ لِتَيْمٍ وَعَدِيَّ بَعْدَاءِ قُرَيْشٍ وَزَعَانِفِهَا حَتَّى إِذَا صَارَتِ الْأُمُورُ إِلَى صَاحِبِهَا عُثْمَانَ  
الشَّرِيفِ النَّسَبِ الْكَرِيمِ الْحَسَبِ بَغَاهُ الْعَوَائِلُ وَأَعَدَّ لَهُ الْمَخَاتِلَ حَتَّى نَالَ مِنْهُ حَاجَتَهُ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلِيٍّ وَبَايَعَهُ فَلَمَّا

ص: ١٨

دَانَتْ لَهُ أُمُورُ الْأُمَّةِ وَ أَجْمَعَتْ لَهُ الْكَلِمَةُ وَ أَدْرَكَهُ الْحَسِدُ الْقَدِيمُ لِيُنِي عِبْدَ مَنْافٍ فَنَقَضَ عَهْدَهُ وَ نَكَثَ بَيْعَتَهُ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا فِ فَكْرٍ وَ قَدَّرَ فُقُوتَ كَيْفَ قَدَّرَ وَ تَمَزَّقَتْ لِحْمَهُ الضُّبَاعُ بِوَادِي السَّبَاعِ وَ لَعَمْرِي إِنَّكَ تَعْلَمُ يَا أَخَا بَنِي عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ أَنَا بَنُو عَبْدِ مَنْافٍ لَمْ نَزَلْ سَادَتِكُمْ وَ قَادَتِكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِ وَ لَكِنَّ الْحَسَدَ دَعَاكَ إِلَى مَا ذَكَرْتَ وَ لَمْ تَرِثْ ذَلِكَ عَنْ كِلَالِهِ بَلْ عَنْ أَبِيكَ وَ لَا أَظُنُّ حَسَدَكَ وَ حَسَدَ أَخِيكَ يُثُولُ بِكَمَا إِلَّا إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ حَسَدُ أَبِيكَمَا مِنْ قَبْلُ وَ لَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (١) وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢)

٢٤٧١

٢١- وَ رَوَى أَبُو عَثْمَانَ أَيْضًا قَالَ دَخَلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ وَ عِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَ كَانَ مُعَاوِيَةَ يُحِبُّ أَنْ يُغْرِيَ بَيْنَ قُرَيْشٍ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَيُّهُمَا كَانَ أَكْبَرَ سِنًا عَلَيَّ أَمْ الزُّبَيْرُ فَقَالَ الْحَسَنُ مَا أَقْرَبَ مَا بَيْنَهُمَا وَ عَلَيٌّ أَسْنُ مِنَ الزُّبَيْرِ رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَحِمَ اللَّهُ الزُّبَيْرِ وَ هُنَاكَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَ مَا يُهَيِّجُكَ مِنْ أَنْ يَتَرَحَّمَنَّ الرَّجُلُ عَلَى أَبِيهِ قَالَ وَ أَنَا أَيْضًا تَرَحَّمْتُ عَلَى أَبِي قَالَ أَمْ تَطْنُهُ نَدًّا لَهُ وَ كُفُوًا قَالَ وَ مَا يُعِيدَلُ بِهِ عَنْ ذَلِكَ كِلَاهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ وَ كِلَاهُمَا دَعَا إِلَى نَفْسِهِ وَ لَمْ يَتِمَّ لَهُ قَالِ ذَاكَ عَنْكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ عَلِيًّا مِنْ قُرَيْشٍ وَ مِنَ الرَّسُولِ صَ حَيْثُ تَعْلَمُ وَ لَمَّا دَعَا إِلَى نَفْسِهِ أُتْبِعَ فِيهِ وَ كَانَ رَأْسًا وَ دَعَا الزُّبَيْرُ إِلَى أَمْرٍ وَ كَانَ الرَّأْسُ فِيهِ امْرَأَةً وَ لَمَّا تَرَاءَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَيٌّ عَقْبِيهِ وَ وَلَّى مُدْبِرًا قَبِيلَ أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ فَيَأْخُذَهُ أَوْ يُدْحِضُ الْبَاطِلَ فَيُتْرَكُهُ فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ لَوْ قَيْسَ بِيَعُضِ أَعْضَائِهِ لَكَانَ أَصْغَرَ فَضْرَبَ عُنُقَهُ وَ أَخَذَ سَلْبَهُ وَ جَاءَ بِرَأْسِهِ وَ مَضَى عَلَيٌّ قُدَمَا كَعَادَتِهِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا

ص: ١٩

١- (١) سورة فاطر ٤٣.

٢- (٢) سورة الشعراء ٢٢٧.

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَمَا لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ تَكَلَّمَ بِهَذَا يَا أَبَا سَعِيدٍ لَعَلِمَ فَقَالَ إِنَّ الَّذِي تُعَرِّضُ بِهِ يَزْغِبُ عَنْكَ وَكَفَّهُ مُعَاوِيَةَ فَسَكَتُوا.

وَأُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِمَقَالَتِهِمْ وَ مَرَّ أَبُو سَعِيدٍ بِفِنَائِهَا فَنَادَتْهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ أَنْتَ الْقَائِلُ لِابْنِ أُخْتِي كَذَا فَالْتَفَتَ أَبُو سَعِيدٍ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَقَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَرَانَا وَلَا تَرَاهُ فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ وَقَالَتْ لِلَّهِ أَبُوكَ مَا أَذْلَقَ لِسَانَكَ

## ١٩٩ و من كلام له ع و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَمَا أَنْ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَ قُلْتُمْ  
مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا وَ دِمَاءَهُمْ وَ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنَهُمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جِهَلِهِ وَ  
يَزْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَ الْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ .

السب الشتم سبه يسبه بالضم و التساب التشتام و رجل مسب بكسر الميم كثير السباب و رجل سبه أى يسبه الناس و رجل سببه  
أى يسب الناس و رجل سب كثير السباب و سبك الذى يسابك قال لا تسبني فلست بسبى إن سبى من الرجال الكريم (١) و  
الذى كرهه ع منهم أنهم كانوا يشتمون أهل الشام و لم يكن يكره منهم لعنهم إياهم و البذاءه منهم لا- كما يتوهمه قوم من  
الحشويه فيقولون لا يجوز

ص: ٢١

١- ١) لعبد الرحمن بن حسان، و انظر الصحاح ١: ١٤٥.

لعن أحد ممن عليه اسم الإسلام و ينكرون على من يلعن و منهم من يغالى فى ذلك فيقول لا ألعن الكافر و ألعن إبليس و إن الله تعالى لا يقول لأحد يوم القيامة لم لم تلعن و إنما يقول لم لعنت.

و اعلم أن هذا خلاف نص الكتاب لأنه تعالى قال إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (١).

و قال أَوْلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُوهُمُ اللَّاعِنُونَ (٢).

و قال فى إبليس وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣).

و قال مُلْعُونِينَ أَيْسَمَا تُقِفُوا (٤).

و فى الكتاب العزيز من ذلك الكثير الواسع.

و كيف يجوز للمسلم أن ينكر التبرؤ ممن يجب التبرؤ منه أ لم يسمع هؤلاء قول الله تعالى قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَ الْبُغْضَاءُ أَبَدًا (٥) و إنما يجب النظر فيمن قد اشتبهت حاله فإن كان قد قارف كبيره من الذنوب يستحق بها اللعن و البراءه فلا ضير على من يلعنه و يبرأ منه و إن لم يكن قد قارف كبيره لم يجز لعنه و لا البراءه منه.

و ممّا يدلّ على أن من عليه اسم الإسلام إذا ارتكب الكبيره يجوز لعنه بل يجب فى وقت قول الله تعالى فى قصه اللعان فَشَهِدَاهُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ

ص: ٢٢:

١-١) سورة الأحزاب ٦٤.

٢-٢) سورة البقره ١٥٩.

٣-٣) سورة ص ٧٨.

٤-٤) سورة الأحزاب ٦١.

٥-٥) سورة الممتحنه ٤.

لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْحَامِسُهُ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (١).

وقال تعالى فى القاذف إِنْ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢).

فها تان الآيتان فى المكلفين من أهل القبلة والآيات قبلهما فى الكافرين و المنافقين و لهذا قنت أمير المؤمنين ع على معاويه و جماعه من أصحابه و لعنهم فى أدبار الصلوات.

فإن قلت فما صوره السب الذى نهى أمير المؤمنين ع عنه.

قلت كانوا يشتمونهم بالآباء و الأمهات و منهم من يطعن فى نسب قوم منهم و منهم من يذكرهم باللؤم و منهم من يعيرهم بالجبن و البخل و بأنواع الأهاجى التى يتهاجى بها الشعراء و أساليبها معلومه فنهاهم ع عن ذلك و قال إني أكره لكم أن تكونوا سبائين و لكن الأصوب أن تصفوا لهم أعمالهم و تذكروا حالهم أى أن تقولوا إنهم فساق و إنهم أهل ضلال و باطل .

ثم قال اجعلوا عوض سبهم أن تقولوا اللهم احقن دماءنا و دماءهم .

حقنت الدم أحقنه بالضم منعت أن يسفك أى ألهمهم الإنابه إلى الحق و العدول عن الباطل فإن ذلك إذا تم حقنت دماء الفريقين.

فإن قلت كيف يجوز أن يدعو الله تعالى بما لا يفعله أليس من أصولكم أن الله تعالى لا يضطر المكلف إلى اعتقاد الحق و إنما يكفه إلى نظره.

قلت الأمر و إن كان كذلك إلا أن المكلفين قد تعبدوا بأن يدعو الله تعالى

ص: ٢٣

١-١) سورة النور ٦٧.

٢-٢) سورة النور ٢٣.



بذلك لأن في دعائهم إياه بذلك لطفاً لهم و مصالح في أديانهم كالدعاء بزيادة الرزق و تأخير الأجل.

قوله و أصلح ذات بيننا و بينهم يعنى أحوالنا و أحوالهم و لما كانت الأحوال ملابسه للبين قيل لها ذات البين كما أنه لما كانت الضمائر ملابسه للصدور قيل ذات الصدور و كذلك قولهم اسقنى ذا إنائك لما كان ما فيه من الشراب ملابسا له و يقولون للمتبرز قد وضع ذا بطنه و للجبلى تضع ألقى ذا بطنها.

و ارعوى عن الغى رجع و كف.

لهج به

بالكسر يلهج أغرى به و ثابر عليه

ص: ٢٤

## ٢٠٠ و من كلام له ع فى بعض أيام صفين و قد رأى الحسن ابنه ع يتسرع إلى الحرب

إمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِينِي فَإِنِّي أَنفَسُ بِهِدَيْنِ يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ع عَلَى الْمَوْتِ لِنَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ص .

[قال الرضى أبو الحسن رحمه الله قوله ع املكوا عنى هذا الغلام من أعلى الكلام و أفصحه ]

الألف فى املكوا ألف وصل لأن الماضى ثلاثى من ملكت الفرس و العبد و الدار أملك بالكسر أى احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه.

و عن متعلقه بمحذوف تقديره استولوا عليه و أبعده عنى و لما كان الملك سبب الحجر على المملوك عبر بالسبب عن المسبب كما عبر بالنكاح عن العقد و هو فى الحقيقه اسم الوطاء لما كان العقد طريقا إلى الوطاء و سببا له.

و وجه علو هذا الكلام و فصاحته أنه لما كان فى املكوا معنى البعد أعقبه

بعن و ذلك أنهم لا- يملكونه دون أمير المؤمنين ع إلا- وقد أبعده عنه أ لا- ترى أنك إذا حجرت على زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو فلذلك قال املكوا عنى هذا الغلام و استفصح الشارحون قول لأبى الطيب إذا كان شم الروح أدنى إليكم فلا برحتنى روضه و قبول (١) قالوا و لما كان فى فلا برحتنى معنى فارقتنى عدى اللفظه و إن كانت لازمه نظرا إلى المعنى (٢) .

قوله لا يهدنى أى لثلا يهدنى فحذف كما حذف طرفه فى قوله أ لا أى هذا الزاجرى أحضر الوغى (٣) أى لأن أحضر.

و أنفس أبخل نفست عليه بكذا بالكسر.

فإن قلت أ يجوز أن يقال للحسن و الحسين و ولدهما أبناء رسول الله و ولد رسول الله و ذريه رسول الله و نسل رسول الله .

قلت نعم لأن الله تعالى سماهم أبناءه فى قوله تعالى نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ (٤) و إنما عنى الحسن و الحسين و لو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات و سمي الله تعالى عيسى ذريه إبراهيم فى قوله وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُليْمَانَ (٥) إلى أن قال وَ يَحْيَى وَ عيسى و لم يختلف أهل اللغة فى أن ولد البنات من نسل الرجل.

ص: ٢٦

١- (١) ديوانه ٣:٩٦.

٢- (١) ديوانه ٣:٩٦.

٣- (٣) سورة آل عمران ٦١.

٤- (٤) سورة الأنعام ٨٤.

٥-

فإن قلت فما تصنع بقوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قلت أسألك عن أبوته لإبراهيم بن ماريه فكما تجيب به عن ذلك فهو جوابي عن الحسن والحسين ع .

و الجواب الشامل للجميع أنه عنى زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول زيد بن محمّد على عادتهم فى تبنى العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنه الجاهليه وقال إن محمّداً ع ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعتزى إليه بالنبوه و ذلك لا ينفى كونه أباً لأطفال لم تطلق عليهم لفظه الرجال كإبراهيم و حسن و حسين ع .

فإن قلت أ تقول إن ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز.

قلت لذاذهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية لأن أصل الإطلاق الحقيقة وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين و هو فى أحدهما أشهر و لا يلزم من كونه أشهر فى أحدهما ألا يكون حقيقة فى الآخر.

و لذاذهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفيه و هى التى كثر استعمالها و هى فى الأكثر مجاز حتى صارت حقيقة فى العرف كالأرويه للمزاده و السماء للمطر.

و لذاذهب أن يذهب إلى كونه مجازاً قد استعمله الشارع فجاز إطلاقه فى كل حال و استعماله كسائر المجازات المستعمله.

و ممّا يدلّ على اختصاص ولد فاطمه دون بنى هاشم كافه بالنبي ع أنه ما كان يحل له ع أن ينكح بنات الحسن و الحسين ع و لا بنات ذريتهما و إن بعدن و طال الزمان و يحل له نكاح بنات غيرهم من بنى هاشم من الطالبين و غيرهم و هذا يدلّ على مزيد الأقربيه و هى كونهم أولاده لأنه ليس هناك من القربى غير

هذا الوجه لأنهم ليسوا أولاد أخيه و لا أولاد أخته و لا هناك وجه يقتضى حرمتهم عليه إلا كونه والدا لهم و كونهم أولادا له  
فإن قلت قد قال الشاعر بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد.

و قال حكيم العرب أكنتم بن صيفى فى البنات يذمهن إنهن يلدن الأعداء و يورثن البعداء.

قلت إنما قال الشاعر ما قاله على المفهوم الأشهر و ليس فى قول أكنتم ما يدل على نفي بنوتهم و إنما ذكر أنهم يلدن الأعداء و  
قد يكون ولد الرجل لصلبه عدوا قال الله تعالى إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ (١) و لا ينفى كونه عدوا كونه ابنا.

٢٤٧٢

١،٢،٣- قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ ع لِمَ يُعَرِّرُ بِحُكِّ أَبِيكَ فِي الْحَرْبِ وَ لِمَ لَا يُعَرِّرُ بِالْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ فَقَالَ لَأَنَّهُمَا عَيْنَاهُ وَ أَنَا يَمِينُهُ  
فَهُوَ يَذُبُّ عَنْ عَيْنَيْهِ بِيَمِينِهِ

ص: ٢٨

١-١) سورة التغابن ١٤.

## ٢٠١ و من كلام له ع قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومه

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَعَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَيْثِي نَهَيْتُكُمْ الْحَرْبُ وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ وَهِيَ لِعِيدُكُمْ أَنَّهُكَ.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصِيبُحْتُ الْيَوْمَ مِمَّا مَرَّ وَأَنتَ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصِيبُحْتُ الْيَوْمَ مِنْهَا وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَ لَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ .

نهكتكم

بكسر الهاء أدنفتكم و أذابتكم و يجوز فتح الهاء و قد نهك الرجل أى دنف و ضنى فهو منهوك و عليه نهكه المرض أى أثره الحرب مؤنثه.

و قد أخذت منكم و تركت

أى لم تستأصلكم بل فيكم بعد بقيه و هى لعدوكم أنهك لأن القتل فى أهل الشام كان أشد استحرارا و الوهن فيهم أظهر و لو لا فساد أهل العراق برفع المصاحف لاستؤصل الشام و خلص الأشر إلى معاويه فأخذه بعنقه و لم يكن قد بقى من قوه الشام إلا كحرکه ذنب الوزغه عند قتلها يضطرب يمينا و شمالا و لكن الأمور السماويه لا تغالب .

فأما قوله كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا فقد قدمنا شرح حالهم من قبل و أن أهل العراق لما رفع عمرو بن العاص و من معه المصاحف على وجه المكيد

ص: ٢٩

حين أحس بالعطب و علو كلمه أهل الحق أزموا أمير المؤمنين ع بوضع أوزار الحرب و كف الأيدى عن القتال و كانوا فى ذلك على أقسام فمنهم من دخلت عليه الشبهه برفع المصاحف و غلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعه و حيله بل حقا و دعاء إلى الدين و موجب الكتاب فرأى أن الاستسلام للحجه أولى من الإصرار على الحرب.

و منهم من كان قد مل الحرب و آثر السلم فلما رأى شبهه ما يسوغ التعلق بها فى رفض المحاربه و حبّ العافيه أخلد إليهم.

و منهم من كان يبغض عليا ع بباطنه و يطيعه بظاهره كما يطيع كثير من الناس السلطان فى الظاهر و يبغضه بقلبه فلما وجدوا طريقا إلى خذلانه و ترك نصرته أسرعوا نحوها فاجتمع جمهور عسكره عليه و طالبوه بالكف و ترك القتال فامتنع امتناع عالم بالمكيد و قال لهم إنها حيله و خديعه و إنى أعرف بالقوم منكم إنهم ليسوا بأصحاب قرآن و لا دين قد صحبتهم و عرفتهم صغيرا و كبيرا فعرفت منهم الإعراض عن الدين و الركون إلى الدنيا فلا تراعوا برفع المصاحف و صمموا على الحرب و قد ملكتموهم فلم يبق منهم إلاّ حشاشه ضعيفه و ذماء قليل فأبوا عليه و ألحوا و أصرروا على القعود و الخذلان و أمروه بالإنفاذ إلى المحاربين من أصحابه و عليهم الأشترا أن يأمرهم بالرجوع و تهددوه إن لم يفعل بإسلامه إلى معاويه فأرسل إلى الأشترا يأمره بالرجوع و ترك الحرب فأبى عليه فقال كيف أرجع و قد لاحت أمارات الظفر فقولوا له ليمهلنى ساعه واحده و لم يكن علم صوره الحال كيف قد وقعت فلما عاد إليه الرسول بذلك غضبوا و نفروا و شغبوا و قالوا أنفذت إلى الأشترا سرا و باطنا تأمره بالتصميم و تنهاه عن الكف و إن لم تعده الساعه و إلاّ قتلناك كما قتلنا عثمان فرجعت الرسل إلى الأشترا فقالوا له أ تحب أن تظفر بمكانك و أمير المؤمنين قد سل عليه

خمسون ألف سيف فقال ما الخبر قال إن الجيش بأسره قد أحرق به و هو قاعد بينهم على الأرض تحته نطع و هو مطرق و البارقه تلمع على رأسه يقولون لئن لم تعد الأشتر قتلناك قال ويحكم فما سبب ذلك قالوا رفع المصاحف قال و الله لقد ظننت حين رأيتهما رفعت أنها ستوقع فرقه و فتنه.

ثم كر راجعا على عقبه فوجد أمير المؤمنين ع تحت الخطر قد رده أصحابه بين أمرين إما أن يسلموه إلى معاوية أو يقتلوه و لا ناصر له منهم إلا ٢٠ ولداه و ابن عمه و نفر قليل لا يبلغون عشره فلما رآهم الأشتر سبهم و شتمهم و قال ويحكم أ بعد الظفر و النصر صب عليكم الخذلان و الفرقة يا ضعاف الأحلام يا أشباه النساء يا سفهاء العقول فشموه و سبوه و قهروه و قالوا المصاحف المصاحف و الرجوع إليها لا- نرى غير ذلك فأجاب أمير المؤمنين ع إلى التحكيم دفعا للمحذور الأعظم بارتكاب المحذور الأضعف فلذلك قال كنت أميرا فأصبحت مأمورا و كنت ناهيا فصرت منهيها و قد سبق من شرح حال التحكيم و ما جرى فيه ما يغنى عن إعادته



و هو من أصحابه يعودده فلما رأى سعه داره قال ما كنت تصنع [بسعه]

بسعه هذه الدار في الدنيا [أما]

و أنت إليها في الآخرة كنت أحوج و بلى إن شئت بلغت بها الآخرة تفرى فيها الضيف و تصل فيها الرحم و تطلع منها الحقوق  
مطالعها فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد قال و ما له قال لبس  
العباءة [العباءة]

و تخلى [من]

عن الدنيا قال علي به فلما حياء قال يا عدي نفسه لقد استهت بهم الخبيث أ ما رحمت أهلك و ولدك أ ترى الله أحل لك  
الطيبات و هو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت في حشونه ملبسك و جشوبه ما كلك  
قال ويحك إني لست كأنت إن الله تعالى فرض على أئمه [الحق]

العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفه الناس كئلا يتبغ بالفقير فقره .

هاهنا زائده مثل قوله تعالى كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (١).

وقوله و بلى إن شئت بلغت بها الآخره لفظ فصيح كأنه استدرك و قال و بلى على أنك قد تحتاج إليها في الدنيا لتجعلها وصله إلى نيل الآخره بأن تقرى فيها الضيف و الضيف لفظ يقع على الواحد و الجمع و قد يجمع فيقال ضيوف و أضياف و الرحم القرابه.

و تطلع منها الحقوق مطالعها

توقعها في مظان استحقاقها .

و العباء جمع عباءه و هى الكساء و قد تلين كما قالوا عطاءه و عظايه و صلاءه و صلايه.

و تقول على بفلان أى أحضره و الأصل أعجل به على فحذف فعل الأمر و دل الباقي عليه .

و يا عدى نفسه تصغير عدو و قد يمكن أن يراد به التحقير المحض هاهنا.

و يمكن أن يراد به الاستعظام لعداوته لها و يمكن أن يخرج مخرج التحنن و الشفقه كقولك يا بنى.

و استهام بك الخبيث يعنى الشيطان أى جعلك هائما ضالا و الباء زائده.

فإن قيل ما معنى قوله ع أنت أهون على الله من ذلك .

قلت لأن فى المشاهد قد يحل الواحد منا لصاحبه فعلا مخصوصا محاباه و مراقبه له

و هو يكره أن يفعله و البشر أهون على الله تعالى من أن يحل لهم أمرا مجامله و استصلاحا للحال معهم و هو يكره منهم فعله .

و قوله هذا أنت أى فما بالنرا نراك خشن الملبس و التقدير فيها أنت تفعل كذا فكيف تنهى عنه.

و طعام جشب أى غليظ و كذلك مجشوب و قيل إنّه الذى لا أدم معه .

قوله ع أن يقدرُوا أنفسهم بضعفه الناس أى يشبهوا و يمثلوا.

و تبغ الدم بصاحبه و تبوغ به أى هاج به و

٢٤٧٣

فِي الْحَدِيثِ عَلَيْكُمْ بِالْحِجَامَةِ لَا يَتَّبِعُ بِأَحَدِكُمْ الدَّمَ فَيَقْتُلُهُ.

و قيل أصل يتبغ يتبغى فقلب جذب و جبد أى يجب على الإمام العادل أن يشبه نفسه فى لباسه و طعامه بضعفه الناس جمع ضعيف لكيلا- يهلك الفقراء من الناس فإنهم إذا رأوا إمامهم بتلك الهيئه و بذلك المطعم كان أدعى لهم إلى سلوان لذات الدنيا و الصبر عن شهوات النفوس

**[ذكر بعض مقامات العارفين و الزهاد]**

٢٤٧٤

٨- وَ رَوَى أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُتَصَيِّفِ وَفَهُ دَخَلُوا خُرَاسَانَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا فَقَالُوا لَهُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَّرَ فِيمَا وَلَاَهُ اللَّهُ مِنَ الْأُمُورِ فَرَأَى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَوْلَى النَّاسِ أَنْ تُؤْمُوا النَّاسَ وَ نَظَرَ فِيكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فَرَأَى أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ فَرَأَى أَنَّ يَرُدُّ هَذَا الْأَمْرَ إِلَيْكَ وَ الْإِمَامَةُ تَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَأْكُلُ الْجَشِبَ وَ يَلْبَسُ الْخَشْنَ وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَ يَعُودُ الْمَرِيضَ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ يُوسُفَ كَانَ نَبِيًّا يَلْبَسُ أَفْيِيَهُ الدِّيَبَاجَ الْمُرَزَّرَةَ بِالذَّهَبِ وَ يَجْلِسُ عَلَى مُتَّكَاتٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَ يَحْكُمُ إِنَّمَا يُرَادُ مِنَ الْإِمَامِ قِسْطُهُ وَ عَدْلُهُ إِذَا قَالَ صَدَقَ

ص: ٣٤

وَ إِذَا حَكَمَ عَدَلَ وَ إِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ لِبُوسًا وَ لَا مَطْعَمًا ثُمَّ قَرَأَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (١) الآيَةَ

و هذا القول مخالف للقانون الذى أشار أمير المؤمنين إليه و للفلاسفه فى هذا الباب كلام لا بأس به و قد أشار إليه أبو على بن سينا فى كتاب الإشارات و عليه يتخرج قولاً أمير المؤمنين و على بن موسى الرضا ع قال أبو على فى مقامات العارفين العارفون قد يختلفون فى الهمم بحسب ما يختلف فيهم من الخواطر على حسب ما يختلف عندهم من دواعى العبر فربما استوى عند العارف القشف و الترف بل ربما آثر القشف و كذلك ربما سوى عنده التفل و العطر بل ربما آثر التفل و ذلك عند ما يكون الهاجس بباله استحقر ما عدا الحق و ربما صغاً إلى الزينه و أحب من كل شىء عقيلته (٢) و كره الخداج و السقط و ذلك عند ما يعتبر عادته من صحبته الأحوال الظاهره فهو يرتاد إليها فى كل شىء لأنه مزيه خطوه من العنايه الأولى و أقرب أن يكون من قبيل ما عكف عليه بهواه و قد يختلف هذا فى عارفين و قد يختلف فى عارف بحسب وقتين.

٢٤٧٥

١٤، ١- وَ اعْلَمَنَّ أَنَّ الَّذِي رَوَيْتُهُ عَنِ الشُّيُوخِ وَ رَأَيْتُهُ بِحَظِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَشَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادِ الْجَارِثِيِّ أَصَابَتْهُ نُسَابَةٌ فِي جَبِينِهِ فَكَانَتْ تَنْتَقِضُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ فَأَتَاهُ عَلِيُّ ع عَابِدًا فَقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ أَجِدُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ كَانَ لَا يَذْهَبُ مَا بِي إِلَّا بِذَهَابِ بَصِيرِي لَتَمَنَيْتُ ذَهَابَهُ قَالَ وَ مَا قِيمَهُ بَصْرِكَ عِنْدَكَ قَالَ لَوْ كَانَتْ لِي الدُّنْيَا لَفَدَيْتُهُ بِهَا قَالَ لَا جَرَمَ لِيُعْطِيَنَّكَ اللَّهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي عَلَى قَدْرِ الْأَلَمِ وَ الْمُصِيبَةِ وَ عِنْدَهُ تَضْعِيفٌ كَثِيرٌ قَالَ الرَّبِيعُ

ص: ٣٥

١- ١) سورة الأعراف ٣٢.

٢- ٢) العقيله من كل شىء أكرمه، جمعها عقائل.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا أَشْكُو إِلَيْكَ عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ أَخِي قَالَ مَا لَهُ قَالَ لَبَسَ الْعَبَاءَ وَ تَرَكَ الْمَلَاءَ وَ غَمَّ أَهْلَهُ وَ حَزَنَ وُلْدَهُ فَقَالَ عَلِيُّ  
أَدْعُوا لِي عَاصِمًا فَلَمَّا أَتَاهُ عَبَسَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ وَيْحَكَ يَا عَاصِمُ أ تَرَى اللَّهَ أَبَاحَ لَكَ اللَّذَاتِ وَ هُوَ يَكْرَهُ مَا أَخَذْتَ مِنْهَا لَأَنْتَ  
أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١) ثُمَّ يَقُولُ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ وَ الْمَرْجَانُ (٢) وَ قَالَ وَ مِنْ  
كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا (٣) أَمَا وَ اللَّهُ إِنْ ائْتَدَالَ نِعَمَ اللَّهِ بِالْفَعَالِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ ائْتَدَالِهَا بِالْمَقَالِ وَ قَدْ  
سَمِعْتُمُ اللَّهَ يَقُولُ وَ أَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (٤) وَ قَوْلُهُ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ إِنْ اللَّهَ خَاطَبَ  
الْمُؤْمِنِينَ بِمَا خَاطَبَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ (٥) وَ قَالَ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ  
اعْمَلُوا صَالِحًا (٦) وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِيُغْضَ نِسَائِهِ مَا لِي أَرَاكِ شَعْنَاءَ مَرْهَاءَ سَلْتَاءَ (٧).

قَالَ عَاصِمٌ فَلِمَ اقْتَصِرْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لُبْسِ الْخَشَنِ وَ أَكْلِ الْجَشْبِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيَّ أَيْمَهُ الْعِدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا  
لِأَنْفُسِهِمْ بِالْقَوَامِ كَيْلًا يَسْبِغُ بِالْفَقِيرِ فَقَرُّهُ فَمَا قَامَ عَلَيَّ ع حَتَّى نَزَعَ عَاصِمُ الْعَبَاءَ وَ لَبَسَ مَلَاءَةً

و الربيع بن زياد هو الذي افتتح بعض خراسان و فيه قال عمر دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ إِذَا كَانَ

ص: ٣٦

١-١) سورة الرحمن ١٩.

٢-٢) سورة الرحمن ٢٢.

٣-٣) سورة فاطر ١٢.

٤-٤) سورة الضحى ١١.

٥-٥) سورة البقرة ١٧٢.

٦-٦) سورة المؤمنون ٥١.

٧-٧) المرهاء: التي لا تكتحل. و السلطاء: التي لا تختضب.

فى القوم أميرا فكأنه ليس بأمير و إذا كان فى القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه و كان خيرا متواضعا و هو صاحب الوقعه مع عمر لما أحضر العمّال فتوحش له الربيع و تقشف و أكل معه الجشب من الطعام فأقره على عمله و صرف الباقيين و قد ذكرنا هذه الحكايه فيما تقدم.

٢٤٧٦

وَ كَتَبَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ وَ هُوَ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ خُرَّاسَانَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيَّ يَا مُرُكَ أَنْ تُحْرَزَ الصَّفْرَاءُ وَ الْبَيْضَاءُ وَ تُقَسَّمِ الْخُرَّتِيُّ (١) وَ مَا أَشْبَهَهُ عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ إِنِّي وَجِدْتُ كِتَابَ اللَّهِ قَبْلَ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ نَادَى فِي النَّاسِ أَنْ ااغْدُوا عَلَى غَنَائِمِكُمْ فَأَخَذَ الْخُمْسَ وَ قَسَمَ الْبَاقِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ دَعَا اللَّهَ أَنْ يُمِيتَهُ فَمَا جَمَعَ حَتَّى مَاتَ.

و هو الربيع بن زياد بن أنس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وعله بن خالد بن مالك بن أدد .

و أما العلاء بن زياد الذى ذكره الرضى رحمه الله فلا أعرفه لعل غيرى يعرفه

ص: ٣٧

١-١) الخرتى:أردأ المتناع.

فقال ع إن في أيدي الناس حقا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عاما و خاصا و محكما و مشابها و حفظا و [وهما]

وهما و [قد]

لقد كذب على رسول الله ص على عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار و إنما أتاك بالحدِيث أربعه رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم و لا يتخرج يكذب على رسول الله ص متعمدا فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه و لم يصدقوا قوله و لكنهم قالوا صاحب رسول الله ص رآه و سمع منه و لقي عنه فيأخذون بقوله و قد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك و وصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده فتفرّبوا إلى أبيهم الضلالة و الدعاة إلى النار بالزور و البهتان فلوهم الأعمال و جعلوهم حكاما على رقاب الناس فأكلوا بهم الدنيا و إنما الناس مع الملوك و الدنيا إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة و رجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه و لم يتعمد

كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَزْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ وَ لَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ وَ رَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَ لَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ وَ آخِرُ رَابِعٍ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَ لَا عَلَى رَسُولِهِ مُنْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَ تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ لَمْ يَهْمُ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ [سَمِعَهُ]

لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ وَ حَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَبَّبَ عَنْهُ وَ عَرَفَ الْخَاصَّ وَ الْعَامَّ وَ الْمُحْكَمَ وَ الْمُشَابِهَ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مُؤْضِعَهُ وَ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَ كَلَامٌ عَامٌّ فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهِ وَ لَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَ يُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَ مَا [قَصَدَ]

قُصِدَ بِهِ وَ مَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ وَ لَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَ يَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا لِيَحْبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْمَاعْرَبِيُّ وَ الطَّارِئُ فَيَسْأَلُهُ حَتَّى يَسْمَعُوا وَ كَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتَهُ عَنْهُ وَ حَفِظْتَهُ فَهَيْدِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَ عَلَيْهِمْ فِي رَوَايَاتِهِمْ .



الكلام فى تفسير الألفاظ الأصوليه و هى العام و الخاص و الناسخ و المنسوخ و الصدق و الكذب و المحكم و المتشابه موكول إلى فن أصول الفقه و قد ذكرناه فيما أمليناه من الكتب الأصوليه و الإطاله بشرح ذلك فى هذا الموضوع مستهجنه.

قوله ع و حفظا و وهما الهاء مفتوحه و هى مصدر و همت بالكسر أو هم أى غلطت و سهوت و قد روى وهما بالتسكين و هو مصدر و همت بالفتح أو هم إذا ذهب و همك إلى شىء و أنت تريد غيره و المعنى متقارب .

و

٢٤٧٧

قَوْلُ النَّبِيِّ ص فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ .

كلام صيغته الأمر و معناه الخبر كقوله تعالى قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مِدًّا (١) و تبوأ المنزل نزلته و بوأته منزلا أنزلته فيه .

و التأثم الكف عن موجب الإثم و التخرج مثله و أصله الضيق كأنه يضيق على نفسه .

و لقف عنه

تناول عنه .

و جنب عنه أخذ عنه جانبا .

و إن فى قوله حتى إن كانوا ليجبون مخففه من الثقيله و لذلك جاءت اللام فى الخبر.

و الطارئ بالهمز الطالع عليهم طراً أى طلع و قد روى عليهم بالرفع عطفا على وجوه و روى بالجر عطفا على اختلافهم

ص : ٤٠

و اعلم أن هذا التقسيم صحيح و قد كان فى أيام الرسول ص منافقون و بقوا بعده و ليس يمكن أن يقال إن النفاق مات بموته و السبب فى استتار حالهم بعده أنه ص كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن فإنه مشحون بذكرهم ألا ترى أن أكثر ما نزل بالمدينه من القرآن مملوء بذكر المنافقين فكان السبب فى انتشار ذكرهم و أحوالهم و حركاتهم هو القرآن فلما انقطع الوحي بموته ص لم يبق من ينعى عليهم سقطاتهم و يوبخهم على أعمالهم و يأمر بالحدز منهم و يجاهرهم تاره و يجاملهم تاره و صار المتولى للأمر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجامله و يعاملهم بالظاهر و هو الواجب فى حكم الشرع و السياسه الدينويه بخلاف حال الرسول ص فإنه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف ألا ترى أنه قيل له **وَلَا تُصَلِّ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا (١)** فهذا يدل على أنه كان يعرفهم بأعيانهم و إلا- كان النهى له عن الصلاه عليهم تكليف ما لا يطاق و الوالى بعده لا يعرفهم بأعيانهم فليس مخاطبا بما خوطب به ص فى أمرهم و لسكوت الخلفاء عنهم بعده حمل ذكرهم فكان قصارى أمر المنافق أن يسر ما فى قلبه و يعامل المسلمين بظاهره و يعاملونه بحسب ذلك ثم فتحت عليهم البلاد و كثرت الغنائم فاشتغلوا بها عن الحركات التى كانوا يعتمدونها أيام رسول الله و بعثهم الخلفاء مع الأمراء إلى بلاد فارس و الروم فألهتهم الدنيا عن الأمور التى كانت تنقم منهم فى حياه رسول الله ص و منهم من استقام اعتقاده و خلصت نيته لما رأوا الفتوح و إلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمه و الكنوز الجليله إليهم فقالوا لو لم يكن هذا الدين

ص: ٤١

حقا لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه و بالجمله لما تركوا تركوا و حيث سكت عنهم سكتوا عن الإسلام و أهله إلا في دسيسه خفيه يعملونها نحو الكذب الذى أشار إليه أمير المؤمنين ع فإنه خالط الحديث كذب كثير صدر عن قوم غير صحيحى العقيدة قصدوا به الإضلال و تخييط القلوب و العقائد و قصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم فى التنويه بذكرهم غرض دنيوى و قد قيل إنه افتعل فى أيام معاويه خاصه حديث كثير على هذا الوجه و لم يسكت المحدثون الراسخون فى علم الحديث عن هذا بل ذكروا كثيرا من هذه الأحاديث الموضوعه و بينوا وضعها و أن روايتها غير موثوق بهم إلا أن المحدثين إنما يطعنون فيما دون طبقه الصحابه و لا يتجاسرون فى الطعن على أحد من الصحابه لأن عليه لفظ الصحبه على أنهم قد طعنوا فى قوم لهم صحبه كبسر بن أرطاه و غيره.

فإن قلت من هم أئمة الضلاله الذين يتقرب إليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله ص و صحبوه للزور و البهتان و هل هذا إلا تصريح بما تذكره الإماميه و تعتقده.

قلت ليس الأمر كما ظننت و ظنوا و إنما يعنى معاويه و عمرو بن العاص و من شايعهما على الضلال

٢٤٧٨

كَالْحَبْرِ الَّذِي رَوَاهُ مِنْ رَوَاهُ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ اللَّهْمُ قِهِ الْعَذَابَ وَ الْحِسَابَ وَ عَلَّمَهُ الْكِتَابَ .

٢٤٧٩

وَ كَرَوَاهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ تَقَرُّبًا إِلَى قَلْبِ مُعَاوِيَةَ إِنَّ آلَ أَبِي طَالِبٍ لَيَسُؤَالِي بِأَوْلِيَاءِ إِنَّمَا وَلِيَّيَ اللَّهُ .. وَ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ .

و كروايه قوم فى أيام معاويه أخبارا كثيره من فضائل عثمان تقربا إلى معاويه بها و لسنا نجحد فضل عثمان و سابقته و لكننا نعلم أن بعض الأخبار الوارده فيه موضوع كخبر عمرو بن مره فيه و هو مشهور و عمرو بن مره ممن له صحبه و هو شامى

ص: ٤٢



إِلَى زَمَانِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ قَاتِلِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُمْ كُلَّ قَتْلِهِ وَأَخَذَهُمْ بِكُلِّ ظَنِّهِ وَتُهْمِهِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُقَالُ لَهُ زَنْدِيقٌ أَوْ كَافِرٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُقَالَ شَيْعَةُ عَلِيٍّ وَحَتَّى صَارَ الرَّجُلُ الَّذِي يُذَكَّرُ بِالْخَيْرِ وَلَعَلَّهُ يَكُونُ وَرِعًا صِدُوقًا يُحَدِّثُ بِأَحَادِيثِ عَظِيمِهِ عَجَبِيهِ مِنْ تَفْضِيلِ بَعْضِ مَنْ قَدْ سَلَفَ مِنَ الْوَالِيَةِ وَ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْهَا وَلَا كَانَتْ وَلَا وَقَعَتْ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهَا حَقٌّ لِكَثْرَةِ مَنْ قَدْ رَوَاهَا مِمَّنْ لَمْ يُعْرِفْ بِكَذِبٍ وَلَا بِقَلْبِهِ وَرَعٌ

٢٤٨١

١،٢،٣- وَ رَوَى أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي سَيْفِ الْمِدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ الْأَحْدَاثِ قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ نُسَيْخَهُ وَاحِدَةً إِلَى عَمَّالِهِ بَعِيدِ عِيَامِ الْجَمَاعَةِ أَنْ بَرِّتِ الذَّمُّ مِمَّنْ رَوَى شَيْئًا مِنْ فَضْلِ أَبِي تَرَابٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَامَتِ الْخُطْبَاءُ فِي كُلِّ كُورَةٍ وَ عَلَى كُلِّ مَنِيرٍ يَلْعَنُونَ عَلِيًّا وَ يَبْرُءُونَ مِنْهُ وَ يَفْعُونَ فِيهِ وَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَ كَمَا أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً حِينَئِذٍ أَهْلُ الْكُوفَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ بِهَا مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ عَ فَاسَدَتِ عَمَلُهُمْ عَلَيْهِمْ زِيَادُ بْنُ سُمَيْيَةَ وَ ضَمَّ إِلَيْهِ الْبَصْرَةَ فَكَانَ يَتَّبِعُ الشَّيْعَةَ وَ هُوَ بِهِمْ عَارِفٌ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ أَيَّامَ عَلِيٍّ عَ فَقَتَلَهُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَ مَدْرٍ وَ أَخَافَهُمْ وَ قَطَعَ الْأَيْدِي وَ الْأَرْجُلَ وَ سَمَلَ الْعُيُونَ وَ صَلَبَهُمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ وَ طَرَدَهُمْ وَ شَرَدَهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ فَلَمْ يَبْقَ بِهَا مَعْرُوفٌ مِنْهُمْ وَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَمَّالِهِ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ أَلَّا يُجِيزُوا لِأَحَدٍ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ شَهَادَةً وَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ انْظُرُوا مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ شَيْعَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ أَهْلِ لَآئِنِهِ وَ الَّذِينَ يَزُورُونَ فَضَائِلَهُ وَ مَنَاقِبَهُ فَادْنُوا مَجَالِسَهُمْ وَ قَرَّبُوهُمْ وَ أَكْرِمُوهُمْ وَ اكْتُبُوا لِي بِكُلِّ مَا يَزُورِي كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَ اسْمِهِ وَ اسْمِ أَبِيهِ وَ عَشِيرَتِهِ.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى أَكْثُرُوا فِي فَضَائِلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ مَنَاقِبِهِ لِمَا كَانَ يَبْعَثُهُ إِلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ مِنَ الصَّلَاتِ وَ الْكِسَاءِ وَ الْجَبَائِ وَ الْقَطَائِعِ وَ يُفِيضُهُ فِي الْعَرَبِ مِنْهُمْ وَ الْمَوَالِي فَكَثُرَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مِصْرٍ وَ تَنَافَسُوا فِي الْمَنَازِلِ وَ الدُّنْيَا فَلَيْسَ يَجِيءُ أَحَدٌ مَرْدُودٌ مِنَ النَّاسِ عَامِلًا مِنْ

ص: ٤٤

عَمَّالٍ مُعَاوِيَةَ فَيُرَوِّي فِي عُثْمَانَ فَضِيلَهُ أَوْ مَنْقَبَهُ إِلَّا كَتَبَ اسْمَهُ وَقَرَّبَهُ وَشَفَعَهُ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ حِينًا.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ أَنَّ الْحَدِيثَ فِي عُثْمَانَ قَدْ كَثُرَ وَفُشِيَ فِي كُلِّ مِصْرٍ وَ فِي كُلِّ وَجْهِ وَ نَاحِيَةٍ فَإِذَا جَاءَ كُمْ كِتَابِي هَذَا فَادْعُوا النَّاسَ إِلَى الرَّوَايَةِ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ وَ لَا تَتْرَكُوا خَيْرًا يَرَوِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَبِي تُرَابٍ إِلَّا وَ تَأْتُونِي بِمُنَاقِضٍ لَهُ فِي الصَّحَابَةِ فَإِنَّ هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ وَ أَقْرَبُ لِعَيْنِي وَ أَدْحَضُ لِحُجَّتِهِ أَبِي تُرَابٍ وَ شَيْعَتِهِ وَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ وَ فَضِيلِهِ.

فَقُرِئَتْ كُتُبُهُ عَلَى النَّاسِ فَرَوِيَتْ أَخْبَارًا كَثِيرَةً فِي مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ مُفْتَعَلَةً لَا حَقِيقَةَ لَهَا وَ حَيْدَ النَّاسِ فِي رِوَايَةِ مَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى حَتَّى أَشَادُوا بِذِكْرِ ذَلِكَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَ أَلْفَى إِلَى مُعَلِّمِي الْكُتَاتِبِ فَعَلَّمُوا صِبْيَانَهُمْ وَ غَلَمَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْكَثِيرِ الْوَاسِعِ حَتَّى رَوَوْهُ وَ تَعَلَّمُوهُ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ وَ حَتَّى عَلَّمُوهُ بَنَاتِهِمْ وَ نِسَاءَهُمْ وَ خَدَمَهُمْ وَ حَشَمَهُمْ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ نُسْخَةَ وَاحِدَةٍ إِلَى جَمِيعِ الْبُلْدَانِ انظُرُوا مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيًّا وَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَاْمُحُوهُ مِنَ الدِّيْوَانِ وَ أَسْقِطُوا عَطَاءَهُ وَ رِزْقَهُ وَ شَفَعَ ذَلِكَ بِنُسْخَةِ أُخْرَى مِنْ اتَّهَمْتُمُوهُ بِمُؤَالَاهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَانْكَلُوا بِهِ وَ أَهْدَمُوا دَارَهُ فَلَمْ يَكُنِ الْبَلَاءُ أَشَدَّ وَ لَا أَكْثَرَ مِنْهُ بِالْعِرَاقِ وَ لَا سِوَمَا بِالْكُوفَةِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ عَ لِيَأْتِيَهُ مَنْ يَتَّقُ بِهِ فَيَدْخُلُ بَيْتَهُ فَيُلْقِي إِلَيْهِ سِرَّةً وَ يَخَافُ مِنْ خَادِمِهِ وَ مَمْلُوكِهِ وَ لَا يُحَدِّثُهُ حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ الْأَيْمَانَ الْغَلِيظَةَ لِيَكْتُمَنَّ عَلَيْهِ فَظَهَرَ حَدِيثُ كَثِيرٍ مَوْضُوعٍ وَ بُهْتَانٍ مُنْتَشِرٍ وَ مَضَى عَلَى ذَلِكَ الْفُقَهَاءُ وَ الْقُضَاةُ وَ الْوُلاةُ وَ كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ بِلِيَّةِ الْقُرَاءِ الْمُرَائُونَ وَ الْمُسْتَضْعَفُونَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْخُشُوعَ وَ النُّسْكَ فَيَفْتَعِلُونَ الْأَحَادِيثَ لِيَحْظُوا بِذَلِكَ عِنْدَ وُلَاتِهِمْ وَ يَقْرَبُوا مَجَالِسَهُمْ وَ يُصِيبُوا بِهِ الْأَمْوَالَ وَ الضِّيَاعَ

وَالْمَنَازِلَ حَتَّى انْتَقَلَتْ تِلْكَ الْأَخْبَارُ وَالْأَحَادِيثُ إِلَى أَيْدِي الدَّيَانِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَحِلُّونَ الْكَذِبَ وَالبُهْتَانَ فَقَبِلُوهَا وَرَوُّهَا وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهَا حَقٌّ وَ لَوْ عَلِمُوا أَنَّهَا بَاطِلَةٌ لَمَّا رَوُّوهَا وَ لَا تَدَيُّنُوا بِهَا.

فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع فَازْدَادَ الْبَلَاءُ وَ الْفِتْنَةُ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِلَّا وَهُوَ خَائِفٌ عَلَى دَمِهِ أَوْ طَرِيدٌ فِي الْأَرْضِ.

ثُمَّ تَصَافَمَ الْأَمْرُ بَعِيدَ قَتْلِ الْحَسَنِ ع وَ وُلَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَاشْتَدَّ عَلَى الشَّيْعَةِ وَ وُلَى عَلَيْهِمُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ فَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ أَهْلُ النُّسُكِ وَ الصَّلَاحِ وَ الدِّينِ بِبُغْضِ عَلِيٍّ وَ مَوَالِهِ أَعْدَائِهِ وَ مَوَالِهِ مِنْ يَدِّ عَمِي مِنَ النَّاسِ أَنَّهُمْ أَيْضًا أَعْدَاؤُهُ فَكَثُرُوا فِي الرِّوَايَةِ فِي فَضْلِهِمْ وَ سَوَابِقِهِمْ وَ مَنَاقِبِهِمْ وَ أَكْثَرُوا مِنَ الْغَضِّ مِنْ عَلِيٍّ ع وَ عَيْبِهِ وَ الطَّعْنِ فِيهِ وَ الشَّنْئَانِ لَهُ حَتَّى أَنَّ إِنْسَانًا وَقَفَ لِلْحَجَّاجِ وَ يُقَالُ إِنَّهُ حَيْدُ الْأَصْبَحِيِّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَرِيبٍ فَصَاحَ بِهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ أَهْلِي عَقُونِي فَسَمَّوْنِي عَلِيًّا وَ إِنِّي فَقِيرٌ بِائِسٌ وَ أَنَا إِلَى صِلَةِ الْأَمِيرِ مُخْتَاجٌ فَتَضَاحَكَ لَهُ الْحَجَّاجُ وَ قَالَ لِلطُّفِّ مَا تَوَسَّلْتَ بِهِ قَدْ وَلَّيْتُكَ مَوْضِعَ كَذَا

٢٤٨٢

وَ قَدْ رَوَى ابْنُ عَرَفَةَ الْمَعْرُوفُ بِنَفْطَوِيهِ وَ هُوَ مِنْ أَكْبَابِ الْمُحَدِّثِينَ وَ أَغْلَاحِهِمْ فِي تَارِيخِهِ مَا يَنْبَسُ هَذَا الْخَبَرَ وَ قَالَ إِنَّ أَكْثَرَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ أَفْتَعَلَتْ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ تَقَرُّبًا إِلَيْهِمْ بِمَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُرْغَمُونَ بِهِ أَنْوَفَ بَنِي هَاشِمٍ .

قلت ولا يلزم من هذا أن يكون على ع يسوءه أن يذكر الصحابه و المتقدمون عليه بالخير و الفضل إلا أن معاويه و بنى أمية كانوا يبنون الأمر من هذا على ما يظنونه في على ع من أنه عدو من تقدم عليه و لم يكن الأمر في الحقيقة كما

ص: ٤٦

يظنونه و لكنه كان يرى أنه أفضل منهم و أنهم استأثروا عليه بالخلافه من غير تفسيق منه لهم و لا براءه منهم .

فأما قوله ع و رجل سمع من رسول الله شيئا و لم يحفظه على وجهه فوهم فيه فقد وقع ذلك

٢٤٨٣

١٤- وَ قَالَ أَصِيحَابُنَا فِي الْخَبْرِ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ الْمَيِّتَ لِيَعْدَبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا رَوَى لَهُ هَذَا الْخَبْرُ قَالَ ذَهَلَ ابْنُ عُمَرَ إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى قَبْرِ يَهُودِيٍّ فَقَالَ إِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَيَعْدَبُ.

وَ قَالُوا أَيْضاً إِنَّ عَائِشَةَ أَنْكَرَتْ ذَلِكَ وَ قَالَتْ ذَهَلَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَمَا ذَهَلَ فِي خَبْرِ قَلْبِ بَيْدْرِ إِنَّمَا قَالَ ع إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَيَعْدَبُ بِجُزْمِهِ.

قَالُوا وَ مَوْضِعُ غَلَطِهِ فِي خَبْرِ الْقَلْبِ أَنَّهُ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ص وَقَفَ عَلَى قَلْبِ بَيْدْرِ فَقَالَ هَلْ وَحِدْتُمْ مَا وَعَدْتُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ لَهُمْ فَأَنْكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ وَ قَالَتْ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُهُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ وَ اسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى (١)

فأما الرجل الثالث و هو الذي يسمع المنسوخ و لم يسمع الناسخ فقد وقع كثيرا و كتب الحديث و الفقه مشحونه بذلك كالذين أباحوا لحوم الحمر الأهليه لخبر رووه في ذلك و لم يرووا الخبر الناسخ.

و أما الرجل الرابع فهم العلماء الراسخون في العلم .

و أما قوله ع و قد كان يكون من رسول الله ص الكلام له

ص: ٤٧



فهذا داخل فى القسم الثانى و غير خارج عنه و لكنه كالنوع من الجنس لأن الوهم و الغلط جنس تحته أنواع.

و اعلم أن أمير المؤمنين ع كان مخصوصا من دون الصحابه رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله ص لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما و كان كثير السؤال للنبي ص عن معانى القرآن و عن معانى كلامه ص و إذا لم يسأل ابتداءه النبي ص بالتعليم و التثقيف و لم يكن أحد من أصحاب النبي ص كذلك بل كانوا أقساما فمنهم من يهابه أن يسأله و هم الذين يحبون أن يجيء الأعرابى أو الطارئ فيسأله و هم يسمعون و منهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمه فى النظر و البحث و منهم من كان مشغولا عن طلب العلم و فهم المعانى إِمَّا بعباده أو دنيا و منهم المقلد يرى أن فرضه السكوت و ترك السؤال و منهم المبغض الشائى الذى ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته و زمانه بالسؤال عن دقائقه و غوامضه و انضاف إلى الأمر الخاص بعلى ع ذكاؤه و فطنته و طهاره طينته و إشراق نفسه و ضوءها و إذا كان المحل قابلا متهيئا كان الفاعل المؤثر موجودا و الموانع مرتفعه حصل الأثر على أتم ما يمكن فلذلك كان على ع كما قال الحسن البصرى ربانى هذه الأمه و ذا فضلها و لذا تسميه الفلاسفه إمام الأئمه و حكيم العرب

#### [فصل فيما وضع الشيعة و البكره من الأحاديث]

و اعلم أن أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهه الشيعة فإنهم وضعوا

فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفه فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوه خصومهم نحو حديث السطل و حديث الرمانه و حديث غزوه البئر التى كان فيها الشياطين و تعرف كما زعموا بذات العلم و حديث غسل سلمان الفارسى و طى الأرض و حديث الجمجمه و نحو ذلك فلما رأت البكرىه ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابله هذه الأحاديث نحو لو كنت متخذاً خليلاً فإنهم وضعوه فى مقابله حديث الإخاء و نحو سد الأبواب فإنه كان لعلى ع فقلبتة البكرىه إلى أبى بكر و نحو ايتونى بدواه و بياض أكتب فيه لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان ثم قال يابى الله تعالى و المسلمون إلا أباً بكر فإنهم وضعوه فى مقابله

٢٤٨٤

١٤- الحديث المروى عنه فى مرضه ايتونى بدواه و بياض أكتب لكم ما لا تفضلون بعده أبداً فاختلّفوا عنده و قال قوم منهم لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله .

و نحو حديث أنا راض عنك فهل أنت عنى راض و نحو ذلك فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرىه أوسعوا فى وضع الأحاديث فوضعوا حديث الطوق الحديد الذى زعموا أنه قتله فى عنق خالد و حديث اللوح الذى زعموا أنه كان فى غدائر الحنفية أم محمد و حديث لا يفعلن خالد ما أمر به و حديث الصحيفة التى علقتم عام الفتح بالكعبة و حديث الشيخ الذى صعد المنبر يوم بويج أبو بكر فسبق الناس إلى بيعته و أحاديث مكذوبه كثيره تقتضى نفاق قوم من أكابر الصحابه و التابعين الأولين و كفرهم و على أدون الطبقات فيهم فقابلتهم البكرىه بمطاعن كثيره فى على و فى ٣ ولديه و نسبه تاره إلى ضعف العقل و تاره إلى ضعف السياسه و تاره إلى حب الدنيا و الحرص عليها و لقد كان الفريقان فى غنيه عما اكتسباه و اجترحاه و لقد كان فى فضائل على ع الثابته الصحيحه و فضائل أبى بكر المحققه

ص: ٤٩

المعلومه ما يغنى عن تكلف العصبية لهما فإن العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل و من تعديل المحاسن إلى تعديل المساوىء و المقابح و نسال الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى و حب العصبية و أن يجرينا على ما عودنا من حب الحق أين وجد و حيث كان سخط ذلك من سخط و رضى به من رضى بمنه و لطفه

ص : ٥٠

وَ كَانَ مِنْ اقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ وَ يَدِيدِ لَطَائِفِ صِنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرِ الْمُتَرَكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ ارْتِفَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ وَ قَامَتْ عَلَى حَدِّهِ وَ أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَنِّجِرُ وَ الْقَمَقَامُ الْمُسْحَرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَ أذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ وَ وَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادَهَا [أَطْوَادَهَا]

فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا وَ أَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا [قَرَارَاتِهَا]

فَمَضَتْ رُءُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ وَ رَسَتْ أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا وَ أَسَاحَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا وَ أَطَالَ أَنْشَازَهَا وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا وَ أَرَزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا فَسُبِحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بِغَيْدِ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبِهِ أَكْنَافِهَا فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا وَ بَسِطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا فَوْقَ بَحْرِ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي وَ قَائِمٍ لَا يَسْرِي تُكْرِكُهُ الرِّيَّاحُ الْعَوَاصِفُ وَ تَمُخِّضُهُ الْعَمَامُ الدَّوَارِفُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى .

أراد أن يقول و كان من اقتداره فقال و كان من اقتدار جبروته تعظيما و تفخيما كما يقال للملك أمرت الحضرة الشريفه بكذا و البحر الزاخر الذى قد امتد جدا و ارتفع و المتراكم المجتمع بعضه على بعض و المتقاصف الشديد الصوت قصف الرعد و غيره قصيفا.

و اليبس بالتحريك المكان يكون رطبا ثم ييبس و منه قوله تعالى فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً (١) و اليبس بالسكون اليباس خلقه حطب ييبس هكذا يقوله أهل اللغة و فيه كلام لأن الحطب ليس يابسا خلقه بل كان رطبا من قبل فالأصوب أن يقال لا تكون هذه اللفظه محرکه إلا فى المكان خاصه و فطر خلق و المضارع يفطر بالضم فطرا.

و الأطباق جمع طبق و هو أجزاء مجتمعه من جراد أو غيم أو ناس أو غير ذلك من حيوان أو جماد يقول خلق منه أجساما مجتمعه مرتتقه ثم فتقها سبع سموات و روى ثم فطر منه طباقا أى أجساما منفصله فى الحقيقه متصله فى الصوره بعضها فوق بعض و هى من ألفاظ القرآن (٢) المجيد و الضمير فى منه يرجع إلى ماء البحر فى أظهر النظر و قد يمكن أن يرجع إلى اليبس.

و اعلم أنه قد تكرر فى كلام أمير المؤمنين ما يماثل هذا القول و يناسبه و هو مذهب

ص: ٥٢

١- ١) سورة طه ٧٧.

٢- ٢) و هو قوله تعالى فى سورة الملك ٣: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا، و قوله فى سورة نوح ١٥: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا .

كثير من الحكماء الذين قالوا بحدوث السماء منهم ثاليس الملطي قالوا أصل الأجسام الماء و خلقت الأرض من زبده و السماء من بخاره و قد جاء القرآن العزيز بنحو هذا قال سبحانه الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (١).

قال شيخنا أبو علي و أبو القاسم رحمهما الله في تفسيريهما هذه الآية داله على أن الماء و العرش كانا قبل خلق السماوات و الأرض قالوا- و كان الماء على الهواء قالوا و هذا يدل أيضا على أن الملائكة كانوا موجودين قبل خلق السماوات و الأرض لأن الحكيم سبحانه لا يجوز أن يقدم خلق الجماد على خلق المكلفين لأنه يكون عبثا.

و قال علي بن عيسى الرمانى من مشايخنا أنه غير ممتنع أن يخلق الجماد قبل الحيوان إذا علم أن فى إخبار المكلفين بذلك لطفاً لهم و لا- يصح أن يخبرهم إلا- و هو صادق فيما أخبر به و إنما يكون صادقا إذا كان المخبر خبره على ما أخبر عنه و فى ذلك حسن تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان و كلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه كان يذهب إلى أن الأرض موضوعه على ماء البحر و أن البحر حامل لها بقدره الله تعالى و هو معنى قوله يحملها الأخضر المثنجر و القمقام المسخر و أن البحر الحامل لها قد كان جاريا فوقف تحتها و أنه تعالى خلق الجبال فى الأرض فجعل أصولها راسخه فى ماء البحر الحامل للأرض و أعاليها شامخه فى الهواء و أنه سبحانه جعل هذه الجبال عمادا للأرض و أوتادا تمنعها من الحركة و الاضطراب و لولاها لماجت و اضطربت و أن هذا البحر الحامل للأرض تصعد فيه الرياح الشديده فتحرکه حركه عنيفه و تموج السحب التى تغترف الماء منه لتمطر الأرض به و هذا كله مطابق لما فى الكتاب العزيز و السنه النبويه و النظر الحكيمى أ لا ترى إلى قوله تعالى أ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

ص: ٥٣

كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (١) و هذا هو صريح قوله ع ففتقها سبع سموات بعد ارتقاها و إلى قوله تعالى وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ (٢) و إلى

٢٤٨٥

مَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ مَدْحُوَّةٌ عَلَى الْمَاءِ وَ أَنَّ الرِّيَّاحَ تَسُوقُ السُّحْبَ إِلَى الْمَاءِ نَازِلَةً ثُمَّ تَسُوقُهَا عَنْهُ صَاعِدَةً بَعْدَ اقْتِلَابِهَا ثُمَّ تَمْطُرُ.

و أمّا النظر الحكمي فمطابق لكلامه إذا تأمله المتأمل و حمله على المحمل العقلي و ذلك لأن الأرض هي آخر طبقات العناصر و قبلها عنصر الماء و هو محيط بالأرض كلها إلا ما برز منها و هو مقدار الربع من كره الأرض على ما ذكره علماء هذا الفن و برهنوا عليه فهذا تفسير قوله ع يحملها الأخضر المثعنجر .

و أمّا قوله و وقف الجارى منه لخشيته فلا يدلّ دلالة قاطعه على أنه كان جاريا و وقف و لكن ذلك كلام خرج مخرج التعظيم و التبجيل و معناه أن الماء طبعه الجريان و السيلان فهو جار بالقوه و إن لم يكن جاريا بالفعل و إنما وقف و لم يجر بالفعل بقدره الله تعالى المانعه له من السيلان و ليس قوله و رست أصولها في الماء مما ينافي النظر العقلي لأنه لم يقل و رست أصولها في ماء البحر و لكنه قال في الماء و لا شبهه في أن أصول الجبال راسيه في الماء المتخلخل بين أجزاء الأرض فإن الأرض كلها يتخلخل الماء بين أجزائها على طريق استحاله البخار من الصورة الهوائية إلى الصورة المائية.

و ليس ذكره للجبال و كونها مانعه للأرض من الحركة بمناف أيضا للنظر الحكمي لأن الجبال في الحقيقة قد تمنع من الزلزله إذا وجدت أسبابها الفاعله فيكون ثقلها مانعا من الهده و الرجفه.

ص: ٥٤

١-١) سورة الأنبياء ٣٠.

٢-٢) سورة الأنبياء ٣١.

ليس قوله تكررهِ الرياح منافيا للنظر الحكيمى أيضا لأن كره الهواء محيطه بكره و قد تعصف الرياح فى كره الهواء للأسباب المذكوره فى موضعها من هذا العلم فيتموج كثير من الكره المائيه لعصف الرياح.

و ليس قوله ع و تمخضه الغمام الذوارف صريحا فى أن السحب تنزل فى البحر فتغترف منه كما قد يعتقد فى المشهور العامى نحو قول الشاعر كالبحر تمطره السحاب و ما لها فضل عليه لأنها من مائه.

بل يجوز أن تكون الغمام الذراف تمخضه و تحركه بما ترسل عليه من الأمطار السائله منها فقد ثبت أن كلام أمير المؤمنين ع موجه إن شئت فسرتة بما يقوله أهل الظاهر و إن شئت فسرتة بما يعتقدة الحكماء.

فإن قلت فكيف قال الله تعالى أ وَ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ هل كان الذين كفروا راءين لذلك حتى يقول لهم أ وَ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا .

قلت هذا فى قوله اعلموا أن السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما كما يقول الإنسان لصاحبه أ لم تعلم أن الأمير صرف حاجبه الليله عن بابه أى اعلم ذلك إن كنت غير عالم و الرؤيه هنا بمعنى العلم.

و اعلم أنه قد ذهب قوم من قدماء الحكماء و يقال أنه مذهب سقراط إلى تفسير القيامة و جهنم بما يبتنى على وضع الأرض على الماء فقالوا الأرض موضوعه على الماء و الماء على الهواء و النار فى حشو الأفلاك و لما كان العنصران الخفيفان و هما الهواء و النار يقتضيان صعود ما يحيطان به و العنصران الثقيلان اللذان فى وسطهما و هما



الماء و الأرض يقتضيان النزول و الهبوط وقعت الممانعه و المدافعه فلزم من ذلك وقوف الماء و الأرض في الوسط.

قالوا ثم إن النار لا تزال يتزايد تأثيرها في إسخان الماء و ينضاف إلى ذلك حر الشمس و الكواكب إلى أن تبلغ البحار و العنصر المائى غايتها في الغليان و الفوران فيتصاعد بخار عظيم إلى الأفلاك ك شديد السخونه و ينضاف إلى ذلك حر فلك الأثير الملاصق للأفلاك فتذوب الأفلاك كما يذوب الرصاص و تنهافت و تتساقط و تصير كالمهل الشديد الحرارة و نفوس البشر على قسمين أحدهما ما تجوهر و صار مجردا بطريق العلوم و المعارف و قطع العلائق الجسمانيه حيث كان مدبرا للبدن و الآخر ما بقى على جسمانيته بطريق خلوه من العلوم و المعارف و انغماسه في اللذات و الشهوات الجسمانيه فأما الأول فإنه يلتحق بالنفس الكليه المجرده و يخلص من دائره هذا العالم بالكليه و أمّا الثاني فإنه تنصب عليه تلك الأجسام الفلكيه الذائبه فيحترق بالكليه و يتعذب و يلقي آلاما شديده.

قالوا هذا هو باطن ما وردت به الروايه من العذاب عليها و خراب العالم و الأفلاك و انهدامها.

ثم نعود إلى شرح الألفاظ قوله ع فاستمسكت أى وقفت و ثبتت.

و الهاء في حده تعود إلى أمره أى قامت على حدّ ما أمرت به أى لم تتجاوزه و لا تعدته.

و الأخضر البحر و يسمى أيضا خضاره معرفه غير مصروف و العرب تسميه بذلك إمّا لأنه يصف لون السماء فيرى أخضر أو لأنه يرى أسود لصفائه فيطلقون عليه لفظ

الأخضر كما سموا الأخضر أسود نحو قوله مُدَّهَا مَّتَانِ (١) و نحو تسميتهم قري العراق سوادا لخضرتها و كثره شجرها و نحو قولهم للديزج (٢) من الدواب أخضر.

## المتعرج

السائل ثعجرت الدم و غيره فاثعنجر أى صببته فانصب و تصغير المتعرج مثيرج و مثيرج.

و القمقام بالفتح من أسماء البحر و يقال لمن وقع فى أمر عظيم وقع فى قمقام من الأمر تشبيها بالبحر .

قوله ع و جبل جلاميدها أى و خلق صخورها جمع جلمود.

و النشوز جمع نشز و هو المرتفع من الأرض و يجوز فتح الشين.

و متونها جوانبها و أطواها جبالها و يروى و أطواها بالجر عطفًا على متونها.

فأرساها فى مراسيها

أثبتها فى مواضعها رسا الشيء يرسو ثبت و رست أقدامهم فى الحرب ثبتت و رست السفينه ترسو رسوا و رسوا أى وقفت فى البحر و قوله تعالى بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مَرْسَاهَا (٣) بالضم من أجريت و أرسيت و من قرأ بالفتح فهو من رست هى و جرت هى.

و ألزمها قرارتها

أمسكها حيث استقرت .

قوله فأنهد جبالها أى أعلاها نهى ثدى الجارية ينهد بالضم إذا أشرف و كعب فهى ناهد و ناهده.

و سهولها ما تطامن منها عن الجبال.

و أساخ قواعدها

أى غيب قواعد الجبال فى جوانب أقطار الأرض ساخت قوائم

ص: ٥٧

١- ١) سورة الرحمن ٦٤.

٢- ٢) فى اللسان: «يقال: فرس أخضر، و هو الديزج».

٣- ٣) سورة هود ٤١.

الفرس فى الأرض تسوخ و تسيخ أى دخلت فيها و غابت مثل ثاخذ و أسختها أنا مثل أختها و الأنصاب الأجسام المنصوبه الواحد نصب بضم النون و الصاد و منه سميت الأصنام نصبا فى قوله تعالى وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ (١) لأنها نصبت فعبدت من دون الله قال الأعشى و ذا المنصوب لا تنسكنه لعاقبه و الله ربك فاعبدا (٢).

أى و أساخ قواعد الجبال فى متون أقطار الأرض و فى المواضع الصالحه لأن تكون فيها الأنصاب المماثله و هى الجبال أنفسها. قوله فأشهى قلالتها جمع قله و هى ما علا من رأس الجبل أشهقها جعلها شاهقه أى عاليه.

و أرزها

أثبتها فيها رزت الجراده ترز رزا و هو أن تدخل ذنبها فى الأرض فتلقى بيضها و أرزها الله أثبت ذلك منها فى الأرض و يجوز أرزت لازما غير متعد مثل رزت و ارتز السهم فى القرطاس ثبت فيه و روى و أرزها بالمد من قولهم شجره أرزه أى ثابتة فى الأرض أرزت بالفتح تآرز بالكسر أى ثبتت و أرزها بالمد غيرها أى أثبتها.

و تميد تتحرك و تسيخ تنزل و تهوى.

فإن قلت ما الفرق بين الثلاثه تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها .

قلت لأنها لو تحركت لكانت إما أن تتحرك على مركزها أو لا على مركزها

ص: ٥٨

---

١-١) سورة المائدة ٣.

٢-٢) ديوانه ١٠٣.

و الأول هو المراد بقوله تميد بأهلها و الثاني تنقسم إلى أن تنزل إلى تحت أو لا- تنزل إلى تحت فالنزول إلى تحت هو المراد بقوله أو تسيخ بحملها و القسم الثاني هو المراد بقوله أو نزول عن مواضعها .

فإن قلت ما المراد ب على في قوله فسكنت على حركتها .

قلت هي لهيئه الحال كما تقول عفوت عنه على سوء أدبه و دخلت إليه على شربه أى سكنت على أن من شأنها الحركة لأنها محمولة على سائل متموج .

قوله موجان مياهها بناء فعلان لما فيه اضطراب و حركه كالغليان و النزوان و الخفقان و نحو ذلك.

و أجمدها

أى أ جعلها جامده و أكنافها جوانبها و المهاده الفراش.

فوق بحر لجي

كثير الماء منسوب إلى اللجه و هي معظم البحر.

قوله يكرره الرياح الكركره تصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تفريق و أصله يكرر من التكرير فأعادوا الكاف كركرت الفارس عنى أى دفعته و رددته.

و الرياح العواصف الشديده الهبوب و تمخضه يجوز فتح الخاء و ضمها و كسرهما و الفتح أفصح لمكان حرف الحلق من مخضت اللبن إذا حركته لتأخذ زبده.

و الغمام جمع و الواحده غمامه و لذلك قال الذوارف لأن فواعل أكثر ما يكون لجمع المؤنث ذرفت عينه أى دمعت أى السحب المواطر و المضارع من ذرفت عينه تذرّف بالكسر ذرفا و ذرفا و المذارف المدامع

ص: ٥٩

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عِيدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا [غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ]

فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ ثُمَّ أَنْتَ [بَعْدَهُ]

بَعْدُ الْمُغْنَى عَنْ نُصْرِهِ وَالْإِخْذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

ما فى أيما زائده مؤكده و معنى الفصل وعيد من استنصره فقعد عن نصره.

و وصف مقاله بأنها عادله إما تأكيد كما قالوا شعر شاعر و إما ذات عدل كما قالوا رجل تامر و لابن أى ذو تمر و لبن و يجوز أيضا أن يريد بالعادله المستقيمه التى ليست كاذبه و لا محرفه عن جهتها و الجائره نقيضها و هى المنحرفه جار فلان عن الطريق أى انحرف و عدل.

و النكوص التأخر .

قوله ع نستشهدك عليه أى نسألك أن تشهد عليه و وصفه تعالى

بأنه أكبر الشاهدين شهادته لقوله تعالى قُلْ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ (١) يقول اللهم إنا نستشهدك على خذلان من استنصرناه واستنفرناه إلى نصرتك و الجهاد عن دينك فأبى النهوض و نكث عن القيام بواجب الجهاد و نستشهد عبادك من البشر فى أرضك و عبادك من الملائكة فى سمواتك عليه أيضا ثم أنت بعد ذلك المغنى لنا عن نصرته و نهضته بما تتيحه لنا من النصر و تؤيدنا به من الإعزاز و القوه و الأخذ له بذنبه فى القعود و التخلف.

و هذا قريب من قوله تعالى وَ إِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٢)

ص: ٦١

---

١-١) سورة الأنعام ١٩.

٢-٢) سورة محمد ٢٨.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِ فِيهِ الظَّاهِرِ بَعْدَ آيِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ الْعَالِمِ بِالْأَكْتِسَابِ وَالْأَزْدِيَادِ وَالْأَعْلَمِ مُسْتَفَادِ الْمُتَقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِالْأَرْوِيَةِ وَالْأَضْمِيرِ الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلْمُ وَالْأَسْتِضْيَاءُ بِالْأَنْوَارِ وَالْأَيَّاهُ لَيْلٌ وَالْأَيَّاهُ نَهَارٌ لَيْسَ إِذْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ وَالْأَعْلَمُ بِالْأَخْبَارِ .

يجوز شبهه و شبهه و الروايه هاهنا بالفتح و تعاليه سبحانه عن شبهه المخلوقين كونه قديما واجب الوجود و كل مخلوق محدث ممكن الوجود.

قوله الغالب لمقال الواصفين أى إن كنه جلاله و عظمته لا يستطيع الواصفون وصفه و إن أطنبوا و أسهبوا فهو كالغالب لأقوالهم لعجزها عن إيضاحه و بلوغ منتهاه و الظاهر بأفعاله و الباطن بذاته لأنه إنما يعلم منه أفعاله و أمّا ذاته فغير معلومه .

ثم وصف علمه تعالى فقال إنه غير مكتسب كما يكتسب الواحد منا علومه بالاستدلال و النظر و لا- هو علم يزداد إلى علومه الأولى كما تزيد علوم الواحد منا و معارفه و تكثر لكثرة الطرق التي يتطرق بها إليها.

ثم قال ولا علم مستفاد أى ليس يعلم الأشياء بعلم محدث مجدد كما يذهب إليه جهنم و أتباعه و هشام بن الحكم و من قال بقوله.

ثم ذكر أنه تعالى قدر الأمور كلها بغير رويه أى بغير فكر و لا ضمير و هو ما يطويه الإنسان من الرأى و الاعتقاد و العزم فى قلبه .

ثم وصفه تعالى بأنه لا يغشاه ظلام لأنه ليس بجسم و لا يستضىء بالأنوار كالأجسام ذوات البصر و لا يرهقه ليل أى لا يغشاه و لا يجرى عليه نهار لأنه ليس بزمانى و لا قابل للحركة ليس إدراكه بالأبصار لأن ذلك يستدعى المقابلة و لا علمه بالإخبار مصدر أخبر أى ليس علمه مقصورا على أن تخبره الملائكة بأحوال المكلفين بل هو يعلم كل شىء لأن ذاته ذات واجب لها أن تعلم كل شىء لمجرد ذاتها المخصوصه من غير زياده أمر على ذاتها و منها فى ذكر النبى ص أرسله بالضياء و قدمه فى الإضطفاء فرتق به المفاتيح و ساور به المغالب و دلل به الصعوبه و سهل به الحزونه حتى سرح الضلال عن يمين و شمال .

أرسله بالضياء

أى بالحق و سمي الحق ضياء لأنه يهتدى به أو أرسله بالضياء أى بالقرآن .

ص: ٦٣



و قدمه فى الاصطفاء

أى قدمه فى الاصطفاء على غيره من العرب و العجم قالت قريش لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْيَةِ (١) أى على رجل من رجلين من القرئتين عَظِيمِ أى إمَّا على الوليد بن المغيرة من مكَّه أو على عروه بن مسعود الثقفى من الطائف. ثم قال تعالى أ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ (٢) أى هو سبحانه العالم بالمصلحة فى إرسال الرسل و تقديم من يرى فى الاصطفاء على غيره.

فرتق به المفاتق

أى أصلح به المفاسد و الرتق ضد الفتق و المفاتق جمع مفتق و هو مصدر كالمضرب و المقتل.

و ساور به المغالب

ساورت زيدا أى واثبته و رجل سوار أى وئاب و سوره الخمر و ثوبها فى الرأس.

و الحزونه ضد السهوله و الحزن ما غلظ من الأرض و السهل ما لان منها و استعير لغير الأرض كالأخلاق و نحوها.

قوله حتى سرح الضلال أى طرده و أسرع به ذهابا.

عن يمين و شمال

من قولهم ناقة سرح و منسرحه أى سريعه و منه تسريح المرأه أى تطليقها

ص: ٦٤

١-١) سوره الزخرف ٣١.

٢-٢) سوره الزخرف ٣٢.

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ وَعَدَلٌ وَ حَكَمٌ فَصَلَ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ سَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخُلُقَ فُورَقْتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا لَمْ يُسْهِمِ فِيهِ عَاهِرٌ وَلَا ضَرْبٌ فِيهِ فَاجِرٌ أَلَا وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا وَ لِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَ لِلطَّاعَةِ عِصْمًا وَ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَ يُبَيِّنُ بِهِ الْأَفْيَادَةَ فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ وَ شِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ بِتَوَاصُلُونَ بِالْوِلَايَةِ وَ يَتَلَقُونَ بِالْمَحَبَّةِ وَ يَتَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوْيِهِ وَ يَصْدُرُونَ بِرِيَّةِ لَا- تَشْوِبُهُمُ الرِّيْبَةُ وَ لَا- تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ عَلَى ذَلِكَ عَقْدَ خَلْقِهِمْ وَ أَخْلَاقَهُمْ فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَ بِهِ يَتَوَاصِلُونَ فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْيَدْرِ يُنْتَقَى فَيُؤَخَذُ مِنْهُ وَ يُلْقَى قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيفُ وَ هَدَّبَهُ التَّمْحِيفُ فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كِرَامَةً بِقَبُولِهَا وَ لِيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا وَ لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قِصَّةِ بَرِّ أَيَّامِهِ وَ قَلِيلِ مَقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا فَلْيَصْبِرْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَ مَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ فَطُوبَى لِإِدَى قَلْبِ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَ تَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَ أَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَرَهُ وَ طَاعَهُ هَادٍ أَمْرَهُ وَ بَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ

وَتُقَطَّعُ أَسْبَابُهُ وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَ أَمَاطَ الْحَوْبَةَ فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ هُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

الضمير فى أنه يرجع إلى القضاء و القدر المذكور فى صدر هذه الخطبه و لم يذكره الرضى رحمه الله يقول أشهد أن قضاءه تعالى عدل عدل و حكم بالحق فإنه حكم فصل بين العباد بالإنصاف و نسب العدل و الفصل إلى القضاء على طريق المجاز و هو بالحقيقه منسوب إلى ذى القضاء و القاضى به هو الله تعالى .

قوله و سيد عباده هذا كالمجمع عليه بين المسلمين و إن كان قد خالف فيه شذوذ منهم و احتج الجمهور

٢٤٨٦

بِقَوْلِهِ أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَ لَا فَخْرَ .

و

٢٤٨٧

١٤,١- بِقَوْلِهِ ادْعُوا لى سَيِّدِ الْعَرَبِ عَلِيًّا فَقَالَتْ عَائِشَةُ أ لَسْتُ سَيِّدَ الْعَرَبِ فَقَالَ أَنَا سَيِّدُ الْبَشَرِ وَ عَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَرَبِ .

و

٢٤٨٨

بِقَوْلِهِ

آدَمُ وَ مَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي .

و احتج المخالف

٢٤٨٩

بِقَوْلِهِ ع لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى أَخِي يُونُسَ بْنِ مَتَّى .

و أجاب الأولون تاره بالطعن فى إسناد الخبر و تاره بأنه حكاية كلام حكاة ص عن عيسى بن مريم و تاره بأن النهى إنما كان عن الغلو فيه كما غلت الأمم فى أنبيائها فهو كما ينهى الطبيب المريض فيقول لا تأكل من الخبز و لا درهما و ليس مراده تحريم أكل الدرهم و الدرهمين بل تحريم ما يستتضر بأكله منه .

قوله ع كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله فى خيرهما النسخ النقل و منه نسخ الكتاب و منه نسخت الريح آثار القوم و نسخت الشمس الظل يقول



كلما قسم الله تعالى الأب الواحد إلى ابنين جعل خيرهما و أفضلهما لولاده محمد ع و سمي ذلك نسخا لأن البطن الأول يزول و يخلفه البطن الثاني و منه مسائل المناسخات في الفرائض.

و هذا المعنى قد ورد مرفوعا في عدة أحاديث نحو

٢٤٩٠

قَوْلِهِ ص مَا افْتَرَقَتْ فِرْقَتَانِ مُنْذُ نَسَلِ آدَمَ وُلْدَهُ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا.

و نحو

٢٤٩١

قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَ اصْطَفَى مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ مُضَرَ وَ اصْطَفَى مِنْ مُضَرَ كِنَانَةَ وَ اصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَ اصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ هَاشِمًا وَ اصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ .

قوله لم يسهم فيه عاهر و لا ضرب فيه فاجر لم يسهم لم يضرب فيه عاهر بسهم أي بنصيب و جمعه سهمان و العاهر ذو العهر بالتحريك و هو الفجور و الزناء و يجوز تسكين الهاء مثل نهر و نهر و هذا هو المصدر و الماضي عهر بالفتح و الاسم العهر بكسر العين و سكون الهاء و المرأه عاهره و معاهره و عيهره و تعيهر الرجل إذا زنى و الفاجر كالعاهر هاهنا و أصل الفجور الميل قال لييد فإن تتقدم تعش منها مقدما غليظا و إن أخرجت فالكفل فاجر (١) يقول مقعد الرديف مائل

#### [ذكر بعض المطاعن في النسب و كلام للجاحظ في ذلك]

و في الكلام رمز إلى جماعه من الصحابه في أنسابهم طعن كما يقال إن آل سعد بن أبي وقاص ليسوا من بنى زهره بن كلاب و إنهم من بنى عذره من قحطان

ص: ٦٧

و كما قالوا إن آل الزبير بن العوام من أرض مصر من القبط و ليسوا من بنى أسد بن عبد العزى قال الهيثم بن عدى فى كتاب مثالب العرب إن خويلد بن أسد بن عبد العزى كان أتى مصر ثم انصرف منها بالعوام ففتناه فقال حسان بن ثابت يهجو آل العوام بن خويلد بنى أسد ما بال آل خويلد و كما يقال فى قوم آخرين نرفع هذا الكتاب عن ذكر ما يطعن به فى أنسابهم كى لا يظن بنا أنا نحب المقالة فى الناس.

قال شيخنا أبو عثمان فى كتاب مفاخرات قريش لا خير فى ذكر العيوب إلا من ضروره و لا نجد كتاب مثالب قط إلا لدعى أو شعوبى و لست واجده لصحيح النسب و لا لقليل الحسد و ربما كانت حكاية الفحش أفحش من الفحش و نقل الكذب أقبح من الكذب و

٢٤٩٢

قَالَ النَّبِيُّ صِ اغْفُ عَنْ ذِي قَبْرِ.

و

٢٤٩٣

قَالَ لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْأَمْوَاتِ.

و قيل فى المثل يكفيك من شر سماعه و قالوا أسمعك من أبلغك و قالوا من طلب عيبا وجده و قال النابغه و لست بمستيق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب (١).

ص: ٦٨

(١-١) ديوانه ٢٣٩.

قَالَ أَبُو عَثْمَانَ وَبَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنَّ أَنَسًا مِنْ رُؤَاهِ الْأَشْعَارِ وَحَمَلَهُ الْأَثَارِ يَعْبُونَ النَّاسَ وَيَتْلُبُونَهُمْ فِي أَشْيَافِهِمْ فَصَامَ عَلَى الْمَثْبَرِ وَقَالَ إِيَّاكُمْ وَذَكَرَ الْعُيُوبِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْأَصُولِ فَلَوْ قُلْتُ لَا- يَخْرُجُ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا الْأَبْوَابِ إِلَّا مَنْ لَا وَصِيمَةَ فِيهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَصَامَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ نَكَرَهُ أَنْ نَذَكَرَهُ فَقَالَ إِذَا كُنْتُ أَنَا وَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَخْرُجُ فَقَالَ كَذَبْتَ بَلْ كَانَ يُقَالُ لَكَ يَا قَيْنُ ابْنَ قَيْنٍ اقْعُدْ.

قلت الرجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي كان عمر يبغضه لبغضه أباه خالدًا ولأن المهاجر كان علوى الرأى جدا و كان أخوه عبد الرحمن بخلافه شهد المهاجر صفين مع على ع و شهدها عبد الرحمن مع معاوية و كان المهاجر مع على ع فى يوم الجمل و فقت ذلك اليوم عينه و لأن الكلام الذى بلغ عمر بلغه عن المهاجر و كان الوليد بن المغيرة مع جلالته فى قريش و كونه يسمى ريحانه قريش و يسمى العدل و يسمى الوحيد حدادا يصنع الدروع و غيرها بيده ذكر ذلك عنه عبد الله بن قتيبه فى كتاب المعارف (١).

٦- وَ رَوَى أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ هَذَا الْخَبَرَ فِي كِتَابِ أُمَّهَاتِ الْخُلَفَاءِ وَقَالَ إِنَّهُ رَوَى عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَا تَلْمُهُ يَا ابْنَ أَخِي إِنَّهُ أَشْفَقَ أَنْ يُحْدَجَ (٢) بِقَضِيَّتِهِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى وَ صُهَاكَ أَمَةِ الرَّبِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ثُمَّ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ فَإِنَّهُ لَمْ يَعُدُّ الشُّنَّةَ وَ تَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣).

أما قول ابن جرير الأملى الطبرستانى فى كتاب المسترشد إن عثمان والد

١- ١) المعارف ٢٥٠.

٢- ٢) يقال: حدجه بذنوب غيره؛ أى عزاه إليه.

٣- ٣) سورة النور ١٩.

أبى بكر الصديق كان ناكحا أم الخير ابنه أخته فليس بصحيح و لكنها ابنه عمه لأنها ابنه صخر بن عامر و عثمان هو ابن عمرو بن عامر و العجب لمن اتبعه من فضلاء الإمامية على هذه المقالة من غير تحقيق لها من كتب الأنساب و كيف تتصور هذه الواقعة فى قريش و لم يكن أحد منهم مجوسيا و لا يهوديا و لا كان من مذهبهم حل نكاح بنات الأخ و لا بنات الأخت.

ثم نعود لإتمام حكاية كلام شيخنا أبى عثمان قال و متى يقدر الناس حفظك الله على رجل مسلم من كل ابنه و مبرأ من كل آفه فى جميع آبائه و أمهاته و أسلافه و أصهاره حتى تسلم له أخواله و أعمامه و خالاته و عماته و أخواته و بناته و أمهات نسائه و جميع من يناسبه من قبل جداته و أجداده و أصهاره و أختانه و لو كان ذلك موجودا لما كان لنسب رسول الله ص فضيله فى النقاء و التهذيب و فى التصفيه و التنقيح

٢٤٩٦

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَا مَسَّنِي عِرْقُ سِفَاحٍ قَطُّ وَ مَا زِلْتُ أَنْقُلُ مِنْ الْأَصْلَابِ السَّلِيمَةِ مِنَ الْوُصُومِ (١) وَ الْأَرْحَامِ الْبَرِيئَةِ مِنَ الْعُيُوبِ.

فلسنا نقضى لأحد بالنقاء من جميع الوجوه إلا لنسب من صدقه القرآن و اختاره الله على جميع الأنام و إلا فلا بد من شىء يكون فى نفس الرجل أو فى طرفيه أو فى بعض أسلافه أو فى بعض أصهاره و لكنه يكون مغطى بالصلاح و محجوبا بالفضائل و مغمورا بالمناقب.

و لو تأملت أحوال الناس لوجدت أكثرهم عيوباً أشدهم تعيباً قال الزبير بن بدر ما استب رجلان إلا غلب الأملهما و قال خصلتان كثيرتان فى امرئ السوء

ص: ٧٠



كثرة اللطام و شدة السباب و لو كان ما يقوله أصحاب المثالب حقا لما كان على ظهرها عربى كما قال عبد الملك بن صالح الهاشمى إن كان ما يقول بعض فى بعض حقا فما فيهم صحيح و إن كان ما يقول بعض المتكلمين فى بعض حقا فما فيهم مسلم .

قوله ع ألا- و إن الله قد جعل للخير أهلا- و للحق دعائم و للطاعة عصما الدعائم ما يدعم بها البيت لئلا يسقط و العصم جمع عصمه و هو ما يحفظ به الشىء و يمنع فأهل الخير هم المتقون و دعائم الحق الأدله الموصله إليه المثبتة له فى القلوب و عصم الطاعة هى الإدمان على فعلها و التمرن على الإتيان بها لأن المرون على الفعل يكسب الفاعل ملكه تقتضى سهولته عليه و العون هاهنا هو اللطف المقرب من الطاعة المبعد من القبيح.

ثم قال ع إنه يقول على الألسنه و يثبت الأفئده و هذا من باب التوسع و المجاز لأنه لما كان مستهلا لقول أطلق عليه إنه يقول على الألسنه و لما كان الله تعالى هو الذى يثبت الأفئده كما قال يُبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ (١) نسب التثبيت إلى اللطف لأنه من فعل الله تعالى كما ينسب الإنبات إلى المطر و إنما المنبت للزرع هو الله تعالى و المطر فعله.

ثم قال ع فيه كفاء لمكتف و شفاء لمشتف و الوجه فيه كفايه فإن الهمز لا وجه له هاهنا لأنه من باب آخر و لكنه أتى بالهمزه للازدواج بين كفاء

ص: ٧١

مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ.

فأتى بالهمز و الوجه الواو لللازدواج

### [ذكر بعض أحوال العارفين والأولياء]

ثم ذكر العارفين فقال و اعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه إلى قوله و هذبه التمحيص .

و اعلم أن الكلام في العرفان لم يأخذه أهل الملة الإسلامية إلا عن هذا الرجل و لعمري لقد بلغ منه إلى أقصى الغايات و أبعد النهايات و العارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله تعالى و انتخبهم لنفسه و اختصهم بأنسه أحبوه فأحبهم و قربوا منه فقرب منهم قد تكلم أرباب هذا الشأن في المعرفه و العرفان فكل نطق بما وقع له و أشار إلى ما وجده في وقته.

وَ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ يَقُولُ مِنْ أَمَارَاتِ الْمَعْرِفَةِ حُصُولُ الْهَيْبَةِ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُهُ ازْدَادَتْ هَيْبَتُهُ.

وَ كَانَ يَقُولُ الْمَعْرِفَةُ تُوجِبُ السَّكِينَةَ فِي الْقَلْبِ كَمَا أَنَّ الْعِلْمَ يُوجِبُ السُّكُونَ فَمَنْ ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُهُ ازْدَادَتْ سَكِينَتُهُ.

وَ سُئِلَ الشَّيْخِيُّ عَنْ عَلَامَاتِ الْعَارِفِ فَقَالَ لَيْسَ لِعَارِفٍ عِلْمٌ وَ لَا لِمُحِبِّ سَكُونٌ وَ لَا لِخَائِفٍ قَرَارٌ.

وَ سُئِلَ مَرَّةً أُخْرَى عَنِ الْمَعْرِفَةِ فَقَالَ أَوْلَاهَا اللَّهُ وَ آخِرُهَا مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ.

وَ قَالَ أَبُو حَفْصٍ الْجِدَادِيُّ مُنْذُ عَرَفْتُ اللَّهَ مَا دَخَلَ قَلْبِي حَقٌّ وَ لَا بَاطِلٌ. و قد أشكل هذا الكلام على أرباب هذا الشأن و تأوله بعضهم فقال عند القوم إن المعرفه توجب

غيبه العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشهد غير الله ولا يرجع إلا إليه و كما إن العاقل يرجع إلى قلبه و تفكره و تذكره فيما يسبح له من أمر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه لا إلى قلبه و كيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له.

٢٥٠١

وَ سَيْئَلُ أَبُو يَزِيدَ الْبُسَيْطِيُّ عَنِ الْعِرْفَانِ فَقَالَ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَهْلَهَا أَذِلَّةً (١). و هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص الحداد .

٢٥٠٢

وَ قَالَ أَبُو يَزِيدَ أَيْضاً لِلْخَلْقِ أَحْوَالٌ وَ لَا حِيَالَ لِلْعَارِفِ لِأَنَّهُ مُحِيتُ رُسُومِهِ وَ فَنِيَ هُوَ وَ صَارَتْ هُوِيَّتُهُ هُوِيَّةَ غَيْرِهِ وَ عُيِبَتْ آثَارُهُ فِي آثَارِ غَيْرِهِ.

قلت و هذا هو القول بالاتحاد الذي يبحث فيه أهل النظر.

٢٥٠٣

وَ قَالَ الْوَاسِطِيُّ لَا تَصِحُّ الْمَعْرِفَةُ وَ فِي الْعَبْدِ اسْتِغْنَاءٌ بِاللَّهِ أَوْ افْتِقَارٌ إِلَيْهِ. و فسر بعضهم هذا الكلام فقال إن الافتقار و الاستغناء من أمارات صحو العبد و بقاء رسومه على ما كانت عليه و العارف لا يصح ذلك عليه لأنه لاستهلاكه في وجوده أو لاستغراقه في شهوده إن لم يبلغ درجة الاستهلاك في الوجود مختطف عن إحساسه بالغنى و الفقر و غيرهما من الصفات و لهذا

٢٥٠٤

قَالَ الْوَاسِطِيُّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ انْقَطَعَ وَ خَرَسَ وَ انْقَمَعَ.

٢٥٠٥

قَالَ ص لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

٢٥٠٦

وَ قَالَ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ مَنْصُورِ الْحَلَّاجِ عَلَامَةُ الْعَارِفِ أَنْ يَكُونَ فَارِغاً مِنَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

٢٥٠٧

وَ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّشْتَرِيُّ غَايَةُ الْعِرْفَانِ شَيْئَانِ الدَّهْشُ وَ الْحَيْرَةُ.

٢٥٠٨

وَقَالَ ذُو النُّونِ أَعْرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَحِيْرًا فِيهِ.

٢٥٠٩

وَقِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ بِمَا ذَا وَصَلْتَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ قَالَ بَبَدِنِ عَارٍ وَبَطْنِ جَائِعٍ.

ص: ٧٣

---

(١ - ١) سورة النمل: ٢.

٢٥١٠

وَقِيلَ لِأَبِي يَعْقُوبَ السُّوسِيِّ هَلْ يَتَأَسَّفُ الْعَارِفُ عَلَى شَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ فَقَالَ وَهَلْ يَرَى شَيْئًا غَيْرَهُ لِيَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ.

٢٥١١

وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ الْعَارِفُ طَيَّارٌ وَ الزَّاهِدُ سَيَّارٌ.

٢٥١٢

وَقَالَ الْجَنْجِيْدُ لَا يَكُونُ الْعَارِفُ عَارِفًا حَتَّى يَكُونَ كَالْأَرْضِ يَطْوُهَا الْبُرُّ وَ الْفَاجِرُ وَ كَالسَّحَابِ يُظِلُّ كُلَّ شَيْءٍ وَ كَالْمَطَرِ يَسْقِي مَا يُنْبِتُ وَ مَا لَا يُنْبِتُ.

٢٥١٣

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ يَخْرُجُ الْعَارِفُ مِنَ الدُّنْيَا وَ لَا يَقْضِي وَطْرَهُ مِنْ شَيْئَيْنِ بُكَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَ حُبِّهِ لِرَبِّهِ.

٢٥١٤

وَ كَانَ ابْنُ عَطَاءٍ يَقُولُ أَرْكَانُ الْمَعْرِفَةِ ثَلَاثَةٌ الْهَيْبَةُ وَ الْحَيَاءُ وَ الْإِنْسَانِيَّةُ.

٢٥١٥

وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْعَارِفُ أَنْسٌ بِاللَّهِ فَأَوْحَشَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَ افْتَقَرَ إِلَى اللَّهِ فَأَعْنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ وَ ذَلَّ لِلَّهِ فَأَعَزَّهُ فِي خَلْقِهِ.

٢٥١٦

وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْعَارِفُ فَوْقَ مَا يَقُولُ وَ الْعَالِمُ دُونَ مَا يَقُولُ.

٢٥١٧

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ لِلْعَارِفِ عَلَى فِرَاشِهِ مَا لَا يَفْتَحُ لِلْعَابِدِ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي.

٢٥١٨

وَ كَانَ رُوَيْمٌ يَقُولُ رِيَاءُ الْعَارِفِينَ أَفْضَلُ مِنْ إِخْلَاصِ الْعَابِدِينَ.

٢٥١٩

وَ سُئِلَ أَبُو تُرَابٍ النَّخَشَبِيُّ عَنِ الْعَارِفِ فَقَالَ هُوَ الَّذِي لَا يُكَدِّرُهُ شَيْءٌ وَ يَصْفُو بِهِ كُلَّ شَيْءٍ.

٢٥٢٠

وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْمَعْرِفَةُ أَمْوَاجٌ تَرْفَعُ وَ تَحُطُّ.

٢٥٢١

وَ سُئِلَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ عَنِ الْعَارِفِ فَقَالَ الْكَائِنُ الْبَائِنُ.

٢٥٢٢

وَ قِيلَ لَيْسَ بِعَارِفٍ مَنْ وَصَفَ الْمَعْرِفَةَ عِنْدَ أَتْنَاءِ الْآخِرَةِ فَكَيْفَ عِنْدَ أَتْنَاءِ الدُّنْيَا.

٢٥٢٣

وَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَعْرِفَةُ حَيَاةُ الْقَلْبِ مَعَ اللَّهِ.

٢٥٢٤

وَ سُئِلَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ هَلْ يَصِيرُ الْعَارِفُ إِلَى حَالٍ يَجْفُو عَلَيْهِ الْبُكَاءُ قَالَ

ص: ٧٤

نَعَمْ إِنَّمَا الْبُكَاءُ فِي أَوْقَاتٍ سَيَّرَهُمْ إِلَى اللَّهِ فَإِذَا صَارُوا إِلَى حَقَائِقِ الْقُرْبِ وَ ذَاقُوا طَعْمَ الْوُصُولِ زَالَ عَنْهُمْ ذَلِكَ.

و اعلم أن إطلاق أمير المؤمنين ع عليهم لفظه الولايه فى قوله يتواصلون بالولايه و يتلاقون بالمحبه يستدعى الخوض فى مقامين جليلين من مقامات العارفين المقام الأول الولايه و هو مقام جليل قال الله تعالى [\(١\)](#) **إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** [\(١\)](#) و

٢٥٢٥

حِيَاءَ فِي الْخَبْرِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ص يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَى مَحَارِمِي وَ مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْعَبْدُ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا فَرَضْتُ عَلَيْهِ وَ لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ وَ لَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَ أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ.

[\(٢\)](#) و اعلم أن الولي له معنيان أحدهما فعيل بمعنى مفعول كقتيل و جريح و هو من يتولى الله أمره كما قال الله تعالى [\(٢\)](#) **إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ** [\(٢\)](#) الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ [\(٢\)](#) فلا يكله إلى نفسه لحظه عين بل يتولى رعايته.

و ثانيهما فعيل بمعنى فاعل كندير و عليم و هو الذى يتولى طاعه الله و عبادته فلا يعصيه.

و من شرط كون الولي وليا ألا يعصى مولاه و سيده كما أن من شرط كون النبي

ص: ٧٥

١-١) سورة يونس ٦٢.

٢-٢) سورة الأعراف ١٩٦.

نبيا العصمه فمن ظن فيه أنه من الأولياء و يصدر عنه ما للشرع فيه اعتراض فليس بولى عند أصحاب هذا العلم بل هو مغرور  
مخادع.

٢٥٢٦

وَ يُقَالُ إِنَّ أَيْبَا يَزِيدَ الْبُسَيْطَامِيَّ فَصِيدَ بَعْضَ مَنْ يُوصَفُ بِالْوَلَايَةِ فَلَمَّا وَافَى مَسْجِدَهُ قَعِيدًا يَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ وَ تَنَحَّمَ فِي  
الْمَسْجِدِ فَأَنْصَرَفَ أَبُو يَزِيدَ وَ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَ قَالَ هَذَا رَجُلٌ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى آدَبٍ مِنْ آدَابِ الشَّرِيعَةِ كَيْفَ يَكُونُ أَمِينًا عَلَى أَسْرَارِ  
الْحَقِّ.

٢٥٢٧

وَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ لِرَجُلٍ أَتَجِبُ أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ وَلِيًّا قَالَ نَعَمْ قَالَ لَا تَوَعَّبَ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَ لَا مِنَ الْآخِرَةِ وَ قَرَّخَ نَفْسَكَ لِلَّهِ  
وَ أَقْبَلَ بِوَجْهِكَ عَلَيْهِ لِيُقْبَلَ عَلَيْكَ وَ يُوَالِيكَ.

٢٥٢٨

وَ قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ فِي صِفَةِ الْأَوْلِيَاءِ هُمْ عِبَادٌ تَسِيرُ بُلُوكَ بِالْأَنْسِ بَعِيدَ الْمَكَائِدِ وَ أَدْرَعُوا بِالرَّوْحِ بَعْدَ الْمُجَاهَدَةِ بِوُصُولِهِمْ إِلَى مَقَامِ  
الْوَلَايَةِ.

٢٥٢٩

وَ كَانَ أَبُو يَزِيدَ يَقُولُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَرَائِسُ اللَّهِ وَ لَا يَرَى الْعَرَائِسَ إِلَّا الْمَحَارِمَ فَهُمْ مُخَدَّرُونَ عِنْدَهُ فِي حِجَابِ الْأَنْسِ لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ  
فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ.

٢٥٣٠

وَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّيْدَلَانِيُّ كُنْتُ أَصْلِحُ لِقَبْرِ أَبِي بَكْرٍ الطَّمِسْتَانِيِّ لَوْحًا أَنْقَرُ فِيهِ اسْمَهُ فَيَسْرِقُ ذَلِكَ اللَّوْحَ فَأَنْقَرُ لَهُ لَوْحًا آخَرَ وَ أَنْصِبُهُ  
عَلَى قَبْرِهِ فَيَسْرِقُ وَ تَكَرَّرَ ذَلِكَ كَثِيرًا دُونَ غَيْرِهِ مِنْ أَلْوَابِ الْقُبُورِ فَكُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْهُ فَسَأَلْتُ أَيْبَا عَلَى الدَّقَاقَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ  
ذَلِكَ الشَّيْخَ آثَرَ الْخَفَاءِ فِي الدُّنْيَا وَ أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْهَرَهُ بِاللَّوْحِ الَّذِي تَنْصِبُهُ عَلَى قَبْرِهِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَا بِي إِلَّا إِخْفَاءَ قَبْرِهِ كَمَا هُوَ  
سَتَرَ نَفْسَهُ.

٢٥٣١

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا سُمِّيَ الْوَلِيُّ وَلِيًّا لِأَنَّهُ تَوَالَتْ أَعْمَالُهُ عَلَى الْمَوْافَقَةِ.



وَ قَالَ يَحْيَىٰ بَنُ مَعَاذِ الْوَلِيِّ لَا يُرَائِي وَلَا يُنَافِقُ وَ مَا أَقَلَّ صَدِيقٍ مَنْ يَكُونُ هَذَا خُلُقَهُ.

المقام الثاني المحبه قال الله سبحانه مَنْ يَزِدْكَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (١) و المحبه عند أرباب هذا الشأن حاله شريفه.

قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبُسْطَامِيُّ الْمَحَبَّةُ اسْتِفْلَالُ الْكَثِيرِ مِنْ نَفْسِكَ وَ اسْتِكْتَارُ الْقَلِيلِ مِنْ حَبِيبِكَ.

وَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ الْمَحَبَّةُ أَنْ تَهَبَ كُلَّكَ لِمَنْ أَحَبَبْتَ فَلَا يَبْقَى لَكَ مِنْكَ شَيْءٌ وَ أَكْثَرُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ الْعَشَقِ لِأَنَّ الْعَشَقَ مُجَاوِزَةَ الْحَدِّ فِي الْمَحَبَّةِ وَ الْبَارِيُّ سُبْحَانَهُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ قَدْ تَجَاوَزَ أَحَدَ الْحَدِّ فِي مَحَبَّتِهِ.

سُئِلَ الشَّيْبَانِيُّ عَنِ الْمَحَبَّةِ فَقَالَ هِيَ أَنْ تَغَارَ عَلَى الْمَحْبُوبِ أَنْ يُحِبَّهُ أَحَدٌ غَيْرُكَ.

وَ قَالَ سَمْنُونٌ ذَهَبَ الْمُحِبُّونَ بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فَهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَ قَالَ يَحْيَىٰ بَنُ مَعَاذٍ حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ مَا لَا يَنْقُصُ بِالْجَفَاءِ وَ لَا يَزِيدُ بِالْبِرِّ.

وَ قَالَ لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتَهُ وَ لَمْ يَحْفَظْ حُدُودَهُ.

وَ قَالَ الْجَنْبِيُّ إِذَا صَحَّتِ الْمَحَبَّةُ سَقَطَتْ شُرُوطُ الْأَدَبِ.

وَ أَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ إِذَا صَفَتِ الْمَوَدَّةُ بَيْنَ قَوْمٍ وَ دَامَ وَدَادُهُمْ سَمِحَ الشَّاءُ.

وَ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ يَقُولُ أَلَسْتَ تَرَى الْأَبَّ الشَّفِيقَ لَا يُبْجِلُ وُلْدَهُ فِي الْخِطَابِ وَ النَّاسُ يَتَكَلَّفُونَ فِي مُخَاطَبَتِهِ وَ الْأَبُّ يَقُولُ لَهُ يَا

فُلَانُ بِاسْمِهِ.

ص: ٧٧

---

١ - ١) سورة المائدة ٥٤.

وَ قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الشُّوسِيُّ حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ أَنْ يَنْسَى الْعَبْدُ حَظَّهُ مِنَ اللَّهِ وَ يَنْسَى حَوَائِجَهُ إِلَيْهِ.

قِيلَ لِلنَّصْرِ آبَادِيٍّ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْمَحَبَّةِ شَيْءٌ قَالَ صَدَقُوا وَ لَكِنْ لِي حَسْرَاتُهُمْ فَهُوَ ذُو اخْتِرَاقٍ فِيهِ.

وَ قَالَ النَّصْرُ آبَادِيٍّ أَيْضاً الْمَحَبَّةُ مُجَانِبَةُ السُّلُوفِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ثُمَّ أَنْشَدَ وَ مَنْ كَانَ فِي طَوْلِ الْهَوَى ذَاقَ سَلْوَهُ

وَ كَانَ يُقَالُ الْحُبُّ أَوْلُهُ حَبْلٌ وَ آخِرُهُ قَتْلٌ.

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ فِي مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ص حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَ يُصَمُّ قَالِ يُعْمَى وَ يُصَمُّ عَنِ الْغَيْرِ إِعْرَاضاً وَ عَنِ الْمَحْجُوبِ هَيْبَةً ثُمَّ أَنْشَدَ إِذَا مَا بَدَأَ لِي تَعَاظَمْتُهُ فَأَصْدُرُ فِي حَالٍ مَنْ لَمْ يَرَهُ.

وَ قَالَ الْجَنْبِيْدُ سَمِعْتُ الْحَارِثَ الْمُحَاسِبِيَّ يَقُولُ الْمَحَبَّةُ إِقْبَالُكَ عَلَى الْمَحْجُوبِ بِكَلِمَتِكَ ثُمَّ إِيْتَارُكَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَ مَالِكَ وَ وُلْدِكَ ثُمَّ مُوَافَقَتِكَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ سِرّاً وَ جَهراً ثُمَّ اعْتِقَادُكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّكَ مُقَصِّرٌ فِي مَحَبَّتِهِ.

وَ قَالَ الْجَنْبِيْدُ سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَقُولُ لَا تَصْلُحِ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ حَتَّى يَقُولَ الْوَاحِدُ لِلآخَرِ يَا أَنَا.

وَ قَالَ الشَّيْبَانِيُّ الْمُحِبُّ إِذَا سَكَتَ هَلَكَ وَ الْعَارِفُ إِذَا لَمْ يَسْكُتْ هَلَكَ.

وَ قِيلَ الْمَحَبَّةُ نَارٌ فِي الْقَلْبِ تُحْرِقُ مَا سِوَى وُدِّ الْمَحْجُوبِ.

وَقِيلَ الْمَحَبَّةُ بَذْلُ الْجُهْدِ وَالْحَيِّبُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

٢٥٥٠

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ الْمَحَبَّةُ هَتْكَ الْأَسْتَارِ وَكَشْفُ الْأَسْرَارِ.

ص: ٧٨

حَبَسَ الشُّبْلِيُّ فِي الْمَارِسْتَانِ بَيْنَ الْمَجَانِينِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا مُحِبُّوكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ فَأَقْبَلَ يَرْمِيهِم بِالْحِجَارَةِ فَفَرُّوا  
فَقَالَ إِذَا ادَّعَيْتُمْ مَحَبَّتِي فَاصْبِرُوا عَلَيَّ بِلَائِي.

كَتَبَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ إِلَى أَبِي يَزِيدَ الْبَسِيطَامِيِّ قَدْ سَاكِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبْتُ مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو يَزِيدَ غَيْرُكَ شَرِبَ  
بُحُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا رَوَى بَعْدَ وَلسَانَهُ خَارِجٌ وَيَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ.

وَمِنْ شِعْرِهِمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى  
عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ ذَكَرْتُ رَبِّي

و

يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا اطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ حُبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَلَأْتُهُ مِنْ حُبِّي.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ إِنَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَبْدِي أَنَا وَحَقِّكَ لَكَ مُحِبٌّ فَبِحَقِّي عَلَيْكَ كُنْ لِي مُحِبًّا.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ مَنْ أُعْطِيَ قِسْطًا مِنَ الْمَحَبَّةِ وَلَمْ يُعْطَ مِثْلَهُ مِنَ الْخَشْيَةِ فَهُوَ مَخْدُوعٌ.

وَقِيلَ الْمَحَبَّةُ مَا تَمَحُّوْا أَتْرَكَ وَتَسْلُبُكَ عَنْ وُجُودِكَ.

وَقِيلَ الْمَحَبَّةُ سُكْرٌ لَا يَصِيحُو صَاحِبُهُ إِلَّا بِمُشَاهِدَةِ مَحْبُوبِهِ ثُمَّ إِنَّ السُّكْرَ الَّذِي يَحْصُلُ عِنْدَ الْمُشَاهِدَةِ لَا يُوصَفُ وَ أَنْشَدَ فَأَشْرَكَ  
الْقَوْمَ دَوْرَ كَأْسٍ وَ كَانَ سُكْرِي مِنَ الْمُدِيرِ.

وَ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ يُنْشِدُ كَثِيرًا

ص: ٧٩

لِي سَكَرَتَانِ وَ لِلنَّدْمَانِ وَاحِدَةٌ

شَيْءٌ خُصِّصَتْ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي.

٢٥٦٠

وَ كَانَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ يَقُولُ مِثْقَالَ خَزْدَلِهِ مِنَ الْحُبِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً بِلا حُبِّ.

٢٥٦١

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُجِبًا فَلْيَكُنْ كَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْهِنْدِ أَنَّهُ أَحَبُّ جَارِيَةٍ فَرَحَلَتْ عَنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ فَخَرَجَ الْفَتَى فِي وَدَاعِهَا فَادْمَعَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ دُونَ الْأُخْرَى فَغَمَّضَ الَّتِي لَمْ تَدْمَعْ أَرْبَعًا وَ ثَمَانِينَ سِنَةً وَ لَمْ يَفْتَحْهَا عُقُوبَةً لِأَنَّهَا لَمْ تَبْكْ عَلَى فِرَاقِ حَبِيبَتِهِ.

وَ أَنْشَدُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى بَكَتْ عَيْنِي غَدَاهُ الْبَيْنِ دَمْعًا

٢٥٦٢

وَ قِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ دَاوُدَ عِزِّي حَرَمْتُ عَلَى الْقُلُوبِ أَنْ يَدْخُلَهَا حُبِّي وَ حُبُّ غَيْرِي.

٢٥٦٣

وَ قِيلَ الْمَحَبَّةُ إِثَارُ الْمَحُوبِ عَلَى النَّفْسِ كَمَا مَرَّ بِالْعَزِيزِ لَمَّا أَفْرَطَ بِهَا الْحُبُّ قَالَتْ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (١) وَ فِي الْإِتِّدَاءِ قَالَتْ لَمَّا جَزَاءٌ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَيِّجَنَ (٢) فَوَرَّكَتِ (٣) الذَّنْبَ فِي الْإِتِّدَاءِ عَلَيْهِ وَ نَادَتْ فِي الْإِنْتِهَاءِ عَلَى نَفْسِهَا بِالْحِيَانَةِ.

٢٥٦٤

وَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ص فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْذِرْنِي فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ شَعَلْتَنِي عَنْ حُبِّكَ فَقَالَ يَا مُبَارَكَ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ فَقَدْ أَحَبَّنِي.

ص : ٨٠

١-١) سورة يوسف ٥١.

٢-٢) سورة يوسف ٢٥.

٣-٣) يقال: وَرَّكَتِ الذَّنْبَ عَلَيْهِ: حمله.

ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل قوله ع يصونون مصونه أى يكتمون من العلم الذى استحفظوه ما يجب أن يكتم و يفجرون عيونهم يظهرهم منه ما ينبغى إظهاره و ذلك أنه ليس ينبغى إظهار كل ما استودع العارف من الأسرار و أهل هذا الفن يزعمون أن قوما منهم عجزوا عن أن يحملوا بما حملوه فباحوا به فهلكوا منهم الحسين بن منصور الحلاج و لأبى الفتوح الجارودى المتأخر أتباع يعتقدون فيه مثل ذلك. و الولاية بفتح الواو المحبه و النصره و معنى يتواصلون بالولاية يتواصلون و هم أولياء و مثله و يتلاقون بالمحبه كما تقول خرجت بسلاحى أى خرجت و أنا متسلح فيكون موضع الجار و المجرور نصبا بالحال أو يكون المعنى أدق و اللطف من هذا و هو أن يتواصلوا بالولاية أى بالقلوب لا بالأجسام كما تقول أنا أراك بقلبي و أزورك بخاطري و أواصلك بضميرى. قوله و يتساقون بكأس رويه أى بكأس المعرفة و الأنس بالله يأخذ بعضهم عن بعض العلوم و الأسرار فكأنهم شرب يتساقون بكأس من الخمر (١). قال و يصدرون بريه يقال من أين ريتكم مفتوحه الرء أى (٢) من أين ترون الماء. قال لا تشوبهم الرية أى لا- تخالطهم الظنه و التهمه و لا تسرع فيهم الغيبه لأن أسرارهم مشغوله بالحق عن الخلق. قال على ذلك عقد خلقهم و أخلاقهم الضمير فى عقد يرجع إلى الله تعالى أى على هذه الصفات و الطباع عقد الخالق تعالى خلقتهم و خلقهم أى هم متهيئون لما صاروا إليه

٢٥٦٥

كَمَا قَالَ ع

إِذَا أَرَادَكَ لِأَمْرٍ هَيَّاكَ لَهُ .

ص: ٨١

١- ١) ب: «الخمره»، و ما أثبتته من ا.

٢- ٢) ساقطه من ا.



كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ . قَالَ فَعَلِيهِ يَتَحَابُونَ وَ بِهِ يَتَوَاصِلُونَ أَي لَيْسَ حُبُّهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا فِي اللَّهِ وَ لَيْسَتْ مُوَاصَلَتُهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا لِلَّهِ لَا لِلْهَوَى وَ لَا لِعِرَاضِ الدُّنْيَا

أَنْشَدَ مُشْتَبِدٌ عِنْدَ عُمَرَ قَوْلَ طَرْفَهُ فَلَوْ لَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشِهِ الْفَتَى فَقَالَ عُمَرُ وَ أَنَا لَوْ لَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشِهِ الْفَتَى لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي حُبِّي فِي اللَّهِ وَ بُغْضِي فِي اللَّهِ وَ جِهَادِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قَوْلُهُ ع فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَذْرِ أَي مِثْلَهُمْ مِثْلَ الْحَبِّ الَّذِي يَنْتَفِي لِلْبَذْرِ يَسْتَصْلِحُ بَعْضُهُ وَ يَسْقُطُ بَعْضُهُ . قَدْ مِيزَهُ التَّخْلِيفُ قَدْ فَرَّقَ الْإِنْتِقَاءَ بَيْنَ جَيِّدِهِ وَ رَدِيئِهِ وَ هَذِهِ التَّمْحِيصُ

قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّ الْمَرَضَ لَيَمَحِّصُ الْخَطَايَا كَمَا تُمَحِّصُ النَّارُ الذَّهَبَ . أَي كَمَا تَخْلُصُ النَّارُ الذَّهَبَ مِمَّا يَشُوبُهُ . ثُمَّ أَمْرَعُ الْمَكْلِفِينَ بِقَبُولِ كِرَامِهِ اللَّهِ وَ نَصِيحِهِ وَ وَعْظِهِ وَ تَذَكِيرِهِ وَ بِالْحَذَرِ

من نزول القارعه بهم و هي هاهنا الموت و سميت الداهيه قارعه لأنها تفرع أى تصيب بشده. قوله فليصنع لمتحوله أى فليعد ما يجب إعداده للموضع الذى يتحول إليه تقول اصنع لنفسك أى اعمل لها. قوله و معارف منتقله معارف الدار ما يعرفها المتوسم بها واحدها معرف مثل معاهد الدار و معالم الدار و منه معارف المرأه و هو ما يظهر منها كالوجه و اليدين و المنتقل بالفتح موضع الانتقال. قوله فطوبى هي فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمه قبلها و يقال طوبى لك و طوباك بالإضافه. و قول العائمه طوبيك بالياء غير جائز. قوله لذى قلب سليم هو من ألفاظ الكتاب العزيز (١) أى سليم من الغل و الشك. قوله أطاع من يهديه أى قبل مشوره الناصح الأمر له بالمعروف و الناهى له عن المنكر. و تجنب من يرديه أى يهلكه بإغوائه و تحسين القبيح له. و الباء فى قوله يبصر من بصره متعلقه بأصاب. قوله قبل أن تغلق أبوابه أى قبل أن يحضره الموت فلا تقبل توبته. و الحوبه الإثم و إماطته إزالته و يجوز أمطت الأذى عنه و مطت الأذى عنه أى نحيته و منع الأصمعى منه إلا بالهمزه

ص: ٨٣

---

١ - ١) و ذلك قوله تعالى فى سورة الشعراء ٨٩: <sup>□</sup>إِلَّا- <sup>□</sup>مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، و قوله فى سورة الصافات ٨٤: <sup>□</sup>إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضَيِّعْ بِي مَيْتًا وَلَا سَيْقِيمًا وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرْوِقِي بِسُوءٍ وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي وَلَا مُلْتَبِسًا عَقْلِي وَلَا مُعِيدًّا بِعِذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِي أَصِيْبِحْتُ عَيْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَلَا أَتَقِي إِلَّا مَا وَفَيْتَنِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْزُقُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمَتِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِكَ أَوْ تَتَابَعِ [تَتَابَعِ]

بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ .

قوله كثيرا منصوب بأنه صفة مصدر محذوف أى دعاء كثيرا و ميتا منصوب على الحال أى لم يفلق الصباح على ميتا و لا يجوز أن تكون يصيح ناقصه و يكون ميتا خبرها كما قال الراوندى لأن خبر كان و أخواتها يجب أن يكون هو الاسم ألا ترى أنهما مبتدأ و خبر فى الأصل و اسم يصيح ضمير الله تعالى و ميتا ليس هو الله سبحانه. قوله و لا مضروبا على عروقى بسوء أى و لا أبرص و العرب تكنى عن البرص بالسوء و من أمثالهم ما أنكرت من سوء أى ليس إنكارى لك عن برص حدث بك فغير صورتك. و أراد بعروقه أعضاءه و يجوز أن يريد و لا مطعونا فى نسبي و التفسير الأول أظهر. و لا مأخوذا بأسوأ عملى أى و لا معاقبا بأفحش ذنوبى. و لا مقطوعا دابرى أى عقبى و نسلى و الدابر فى الأصل التابع لأنه يأتى دبرا و يقال للهالك قد قطع الله دابره كأنه يراد أنه عفا أثره و محاسمه قال سبحانه أَنْ دَابِرَ هُوَ لَأَمْقُوعٌ مُّصْبِحِينَ (١). و لا مستوحشا أى و لا شاكا فى الإيمان لأن من شك فى عقيدته استوحش منها. و لا ملتبسا عقلى أى و لا مختلطا عقلى لبست عليهم الأمر بالفتح أى خلطته و عذاب الأمم من قبل المسخ و الزلزله و الظلمه و نحو ذلك.

ص: ٨٥

قوله لك الحجه على و لا حجه لى لأن الله سبحانه قد كلفه بعد تمكينه و إقداره و إعلامه قبح القبيح و وجوب الواجب و ترديد دواعيه إلى الفعل و تركه و هذه حجه الله تعالى على عباده و لا- حجه للعباد عليه لأنّه ما كلفهم إلاّ بما يطيقونه و لا كان لهم لطف فى أمر إلاّ- و فعله. قوله لا- أستطيع أن آخذ إلاّ- ما أعطيتنى و لا أتقى إلاّ ما وقيتنى أى لا أستطيع أن أرزق نفسى أمرا و لكنك الرزاق و لا- أدفع عن نفسى محذورا من المرض و الموت إلاّ- ما دفعته أنت عنى. و قال الشاعر لعمر ك ما يدرى الفتى كيف يتقى و قال عبد الله بن سليمان بن وهب كفايه الله أجدى من توفينا قوله ع أن أفقر فى غناك موضع الجار و المجرور نصب على الحال و فى متعلقه بمحذوف و المعنى أن أفقر و أنت الموصوف بالغنى الفائض على الخلق. و كذلك قوله أو أضل فى هداك معناه أو أضل و أنت ذو الهدايه العامه للبشر كافه و كذلك أو أضام فى سلطانك كما يقول المستغيث إلى السلطان كيف أظلم فى عدلك.

و كذلك قوله أو أضطهد و الأمر لك أى و أنت الحاكم صاحب الأمر و الطاء فى أضطهد هى تاء الافتعال و أصل الفعل ضهدت فلانا فهو مضهود أى قهرته و فلان ضهده لكل أحد أى كل من شاء أن يقهره فعل . قوله اللهم اجعل نفسى هذه الدعوه مثل دعوه رسول الله ص و هى

٢٥٦٩

قَوْلُهُ

اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَ أَبْصَارِنَا وَ اجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا . أى لا تجعل موتنا متأخرا عن ذهاب حواسنا و

٢٥٧٠

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ

اللَّهُمَّ اخْفِظْ عَلَيَّ سَمْعِي وَ بَصِيرِي إِلَى انْتِهَاءِ أَجَلِي . و فسروا قوله ع و اجعله الوارث منا فقالوا الضمير فى و اجعله يرجع إلى الإمتاع . فإن قلت كيف يتقى الإمتاع بالسمع و البصر بعد خروج الروح . قلت هذا توسع فى الكلام و المراد لا تبلنا بالعمى و لا الصمم فنكون أحياء فى الصورة و لسنا بأحياء فى المعنى لأن من فقدهما لا - خير له فى الحياه فحملته المبالغه على أن طلب بقاءهما بعد ذهاب النفس إيذانا و إشعارا بحبه ألا يبلى بفقدهما . و نفتتن على ما لم يسم فاعله نصاب بفتنه تضلنا عن الدين و روى نفتتن بفتح حرف المضارعه على نفتعل افتتن الرجل أى فتن و لا يجوز أن يكون الافتتان متعديا كما ذكره الراوندى و لكنه قرأ فى الصحاح للجوهري و الفتون الافتتان يتعدى و لا - يتعدى فظن أن ذلك للافتتان و ليس كما ظنّ و إنما ذلك راجع إلى الفتون . و التابع التهافت فى اللجاج و الشر و لا يكون إلا فى مثل ذلك و روى أو تتابع بطرح إحدى التاءات

ص : ٨٧

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيكُمْ حَقًّا بِلَايِهِ أَمْرُكُمْ وَ لَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيكُمْ وَ الْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَ أَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لَا- يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا- جَرَى عَلَيْهِ وَ لَا- يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ وَ لَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَ لَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ لِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَ جَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَ تَوْسَعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

الذى له عليهم من الحق هو وجوب طاعته و الذى لهم عليه من الحق هو وجوب معدلته فيهم و الحق أوسع الأشياء فى التواصف و أضيقتها فى التناصف معناه أن كل أحد يصف الحق و العدل و يذكر حسنه و وجوبه و يقول لو وليت لعدلت فهو بالوصف باللسان و سيع و بالفعل ضيق لأن ذلك العالم العظيم الذين كانوا يتواصفون حسنه و يعدون أن لو ولوا باعتماده و فعله لا تجد فى الألف منهم واحدا لو ولى لعدل و لكنه قول بغير عمل.

ثم عاد إلى تقرير الكلام الأول و هو وجوب الحق له و عليه فقال إنه لا يجرى لأحد إلا و جرى عليه و كذلك لا يجرى عليه إلا و جرى له أى ليس و لا- واحد من الموجودين بمرتفع عن أن يجرى الحق عليه و لو كان أحد من الموجودين كذلك لكان أحقهم بذلك البارئ سبحانه لأنه غاية الشرف بل هو فوق الشرف و فوق الكمال و التمام و هو مالك الكل و سيد الكل فلو كان لجواز هذه القضية وجه و لصحتها مساع لكان البارئ تعالى أولى بها و هى ألا يستحق عليه شىء و تقدير الكلام لكنه يستحق عليه أمور فهو فى هذا الباب كالواحد منا يستحق و يستحق عليه و لكنه ع حذف هذا الكلام المقدر أدبا و إجلالا لله تعالى أن يقول إنه يستحق عليه شىء.

فإن قلت فما بال المتكلمين لا يتأدبون بأدبه ع و كيف يطلقون عليه تعالى الوجوب و الاستحقاق.

قلت ليست وظيفه المتكلمين وظيفه أمير المؤمنين ع فى عباراتهم هؤلاء أرباب صناعه و علم يحتاج إلى ألفاظ و اصطلاح لا بد لهم من استعماله للإفهام و الجدل بينهم و أمير المؤمنين إمام يخطب على منبره يخاطب عربا و رعيه ليسوا من أهل النظر و لا مخاطبته لهم لتعليم هذا العلم بل لاستنفارهم إلى حرب عدوه فوجب عليه بمقتضى الأدب أن يتوقى كل لفظه توهم ما يستهجنه السامع فى الأمور الإلهية و فى غيرها.

فإن قلت فما هذه الأمور التى زعمت أنها تستحق على البارئ سبحانه و أن أمير المؤمنين ع حذفها من اللفظ و اللفظ يقتضيها.

قلت الثواب و العوض و قبول التوبة و اللطف و الوفاء بالوعد و الوعيد و غير ذلك مما يذكره أهل العدل .



فإن قلت فما معنى قوله لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده و لعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه و هب أن تعليل عدم استحقاق شيء على الله تعالى بقدرته على عباده صحيح كيف يصحّ تعليل ذلك بعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ألا- ترى أنه ليس بمستقيم أن تقول لا- يستحق على البارئ شيء لأنه عادل و إنما المستقيم أن تقول لا يستحق عليه شيء لأنه مالك و لذلك عللت الأشعريه هذا الحكم بأنه مالك الكل و الاستحقاق إنما يكون على من دونه.

قلت التعليل صحيح و هو أيضا ممّا عللت به الأشعريه مذهبها و ذلك لأنه إنما يتصور الاستحقاق على الفاعل المختار إذا كان ممن يتوقع منه أو يصحّ منه أن يظلم فيمكن حينئذ أن يقال قد وجب عليه كذا و استحق عليه كذا فأما من لا يمكن أن يظلم و لا يتصور وقوع الظلم منه و لا- الكذب و لا خلف الوعد و الوعيد فلا معنى لإطلاق الوجوب و الاستحقاق عليه كما لا يقال كذا الداعي الخالص يستحق عليه أن يفعل ما دعاه إليه الداعي و يجب عليه أن يفعل ما دعاه إليه الداعي مثل الهارب من الأسد و الشديد العطش إذا وجد الماء و نحو ذلك .

فإن قلت أ ليس يشعر قوله ع و جعل جزاءهم عليه مضاعفه الثواب تفضلا منه بمذهب البغداديين من أصحابكم و هو قولهم إن الثواب تفضل من الله سبحانه و ليس بواجب.

قلت لا و ذلك لأنه جعل المتفضل به هو مضاعفه الثواب لا أصل الثواب و ليس ذلك بمستنكر عندنا.

فإن قلت أ يجوز عندكم أن يستحق المكلف عشره أجزاء من الثواب فيعطى عشرين جزءا منه أ ليس من مذهبكم أن التعظيم و التبجيل لا يجوز من البارئ سبحانه أن يفعلهما

فى الجنة إلا- على قدر الاستحقاق و الثواب عندكم هو النفع المقارن للتعظيم و التبجيل فكف قلت إن مضاعفه الثواب عندنا جائزه.

قلت مراده ع بمضاعفه الثواب هنا زياده غير مستحقه من النعيم و اللذه الجسمانيه خاصه فى الجنة فسمى تلك اللذه الجسمانيه ثواباً لأنها جزء من الثواب فأما اللذه العقليه فلا يجوز مضاعفتها.

قوله ع بما هو من المزيـد أهله أى بما هو أهله من المزيـد فقدم الجار و المجرور و موضعه نصب على الحال و فيه دلالة على أن حال المجرور تتقدم عليه كما قال الشاعر لئن كان برد الماء حران صاديا إلى حبيبا إنها لحبيب ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تكافأ فى وجوهها و يوجب بعضها بعضاً و لا يستوجب بعضها إلا ببعض.

وَ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَ حَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كَمَلٍ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لَأَلْفَتِهِمْ وَ عِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصِلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصِيْلَاحِ الْوَلَاةِ وَ لَا تَصِلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَ أَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَ قَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَ اعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَ جَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنُنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَ طُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَ يَبْسُتُ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهُودُ أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعْيَتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتَرَكَتْ مَخَارِجُ السُّنَنِ فَعَمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلَا يُسَيِّئُ تَوْحَشُ لِعَظِيمٍ حَقٌّ عُطِّلَ وَلَا لِعَظِيمٍ بَاطِلٌ فَعِلَ فُهْنَالِكَ تَذَلُّ الْأَبْرَارِ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارِ وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ.

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَ إِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ وَ طَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَتِهِ مِمَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ وَ لَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى عِيَادِهِ النَّصِيحَةَ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَ التَّعَاوُنَ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَ لَيْسَ امْرُؤٌ وَ إِنِ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ وَ تَقَدَّمَ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ وَ لَا امْرُؤٌ وَ إِنِ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ وَ اقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

تتكافأ في وجوها

تساوى و هى حقّ الوالى على الرعيه و حقّ الرعيه على الوالى .

و فريضه قد روى بالنصب و بالرفع فمن رفع فخير مبتدأ محذوف و من نصب فبإضمار فعل أو على الحال .

و جرت على أذلالها السنن

بفتح الهمزة أى على مجاريها و طرقها .

و أجحف الوالى برعيته

ظلمهم .

و الإدغال فى الدين الفساد .

ص : ٩٢

و محاج السنن جمع محجه و هى جاده الطريق.

قوله و كثرت علل النفوس أى تعللها بالباطل

٢٥٧١

وَ مِنْ كَلَامِ الْحَجَّاجِ إِيَّاكُمْ وَ عِلَلِ النُّفُوسِ فَإِنَّهَا أَدْوَى لَكُمْ مِنْ عِلَلِ الْأَجْسَادِ .

و اقتحمته العيون احتقرته و ازدرته قال ابن دريد و منه ما تفتحم العين فإن ذقت جناه ساغ عذبا فى اللهأ (١).

و مثل قوله ع و ليس امرؤ و إن عظمت فى الحق منزلته

٢٥٧٢

قَوْلُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَ لِهَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ وَ إِنْ عَظُمَتْ مَنَزَلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُذَكَّرَ بِاللَّهِ وَ يُحَذَّرَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ وَ لَيْسَ أَحَدٌ وَ إِنْ صَغُرَ بِدُونِ أَنْ يُذَكَّرَ بِاللَّهِ وَ يُحَوَّفَ مِنْ نَقِمَتِهِ .

و مثل قوله ع و إذا غلبت الرعيه واليهأ

٢٥٧٣

قَوْلُ الْحُكَمَاءِ إِذَا عَلَا صَوْتُ بَعْضِ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْمَلِكِ فَالْمَلِكُ مَخْلُوعٌ فَإِنْ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ لَا فَالْمَلِكُ مَقْتُولٌ .

[فصل فيما ورد من الآثار فيما يصلح الملك]

و قد جاء فى وجوب الطاعة لأولى الأمر الكثير الواسع قال الله سبحانه أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم (٢) و

٢٥٧٤

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص السَّمْعُ وَ الطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ

ص: ٩٣

١- ١) من المقصوره ٢٣ (طبعه مصر سنه ١٣١٩).

٢- ٢) سورة النساء ٥٩.

الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَ كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أَمَرَ بِهَا فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ.

و

٢٥٧٥

عَنْهُ ص

إِنْ أَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ أَسْوَدٌ مُجَدِّعٌ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا. وَ

٢٥٧٦

مِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ ع

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْفَجْرَةِ .

٢٥٧٧

بَعَثَ سَيِّدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ قَالَ تَرَكْتُهُمْ كَقَدَاحِ الْجَعْبَةِ مِنْهَا الْأَعْصَلُ (١) الطَّائِشُ وَ مِنْهَا الْقَائِمُ الرَّائِشُ قَالَ فَكَيْفَ سَيِّدُ لَهْمُ قَالَ هُوَ ثِقَافُهَا الَّذِي يُقِيمُ أَوْدَهَا وَ يَغْمِزُ عَصَلَهَا (٢) قَالَ فَكَيْفَ طَاعْتُهُمْ قَالَ يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ لِأَوْقَاتِهَا وَ يُؤَدُّونَ الطَّاعَةَ إِلَى وُلَاتِهَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ أُدِّيَتِ الرَّكَاةُ وَ إِذَا كَانَتِ الطَّاعَةُ كَانَتِ الْجَمَاعَةُ.

٢٥٧٨

وَ مِنْ كَلَامِ أَبِي بَرْزَةَ الْمَلِكِيِّ أَطَعِ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَكَ مَنْ دُونَكَ.

٢٥٧٩

وَ مِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ قُلُوبُ الرَّعِيَّةِ خَزَائِنُ وَالِيهَا فَمَا أَوْدَعَهُ فِيهَا وَجَدَهُ.

٢٥٨٠

وَ كَانَ يُقَالُ صِهْنَانٍ مُتَبَاغِضَانِ مُتَنَافِيَانِ السُّلْطَانِ وَ الرَّعِيَّةِ وَ هُمَا مَعَ ذَلِكَ مُتَلَازِمَانِ إِنْ صِلَحَ أَحَدُهُمَا صِلَحَ الْآخَرُ وَ إِنْ فَسَدَ فَسَدَ الْآخَرُ.

٢٥٨١

وَ كَانَ يُقَالُ مَحَلَّ الْمَلِكِ مِنْ رَعِيَّتِهِ مَحَلُّ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ وَ مَحَلُّ الرَّعِيَّةِ مِنْهُ مَحَلُّ الْجَسَدِ مِنَ الرُّوحِ فَالرُّوحُ تَأَلَّمَ بِأَلَمِ كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ يَأَلَّمَ بِأَلَمِ غَيْرِهِ وَ فَسَادُ الرُّوحِ فَسَادُ جَمِيعِ الْبَدَنِ وَ قَدْ يَفْسُدُ بَعْضُ الْبَدَنِ وَ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الْبَدَنِ صَحِيحٌ.

ص: ٩٤

---

١-١) السهم الأعصل: القليل الريش.

٢-٢) العصل: الاعوجاج و الميل.

وَ كَانَ يُقَالُ ظَلَمَ الرَّعِيَّةَ اسْتِجْلَابَ الْبَلِيَّةِ.

وَ كَانَ يُقَالُ الْعَجَبُ مِمَّنِ اسْتَفْسَدَ رَعِيَّتَهُ وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ عِزَّهُ بِطَاعَتِهِمْ.

وَ كَانَ يُقَالُ مَوْتُ الْمَلِكِ الْجَائِرِ خِصْبٌ شَامِلٌ.

وَ كَانَ يُقَالُ لَا فَحْطَ أَشَدُّ مِنْ جَوْرِ السُّلْطَانِ.

وَ كَانَ يُقَالُ قَدْ تَعَامَلُ الرَّعِيَّةُ الْمُسْمِزَّةُ بِالرَّفْقِ فَتَزُولُ أَحْقَادُهَا وَ يَذِلُّ قِيَادُهَا وَ قَدْ تَعَامَلُ بِالْخُرْقِ فَتَكَاشَفُ بِمَا عَيَّبَتْ وَ تُقَدِّمُ عَلَى مَا عَيَّبَتْ حَتَّى يَعُودَ نِفَاقُهَا شِقَاقًا وَ رَذَاذُهَا سَيْلًا بَعَاقًا (١) ثُمَّ إِنَّ غَلَبَتْ وَ قَهَرَتْ فَهُوَ الدَّمَارُ وَ إِنَّ غَلَبَتْ وَ قَهَرَتْ لَمْ يَكُنْ بَغْلِبِهَا افْتِخَارٌ وَ لَمْ يَدْرِكْ بِقَهْرِهَا تَارٌ.

وَ كَانَ يُقَالُ الرَّعِيَّةُ وَ إِنَّ كَانَتْ ثِمَارًا مُجْتَنَاءً وَ ذَخَائِرَ مُقْتَنَاءً وَ سُيُوفًا مُنْتَضَاءً وَ أَحْرَاسًا مُرْتَضَاءً فَإِنَّ لَهَا نِفَارًا الْوُحُوشِ وَ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ السُّيُولِ وَ مَتَى قَدَرْتَ أَنْ تَقُولَ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَصُولَ.

وَ كَانَ يُقَالُ أَيْدِي الرَّعِيَّةِ تَبِعَ أَلْسِنَتُهَا فَلَنْ يَمْلِكَ الْمَلِكُ أَلْسِنَتَهَا حَتَّى يَمْلِكَ جُسُومَهَا وَ لَنْ يَمْلِكَ جُسُومَهَا حَتَّى يَمْلِكَ قُلُوبَهَا فَتُجَبُّهُ وَ لَنْ تُجَبُّهُ حَتَّى يَعْدِلَ عَلَيْهَا فِي أَحْكَامِهِ عَدْلًا يَتَسَاوَى فِيهِ الْخَاصُّ وَ الْعَامَّةُ وَ حَتَّى يُخَفِّفَ عَنْهَا الْمُنَّ وَ الْكُلْفَ وَ حَتَّى يُغْفِيَهَا مِنْ رَفْعِ أَوْضَاعِهَا وَ أَرَادِلِهَا عَلَيْهَا وَ هَذِهِ الثَّالِثَةُ تُحَقِّدُ عَلَى الْمَلِكِ الْعَلِيَّةَ مِنَ الرَّعِيَّةِ وَ تُطْمِعُ السَّفَلَةَ فِي الرُّتْبِ السَّيِّئَةِ.

وَ كَانَ يُقَالُ الرَّعِيَّةُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ صِنْفٌ فَضْلَاءٌ مُرْتَاضُونَ بِحُكْمِ الرَّئِيسِ وَ السِّيَاسَةِ يَعْلَمُونَ فَضِيلَةَ الْمَلِكِ وَ عَظِيمَ غَنَائِهِ وَ يَرْتُونَ لَهُ مِنْ ثِقَلِ أَعْبَائِهِ فَهَؤُلَاءِ يُحْصَلُ الْمَلِكُ مَوَدَّاتِهِمْ بِالْبَشْرِ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَ يَلْقَى أَحَادِيثَهُمْ بِحُسْنِ الْإِضْعَاءِ وَ صِنْفٌ فِيهِمْ خَيْرٌ وَ شَرٌّ ظَاهِرَانِ فَصَلَاحُهُمْ يُكْتَسَبُ مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ بِالْتَرْغِيبِ وَ التَّرْهيبِ وَ صِنْفٌ مِنَ السَّفَلَةِ الرَّعَاعِ أَتْبَاعُ

---

۱-۱) السیل البعاق. المتصیب بشده.



لِكَلِّ دَاعٍ لَا يُمْتَحِنُونَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ بِنَقْدٍ وَلَا يَزْجَعُونَ فِي الْمَوَالَاهِ إِلَى عَقْدٍ.

٢٥٩٠

وَكَانَ يُعَالِ تَرْكُ الْمَعِاقِبَةِ لِلسَّفَلَةِ عَلَى صِهَارِ الْجَرَائِمِ تَدْعُوهُمْ إِلَى ارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ الْعَظَائِمِ أَلَا تَرَى أَوَّلَ نُشُوزِ الْمَرْأَةِ كَلِمَةً سُوِّمَتْ بِهَا وَأَوَّلَ حِرَانِ الدَّابَّةِ حَيْدَةً سُوِّمَتْ عَلَيْهَا.

٢٥٩١

وَيُقَالُ إِنَّ عُثْمَانَ قَالَ يَوْمًا لِيَجْلِسَائِهِ وَهُوَ مَحْضُورٌ فِي الْفِتْنَةِ وَدِدْتُ أَنْ رَجُلًا صِدْقًا أَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هَوْلَاءِ فَقَامَ إِلَيْهِ فَتَنِي فَقَالَ إِنِّي أُخْبِرُكَ تَطَاطَأَتْ لَهُمْ فَرْكَبُوكَ وَمَا جَرَّاهُمْ عَلَى ظُلْمِكَ إِلَّا إِفْرَاطُ حِلْمِكَ قَالَ صِدْقٌ فَهَلْ تَعْلَمُ مَا يَسْبُبُ نِيرَانَ الْفِتْنَةِ قَالَ نَعَمْ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ شَيْخًا مِنْ تَنُوحٍ كَانَ بَاقِعَهُ قَدْ نَقَبَ فِي الْأَرْضِ وَعَلِمَ عِلْمًا جَمًّا فَقَالَ الْفِتْنَةُ يُبَيِّرُهَا أَمْرَانِ أَثَرُهُ تَضَعُ غِنَى عَلَى الْمَلِكِ الْخَاصَّةَ وَحِلْمٌ يُجَزِّي [يُجَزِّي]

عَلَيْهِ الْعِيَامَةَ قَالَ فَهَلْ سَأَلْتَهُ عَمَّا يُخْبِرُهَا قَالَ نَعَمْ زَعَمَ أَنَّ الَّذِي يُخْبِرُهَا فِي إِتْدَائِهَا اسْتِقَالَهُ الْعَثْرَةَ وَتَعْمِيمُ الْخَاصَّةِ بِالْأَثَرِ فَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الْفِتْنَةُ أَحْمَدَهَا الصَّبْرُ قَالَ عُثْمَانُ صَدَقْتَ وَإِنِّي لَصَابِرٌ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

٢٥٩٢

وَيُقَالُ إِنَّ يَزْدَجْرِدَ بْنَ بَهْرَامٍ سَأَلَ حَكِيمًا مَا صِي لَاحِ الْمَلِكِ قَالَ الرَّفْقُ بِالرَّعِيَّةِ وَأَخْذُ الْحَقِّ مِنْهَا بِغَيْرِ عُنْفٍ وَالتَّوَدُّدُ إِلَيْهَا بِالْعِدْلِ وَ أَمْنُ السَّبِيلِ وَإِنْصِافُ الْمَظْلُومِ قَالَ فَمَا صِي لَاحِ الْمَلِكِ قَالَ وَزَرَاؤُهُ إِذَا صِي لَحُوا صِي لَحَ قَالَ فَمَا الَّذِي يُبَيِّرُ الْفِتْنََةَ قَالَ صَدَائِقُهَا جُزْأُهُ عَامَّةٌ وَاسْتِخْفَافُ خَاصَّةٍ وَانْبِسَاطُ الْأَلْسُنِ بِصَمَائِرِ الْقُلُوبِ وَإِسْفَاقُ مُوسِرٍ وَأَمْنٌ مُعْسِرٍ وَعَفْلُهُ مَزْزُوقٌ وَيَقْطَعُهُ مَحْرُومٌ قَالَ وَ مَا يُسْكِنُهَا قَالَ أَخْذُ الْعُدَّةِ لِمَا يُخَافُ وَ إِثَارُ الْجِدِّ حِينَ يَلْتَدُّ الْهَزْلُ وَالْعَمَلُ بِالْحَزْمِ وَادْرَاعُ الصَّبْرِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ .

٢٥٩٣

وَكَانَ يُعَالِ خَيْرِ الْمُلُوكِ مَنْ أَشْرَبَ قُلُوبَ رَعِيَّتِهِ مَحَبَّتَهُ كَمَا أَشْعَرَهَا هَيْبَتَهُ وَلَنْ يُبَالَ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تَنْظَرُ مِنْهُ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ إِكْرَامٍ شَرِيفُهَا وَرَحْمَةٌ ضَعِيفُهَا وَإِغَاثَةُ لَهْفِهَا

ص: ٩٦

وَكَفَّ عُدْوَانَ عَدُوِّهَا وَتَأَمَّنَ سُبُلَ رَوَاحِيهَا وَغَدَّوَهَا فَمَتَى أَعْدَمَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ أَحَقَّهَا (١) بِقَدْرِ مَا أَفْقَدَهَا.

٢٥٩٤

وَكَانَ يُقَالُ الْأَسْبَابُ الَّتِي تَجْرُ الْهَلْكَ إِلَى الْمَلِكِ ثَلَاثَةٌ أَحَدُهَا مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ وَهُوَ أَنْ تَتَأَمَّرَ شَهَوَاتُهُ عَلَى عَقْلِهِ فَتَسْتَهْوِيهِ نَشَوَاتُ الشَّهَوَاتِ فَلَا تَسْنَحُ لَهُ لَدَّهُ إِلَّا أَفْتَنَصَهَا وَلَا رَاحَهُ إِلَّا أَفْتَرَصَهَا.

وَالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الْوُزَرَاءِ وَهُوَ تَحَاسُدُهُمُ الْمُقْتَضِي تَعَارُضَ الْأَرَءِ فَلَا يَسْبِقُ أَحَدُهُمْ إِلَى حَقِّ إِلَّا كُوَيْدَ وَغُورِضَ وَغُونِدَ.

وَالثَّلَاثُ مِنْ جِهَةِ الْجُنْدِ الْمُؤَهَّلِينَ لِجِرَاسَةِ الْمَلِكِ وَالدِّينِ وَتَوْهِينِ الْمُعَانِدِينَ وَهُوَ نُكُولُهُمْ عَنِ الْجِلَادِ وَتَضْجِيْعِهِمْ فِي الْمُنَاصِيحِ وَ الْجِهَادِ وَهُمْ صِنْفَانِ صِنْفٌ وَسَعِ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ فَأَبْطَرَهُمُ الْأَتْرَافُ وَضَمُّوا بِنُفُوسِهِمْ عَنِ التَّعْرِيزِ لِلتَّلَافِ وَصِنْفٌ قَدَّرَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَاضْطَعُّوا الْأَحْقَادَ (٢) وَاسْتَشْعَرُوا النِّفَاقَ.

### [الآثار الواردة في العدل والإنصاف]

قوله ع أو أجحف الوالى برعيته قد جاء من نظائره الكثير جدا و قد ذكرنا فيما تقدم نكتا حسنه فى مدح العدل و الإنصاف و ذم الظلم و الإجحاف و

٢٥٩٥

قَالَ النَّبِيُّ ص زَيْنَ اللَّهِ السَّمَاءَ بِثَلَاثَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِثَلَاثَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْمَطَرِ وَالسُّلْطَانَ الْعَادِلِ.

٢٥٩٦

وَكَانَ يُقَالُ إِذَا لَمْ يَعْمُرِ الْمَلِكُ مَلَكُهُ بِإِنصَافِ الرَّعِيَّةِ حَرَبَ مُلْكُهُ بَعْضِيَانِ الرَّعِيَّةِ.

٢٥٩٧

وَ قِيلَ لِأَنْوَشِرْوَانَ أَيْ الْجُنَيْنِ أَوْقَى قَالَ الدِّينُ قِيلَ فَأَيُّ الْعُدَدِ أَقْوَى قَالَ الْعَدْلُ.

ص: ٩٧

١- ١) يقال: أحقده، أى صيره حاقدا.

٢- ٢) اضطغوا الأحقاد: انطوا عليها.

وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ كَثُرَ شَاكُوكَ وَ قَلَّ حَامِدُوكَ فَأَمَّا عَدَلْتُ وَ إِمَّا اعْتَرَلْتُ.

وَجِدَ فِي خِرَانِهِ بَعْضَ الْأَكَاسِرَةِ سَفَطٌ فَفَتَحَ فَوَجَدَ فِيهِ حَبَّ الرُّمَّانِ كُلُّ حَبِّهِ كَالنَّوَاهِ الْكَبِيرَةِ مِنْ نَوَى الْمَشْمِشِ وَ فِي السَّفَطِ رُقْعَةٌ فِيهَا هَذَا حَبُّ رُمَّانٍ عَمِلْنَا فِي خِرَاجِهِ بِالْعَدْلِ.

حِيَاءَ رَجُلٍ مِنْ مِصْرَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مُتَظَلِّمًا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا مَكَانُ الْعَائِدِ بِكَ قَالَ لَهُ عُمِدْتُ بِمَعَاذِ مَا شَأْنُكَ قَالَ سَابَقْتُ وَلَدَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ فَسَبَقْتُهُ فَجَعَلَ يُعَنِّفُنِي بِسَوْطِهِ وَ يَقُولُ أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ وَ بَلَغَ أَبَاهُ ذَلِكَ فَحَبَسَنِي خَشِيَهُ أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْكَ فَكَتَبَ إِلَيَّ عَمْرٍو إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاشْهَدِ الْمَوْسِمَ أَنْتَ وَ ابْنُكَ فَلَمَّا قَدِمَ عَمْرٍو وَ ابْنُهُ دَفَعَ الدَّرَّةَ إِلَيَّ الْمِصْرِيِّ وَ قَالَ اضْرِبْهُ كَمَا ضَرَبْتَكَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ وَ عَمْرٌ يَقُولُ اضْرِبِ ابْنَ الْأَمِيرِ اضْرِبِ ابْنَ الْأَمِيرِ يُرَدِّدُهَا حَتَّى قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اسْتَقَدْتُ مِنْهُ فَقَالَ وَ أَشَارَ إِلَيَّ عَمْرٍو ضَعْفًا عَلَى صَلَاحَتِهِ فَقَالَ الْمِصْرِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا اضْرِبُ مَنْ ضَرَبَنِي فَقَالَ إِنَّمَا ضَرَبْتُكَ بِقُوَّةِ أَبِيهِ وَ سُلْطَانِهِ فَاضْرِبْهُ إِنْ شِئْتُمْ فَوَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ لَمَا مَنَعَكَ أَحَدٌ مِنْهُ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَتَبَرَّعُ بِالْكَفِّ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ الْعَاصِ مَتَى تَعَبَدْتُمُ النَّاسَ وَ قَدْ وَلَدْتُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا.

خَطَبَ الْأَشْيَاحُ كُنْدَرُ جُنْدَهُ فَقَالَ لَهُمْ بِالرُّومِيَّةِ كَلَامًا تَفْسِيرُهُ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ الَّذِي نَصَرَنَا بَعْدَ حِينِ الَّذِي يَسْتَقِيمُكُمْ الْعَيْثَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَ إِلَيْهِ مَفْرَعُكُمْ عِنْدَ الْكَرْبِ وَ اللَّهُ لَا يَبْلُغُنِي أَنَّ اللَّهَ أَحَبُّ شَيْئًا إِلَّا أَحْبَبْتُهُ وَ عَمِلْتُ بِهِ إِلَى يَوْمِ أَجَلِي وَ لَا يَبْلُغُنِي أَنَّهُ أَبْغَضُ شَيْئًا إِلَّا أَبْغَضْتُهُ وَ هَجَرْتُهُ إِلَى يَوْمِ أَجَلِي وَ قَدْ أَنْبِئْتُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَدْلَ فِي عِبَادِهِ وَ يُبْغِضُ الْجَوْرَ فَوَيْلٌ لِلظَّالِمِ مِنْ سَوْطِي وَ سَيْفِي وَ مَنْ ظَهَرَ مِنْهُ



فَخُذْ مِنْهُ وَمَنْ أَبِي فَاسْتَحْلِفُهُ وَكُلُّهُ إِلَى اللَّهِ فَلَا تَنْقُوا اللَّهَ بِجَرَائِمِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ بِعَذَابِهِمْ.

٢٤٠٤

فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ

مَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَكَلَّمَ بِفِيكَ كُلُّهُ أَتَدْرِي مِمَّنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِفِيهِ كُلُّهُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَانَ يَعِيدُ فِي رَعِيَّتِهِ وَيَجُورُ عَلَى نَفْسِهِ وَ يُطْعِمُهُمُ الطَّيِّبَ وَيَأْكُلُ الْغَلِيظَ وَيَكْسُوهُمْ اللَّيْنَ وَيَلْبَسُ الْخَشْنَ وَيُعْطِيهِمُ الْحَقَّ وَيَزِيدُهُمْ وَيَمْنَعُ وُلْدَهُ وَأَهْلَهُ أُعْطِيَ رَجُلًا عَطَاءَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ثُمَّ زَادَهُ أَلْفًا فَقِيلَ لَهُ أَلَا تَزِيدُ ابْنَكَ عَبْدَ اللَّهِ كَمَا تَزِيدُ هَذَا فَقَالَ إِنَّ هَذَا ثَبَتَ أَبُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ فَرَّ أَبُوهُ وَلَمْ يَثْبُتْ.

٢٤٠٧

وَكَانَ يُقَالُ لَا يَكُونُ الْعُمَرَانُ إِلَّا حَيْثُ يَعْدِلُ السُّلْطَانُ.

٢٤٠٨

وَكَانَ يُقَالُ الْعَدْلُ حِصْنٌ وَثِيقٌ فِي رَأْسِ نَبِيٍّ (١) لَا يَخْطُمُهُ سَيْلٌ وَلَا يَهْدِمُهُ مَنْجَبِيْقٌ.

٢٤٠٩

وَقَعَ الْمَأْمُونُ إِلَى عَامِلٍ كَثُرَ التَّظَلُّمُ مِنْهُ أَنْصَفَ مَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُمْ وَإِلَّا أَنْصَفَهُمْ مِنْكَ مَنْ وَلِيَ أَمْرَكَ.

٢٤١٠

بَعْضُ السَّلَفِ الْعَدْلُ مِيزَانُ اللَّهِ وَالْجَوْرُ مِكْيَالُ الشَّيْطَانِ .

ص: ١٠٠

(١-١) النيق: أرفع موضع في الجبل.

فَأَخْبَاهُ ع رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَذْكَرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ فَقَالَ ع إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظَّمَتْ نِعْمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظَمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظْمًا وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلاهِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبَّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَ لَسْتُ بِحَمِيدٍ لِلَّهِ كَذَلِكَ وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَمَتْرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَرُبَّمَا اسْتَحَلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعِيدَ الْبَلَاءِ فَلَا تُشْنَوْا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ [الْبَقِيَّة]

فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَفَرَائِضَ لَا بِيَدٍ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ وَلَا تَتَحَفَّظُوا بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِقْطَالَاً فِي حَقِّ قِيلَ لِي وَلَا التَّمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِقْطَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعُدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ

فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالِهِ بِحَقِّ أَوْ مَشُورِهِ بِعَيْدِلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أخطِيَّ وَلَا آمَنْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَّ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَ أَنْتُمْ عَيْدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَ أَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالهُدَى وَ أَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

هذا الفصل و إن لم يكن فيه ألفاظ غريبه سبيلها أن تشرح ففیه معان مختلفه سبيلها أن تذكر و توضح و تذكر نظائرها و ما يناسبها.

فمنها قوله ع إن من حق من عظمت نعمه الله عليه أن تعظم عليه حقوق الله تعالى و أن يعظم جلال الله تعالى في نفسه و من حق من كان كذلك أن يصغر عنده كل ما سوى الله .

و هذا مقام جليل من مقامات العارفين و هو استحقاق كل ما سوى الله تعالى و ذلك أن من عرف الله تعالى فقد عرف ما هو أعظم من كل عظيم بل لا نسبه لشيء من الأشياء أصلا إليه سبحانه فلا يظهر عند العارف عظمه غيره البتة كما أن من شاهد الشمس المنيره يستحقر ضوء القمر و السراج الموضوع في ضوء الشمس حال مشاهدته جرم الشمس بل لا تظهر له في تلك الحال صنوبره السراج و لا تنطبع صورتها في بصره .

و منها قوله ع من أسخف حالات الولاه أن يظن بهم حبّ الفخر و يوضع

قَالَ النَّبِيُّ ص لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ.

و

قَالَ ص لَوْ لَا ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَصَلَحَ النَّاسُ شُحُّ مَطَاعٍ وَ هَوَى مُتَّبِعٌ وَ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ.

وَ كَانَ يُقَالُ لَيْسَ لِمُعْجَبٍ رَأْيٌ وَ لَا لِمُتَكَبِّرٍ صَدِيقٌ.

وَ كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ يَقُولُ مَا تَاهَ إِلَّا وَضِيعٌ وَ لَا فَاخِرٌ إِلَّا لَقِيطٌ وَ لَا تَعْصَبُ إِلَّا دَخِيلٌ.

وَ قَالَ عُمَرُ لِبَعْضِ وُلَدِهِ التَّمِيسِ الرَّفْعَةَ بِمَالَتَوَاضِعٍ وَ الشَّرْفَ بِالسُّدَيْنِ وَ الْعَفْوَ مِنَ اللَّهِ بِمَالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ وَ إِيَّاكَ وَ الْخِيَلَاءَ فَتَضَعُ مِنْ نَفْسِكَ وَ لَا تُحَقِّرَنَّ أَحَدًا لِأَنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّ مَنْ تَزْدَرِيهِ عَيْنَاكَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ وَسِيلَهُ مِنْكَ .

و منها قوله ع قد كرهت أن تظنوا بي حب الإطراء و استماع الثناء قد

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ اخْتُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ.

وَ قَالَ عُمَرُ الْمَدْحُ هُوَ الذَّبْحُ.

وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَقُولَ فِيكَ مِنَ الشَّرِّ مَا لَيْسَ فِيكَ.



وَيُقَالُ إِنَّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ الْقَدِيمَةِ عَجَبًا لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ وَ لَيْسَ فِيهِ كَيْفَ يَفْرُحُ وَ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الشَّرُّ وَ لَيْسَ فِيهِ كَيْفَ يَغْضَبُ وَ أَعْجَبُ مَنْ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ عَلَى الْيَقِينِ وَ أَبْغَضَ النَّاسَ عَلَى الظَّنِّ.

وَ كَانَ يُقَالُ لَا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ غَيْرِكَ بِكَ عِلْمَكَ بِنَفْسِكَ.

وَ قَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسِرَّ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ

إِذَا شِئْتُمْ فَانْهَضُوا فَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ يُرِيدُ الْكَلَامَ فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ الْمَلِكِ قِفْ لَا تَمِدِّحْنِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ وَلَا تَكْذِبْنِي فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِمَكْذُوبٍ وَلَا تَغْتَبَ عِنْدِي أَحَدًا فَإِنِّي أَكْرَهُ الْغَيْبَةَ قَالَ أَفَيَأْذُنُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِنْصِرَافِ قَالَ إِذَا شِئْتَ.

٢٤٢٢

وَ نَاطَرَ الْمَأْمُونُ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ النُّوشَجَانِيَّ فِي مَسْأَلِهِ كَلَامِيَّةٍ فَجَعَلَ النُّوشَجَانِيُّ يَخْضَعُ فِي الْكَلَامِ وَيَسْتَتَحْدِي لَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَرَاكَ تَنْقَادُ إِلَى مَا أَقُولُهُ قَبِيلَ وَجُوبِ الْحُجَّةِ لِي عَلَيْكَ وَقَدْ سَاءَ نَبِيٌّ مِنْكَ ذَلِكَ وَ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُفَسِّرَ الْأُمُورَ بِعِزِّهِ الْخِلَافَةِ وَ هَيْبَةِ الرَّئِيسَةِ لَصِيدْتُ وَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا وَ عَمِدْتُ وَ إِنْ كُنْتُ جَائِرًا وَ صُوبْتُ وَ إِنْ كُنْتُ مُخْطِئًا وَ لَكِنِّي لَا أَفْنَعُ إِلَّا بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَ إِزَالِهِ الشُّبْهَةِ وَ إِنْ أَنْقَصَ الْمُلُوكَ عَقْلًا وَ أَسْخَفَهُمْ رَأْيًا مَنْ رَضِيَ بِقَوْلِهِمْ صَدَقَ الْأَمِيرُ.

٢٤٢٣

وَ قَالَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْيَتِيمَةِ إِيَّاكَ إِذَا كُنْتَ وَالِيًا أَنْ يَكُونَ مِنْ شَأْنِكَ حُبُّ الْمَدْحِ وَ التَّرْكِيبِ وَ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ فَتَكُونَ ثَلَمَةً مِنَ الثَّلَمِ يَفْتَحُمُونَ عَلَيْكَ مِنْهَا وَ بَابًا يَفْتَتِحُونَكَ مِنْهُ وَ غَيْبَةً يَغْتَابُونَكَ بِهَا وَ يَسِيخِرُونَ مِنْكَ لَهَا وَ اعْلَمْ أَنَّ قَابِلَ الْمَدْحِ كَمَادِحِ نَفْسِهِ وَ أَنَّ الْمَرْءَ جَدِيدٌ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ الْمَدْحَ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى رَدِّهِ فَإِنَّ الرَّادَّ لَهُ مَمْدُوحٌ وَ الْقَابِلَ لَهُ مَعِيبٌ.

٢٤٢٤

وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِرَجُلٍ مِنْ سَيِّدِ قَوْمِكَ قَالَ أَنَا قَالَ لَوْ كُنْتُ كَذَلِكَ لَمْ تَقُلْهُ.

٢٤٢٥

وَ قَالَ الْحَسَنُ ذُمَّ الرَّجُلِ نَفْسَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ مَدْحٌ لَهَا فِي السِّرِّ.

٢٤٢٦

كَانَ يُقَالُ مَنْ أَظْهَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ فَقَدْ زَكَاهَا.

و منها قوله ع لو كنت كذلك لتركته انحطاطا لله تعالى عن تناول ما هو أحق به من الكبرياء

٢٤٢٧

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَ مَنْ تَكَبَّرَ خَفَضَهُ اللَّهُ.

ص: ١٠٤

وَ فِيهِ أَيْضاً الْعَظْمَةُ إِزَارِي وَ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَارَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ .

و منها قوله ع فلا تكلموني بما تكلم به الجبابره و لا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادره .

أحسن ما سمعته في سلطان لا تخاف الرعيه بادرته و لا يتلجلج المتحاكمون عنده مع سطوته و قوته لإيثاره العدل قول أبي تمام  
في محمد بن عبد الملك وزير حقّ و والي شرطه و رحي

ص: ١٠٥

و من هذا المعنى قول أبى الجهم العدوى في معاويه نقلبه لنخبر حالتيه

و منها قوله ع لا تظنوا بى استئقال رفع الحق إلى فإنه من استئقل الحق أن يقال له كان العمل به عليه أثقل .

هذا معنى لطيف و لم أسمع منه شيئا منشورا و لا منظوما .

و منها قوله ع و لا تكفوا عن قول بحق أو مشوره بعدل .

قد ورد في المشوره شيء كثير قال الله تعالى <sup>□</sup> وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ (١) .

٢٦٢٩

وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا اسْتَشَرْتَ إِنْسَانًا صَارَ عَقْلُهُ لَكَ.

٢٦٣٠

وَ قَالَ أَعْرَابِيٌّ مَا غُبْتُ قَطُّ حَتَّى يُغْبَنَ قَوْمِي قِيلَ وَ كَيْفَ ذَاكَ قَالَ لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أُشَاوِرَهُمْ.

٢٦٣١

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِشَارَةَ لَمْ يُمْنَعِ الصَّوَابَ وَ مَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِخَارَةَ لَمْ يُمْنَعِ الْخَيْرَةَ وَ مَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُمْنَعِ الْقَبُولَ وَ مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُمْنَعِ الْمَزِيدَ.

٢٦٣٢

وَ فِي آدَابِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ لَا- يُقْدَفَنَّ فِي رُوعِكَ أَنْتَكَ إِذَا اسْتَشَرْتَ الرَّجَالَ ظَهَرَ مِنْكَ لِلنَّاسِ حَاجَتُكَ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ فَيَقْطَعَكَ ذَلِكَ عَنِ الْمَشَاوَرَةِ فَإِنَّكَ لَا تُرِيدُ الرَّأْيَ لِلْفَخْرِ

ص: ١٠٦

وَلَكِنْ لِلإِتِّفَاعِ بِهِ وَ لَوْ أَنَّكَ أَرَدْتَهُ لِلذِّكْرِ لَكَانَ أَحْسَنَ الذِّكْرِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ لَا يَنْفَرِدُ بِرَأْيِهِ دُونَ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ إِخْوَانِهِ

و منها أن يقال ما معنى قوله ع و ربما استحلّى الناس الثناء بعد البلاء إلى قوله لا بدّ من إمضائها فنقول إن معناه أن بعض من يكره الإطراء و الثناء قد يحب ذلك بعد البلاء و الاختبار كما قال مرداس بن أديه لزياد إنّما الثناء بعد البلاء و إنّما نثنى بعد أن نبثلى فقال لو فرضنا أن ذلك سائغ و جائز و غير قبيح لم يجر لكم أن تشنوا على فى وجهى و لا جاز لى أن أسمع منكم لأنّه قد بقيت على بقيه لم أفرغ من أدائها و فرائض لم أمضها بعد و لا بدّ لى من إمضائها و إذا لم يتم البلاء الذى قد فرضنا أن الثناء يحسن بعده لم يحسن الثناء.

و معنى قوله لإخراجى نفسى إلى الله و إليكم أى لاعترافى بين يدى الله و بمحضر منكم أن على حقوقا فى إياالتكم و رئاستى عليكم لم أقم بها بعد و أرجو من الله القيام بها.

و منها أن يقال ما معنى قوله فلا تخالطونى بالمصانعه فنقول إن معناه لا تصانعونى بالمدح و الإطراء عن عمل الحق كما يصانع به كثير من الولاه الذين يستفزههم المدح و يستخفهم الإطراء و الثناء فيغمضون عن اعتماد كثير من الحق مكافأه لما صونعوا به من التقريظ و التزكيه و النفاق.

و منها قوله ع فإنى لست بفوق أن أخطئ هذا اعتراف منه ع بعدم العصمه فإما أن يكون الكلام على ظاهره أو يكون قاله على سبيل هضم

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَدَارَكَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ .

و منها قوله ع أخرجنا ممّا كنا فيه فأبدلنا بعد الضلاله بالهدى و أعطانا البصيره بعد العمى ليس هذا إشاره إلى خاصّ نفسه ع لأنّه لم يكن كافراً فأسلم و لكنه كلام يقوله و يشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أفناء الناس فيأتي بصيغه الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً و يجوز أن يكون معناه لو لا أطفاف الله تعالى ببعثه محمد ص لكنت أنا و غيرى على أصل مذهب الأسلاف من عباده الأصنام كما قال تعالى لَنبِيهِ وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى <sup>□</sup> (١) ليس معناه أنّه كان كافراً بل معناه لو لا اصطفاه الله تعالى لك لكنت كواحد من قومك و معنى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا (٢) أى و وجدك بعرضه للضلال فكأنّه ضال بالقوه لا بالفعل

ص: ١٠٨

١- ١) سورة الضحى ٧.

٢- ٢) كذا فى ب، و فى ا: «بعرضيه الضلال».

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرْبَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَنُوا إِنَائِي وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَعْمُومًا أَوْ مِتْ مُتَأَسِّفًا فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَعْنَتْ بِهِمْ عَنِ الْمَتِيهِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَىٰ وَجَرَعْتُ رِيْقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ وَالْمِ لِّلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشُّفَارِ.

[قال الرضى رحمه الله و قد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبه متقدمه إلا أنى ذكرته هاهنا لاختلاف الروايتين ]

العدوى طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك أى ينتقم لك منه يقال استعداد الأمير على فلان فأعدانى أى استعنت به عليه فأعانى.

و قطعوا رحمى و قطعوا قرابتي أى أجرونى مجرى الأجانب و يجوز أن يريد أنهم عدونى كالأجنى من رسول الله ص و يجوز أن يريد أنهم جعلونى كالأجنى

منهم لا ينصرونه و لا يقومون بأمره.

و أكفئوا إنائي

قلبه و كبوه و حذف الهمزه من أول الكلمه أفصح و أكثر و قد روى كذلك و يقال لمن قد أضيعت حقوقه قد أكفأ إناءه تشبيها بإضاعه اللبن من الإناء .

و قد اختلفت الروايه فى قوله إلا أن فى الحق أن تأخذه فرواها قوم بالنون و قوم بالتاء و قال الراوندى إنها فى خط الرضى بالتاء و معنى ذلك أنك إن وليت أنت كانت ولايتك حقا و إن ولى غيرك كانت ولايته حقا على مذهب أهل الاجتهاد و من رواها بالنون فالمعنى ظاهر .

و الرافد المعين و الذاب الناصر .

و ضنت بهم بخلت بهم و أغضيت على كذا صبرت.

و جرعت

بالكسر و الشجا ما يعترض فى الحلق.

و الوخز الطعن الخفيف و روى من خز الشفار و الخز القطع و الشفار جمع شفره و هى حدّ السيف و السكين و اعلم أن هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين ع ما يناسبه و يجرى مجراه و لم يؤرخ الوقت الذى قاله فيه و لا الحال التى عناها به و أصحابنا يحملون ذلك على أنه ع قاله عقيب الشورى و بيعه عثمان فإنه ليس يرتاب أحد من أصحابنا على أنه تظلم و تألم حينئذ.

و يكره أكثر أصحابنا حمل أمثال هذا الكلام على التألم من يوم السقيفه .

و لقائل أن يقول لهم أ تقولون إن بيعه عثمان لم تكن صحيحه فيقولون لا فيقال

ص : ١١٠



لهم فعلى ما ذا تحملون كلامه ع مع تعظيمكم له و تصديقكم لأقواله فيقولون نحمل ذلك على تألمه و تظلمه منهم إذا تركوا الأولى و الأفضل فيقال لهم فلا تكرهوا قول من يقول من الشيعة و غيرهم إن هذا الكلام و أمثاله صدر عنه عقيب السقيفه و حملوه على أنه تألم و تظلم من كونهم تركوا الأولى و الأفضل فإنكم لستم تنكرون أنه كان الأفضل و الأحق بالأمر بل تعترفون بذلك و تقولون ساغت إمامه غيره و صحت لمانع كان فيه ع و هو ما غلب على ظنون العاقدين للأمر من أن العرب لا تطيعه فإنه يخاف من فتنه عظيمه تحدث إن ولى الخلافة لأسباب يذكرونها و يعدونها و قد روى كثير من المحدثين أنه عقيب يوم السقيفه تألم و تظلم و استنجد و استصرخ حيث ساموه الحضور و البيعه و أنه قال و هو يشير إلى القبر يا ابن أمم إنَّ القَوْمَ اسْتَضَّ عَفُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي (١)

٢٤٣٤

وَ أَنَّهُ قَالَ

وَ جَعَفَرَا وَ لَا جَعْفَرَ لِي الْيَوْمَ وَ حَمَزَتَاهُ وَ لَا حَمَزَةَ لِي الْيَوْمَ .

و قد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحه فيما تقدم و كل ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل و القرابه و ليس بدال عندنا على وجود النص لأنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفه و أسهل طريقا و أيسر لما يريد تناولا أن يقول يا هؤلاء إن العهد لم يطل و إن رسول الله ص أمركم بطاعتي و استخلفني عليكم بعده و لم يقع منه ع بعد ما علمتموه و نص ينسخ ذلك و لا يرفعه فما الموجب لتركي و العدول عنى.

فإن قالت الإماميه كان يخاف القتل لو ذكر ذلك فليلهم فهلا يخاف القتل و هو يعتل و يدفع لبياع و هو يمتنع و يستصرخ تاره بقبر رسول الله ص

ص: ١١١

و تاره بعمه حمزه و أخيه جعفر و هما ميطان و تاره بالأنصار و تاره بينى عبد مناف و يجمع الجموع فى داره و بيث الرسل و الدعاه ليلا و نهارا إلى الناس يذكهم فضله و قرابته و يقول للمهاجرين خصمتم (١) الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول الله ص و أنا أخصمكم بما خصمتم به الأنصار لأن القرابه إن كانت هى المعتره فأنا أقرب منكم.

و هلا خاف من هذا الامتناع و من هذا الاحتجاج و من الخلوه فى داره بأصحابه و من تنفير الناس عن البيعه التى عقدت حينئذ لمن عقدت له.

و كل هذا إذا تأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت فى أمر و أخطأت فى أمر أما الأمر الذى أصابت فيه فقولها إنه امتنع و تلكأ و أراد الأمر لنفسه و أما الأمر الذى أخطأت فيه فقولها إنه كان منصوبا عليه نصا جليا بالخلافه تعلمه الصحابه كلها أو أكثرها و أن ذلك النصّ خولف طلبا للرئاسه الدنيويه و إثارا للعاجله و أن حال المخالفين للنص لا تعدو أحد أمرين إمّا الكفر أو الفسق فإن قرائن الأحوال و أماراتها لا تدلّ على ذلك و إنما تدلّ و تشهد بخلافه و هذا يقتضى أن أمير المؤمنين ع كان فى مبدأ الأمر يظن أن العقد لغيره كان عن غير نظر فى المصلحه و أنه لم يقصد به إلا صرف الأمر عنه و الاستئثار عليه فظهر منه ما ظهر من الامتناع و القعود فى بيته إلى أن صح عنده و ثبت فى نفسه أنهم أصابوا فيما فعلوه و أنهم لم يميلوا إلى هوى و لا- أرادوا الدنيا و إنما فعلوا الأصلح فى ظنونهم لأنه رأى من بغض الناس له و انحرافهم عنه و ميلهم عليه و ثوران الأحقاد التى كانت فى أنفسهم و احتدام النيران التى كانت فى قلوبهم و تذكروا التراث التى و تراهم فيما قبل بها و الدماء التى سفكها منهم و أراقها.

ص: ١١٢

١-١) خصمكم الأنصار: غلبوكم.

و تعلق طائفه أخرى منهم للعدول عنه بصغر سنه و استهجانهم تقديم الشباب على الكهول و الشيوخ.

و تعلق طائفه أخرى منهم بكرهيه الجمع بين النبوه و الخلافه فى بيت واحد فيجفخون (١) على الناس كما قاله من قاله و استصعاب قوم منهم شكيمته و خوفهم تعديه و شدته و علمهم بأنه لا يداجى و لا يحابى و لا يراقب و لا يجامل فى الدين و أن الخلافه تحتاج إلى من يجتهد برأيه و يعمل بموجب استصلاحه و انحراف قوم آخرين عنه للحسد الذى كان عندهم له فى حياه رسول الله ص لشده اختصاصه له و تعظيمه إياه و ما قال فيه فأكثر من النصوص الداله على رفعه شأنه و علو مكانه و ما اختص به من مصاهرته و أخوته و نحو ذلك من أحواله معه و تنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب و التيه كما زعموا و احتقاره العرب و استصغاره الناس كما عدده عليه و إن كانوا عندنا كاذبين و لكنه قول قيل و أمر ذكر و حال نسبت إليه و أعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذا نحو

٢٦٣٥

قَوْلِهِ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا.

و ما صح به عنده (٢) أن الأمر لم يكن ليستقيم له يوماً واحداً و لا ينتظم و لا يستمر و أنه لو ولى الأمر لفتقت العرب عليه فتقا يكون فيه استئصال شأفه الإسلام و هدم أركانه فأذعن بالبيعه و جنح إلى الطاعه و أمسك عن طلب الإمرة و إن كان على مضض و رمض.

٢٦٣٦

١٥، ١- وَ قَدْ رَوَى عَنْهُ ع أَنَّ فَاطِمَةَ ع حَرَّضَتْهُ يَوْمًا عَلَى التُّهُؤِصِ وَ الْوُثُوبِ فَسَمِعَ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ لَهَا أَيْسُرُكَ زَوَالُ هَذَا النَّدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ قَالَتْ لَا قَالَ فَإِنَّهُ مَا أَقُولُ لَكَ .

ص: ١١٣

١- ١) فيجفخون: يفخرون و يتكبرون.

٢- ٢) ب: «عنده»، و ما أثبتته من أ.

و هذا المذهب هو أقصد المذاهب و أصحابها و إليه يذهب أصحابنا المتأخرون من البغداديين و به يقول.

و اعلم أن حال علي ع في هذا المعنى أشهر من أن يحتاج في الدلالة عليها إلى الإسهاب و الإطناب فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافه بعد وفاه رسول الله ص بخمس و عشرين سنه و في دون هذه المده تنسى الأحقاد و تموت التراث و تبرد الأكباد الحاميه و تسلو القلوب الواجده و يعدم قرن من الناس و يوجد قرن و لا يبقى من أرباب تلك الشحاء و البغضاء إلاّ الأقل فكانت حاله بعد هذه المده الطويله مع قريش كأنها حاله لو أفضت الخلافه إليه يوم وفاه ابن عمه ص من إظهار ما في النفوس و هيجان ما في القلوب حتّى أن الأخلاف من قريش و الأحداث و الفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه و فتكاته في أسلافهم و آبائهم فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله و تقاعست عن بلوغ شأوه فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافه و سيفه بعد يقطر دما من مهج العرب لا سيما قريش الذين بهم كان ينبغي لو دهمه خطب أن يعتضد و عليهم كان يجب أن يعتمد إذن كانت تدرس أعلام المله و تنعفى رسوم الشريعة و تعود الجاهليه الجهلاء على حالها و يفسد ما أصلحه رسول الله ص في ثلاث و عشرين سنه في شهر واحد فكان من عنايه الله تعالى بهذا الدين أن ألهم الصحابه ما فعلوه  
وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ... وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

ص: ١١٤

و سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمّد بن أبى يزيد رحمه الله قلت له أ تقول إن حمزه و جعفرًا لو كانا حيين يوم مات رسول الله ص أ كانا يبايعانه بالخلافه فقال نعم كانا أسرع إلى بيعته من النار فى بيس العرفج فقلت له أظن أن جعفرًا كان يبايعه و يتابعه و ما أظن حمزه كذلك و أراه جبارًا قوى النفس شديد الشكيمه ذاهبًا بنفسه شجاعًا بهمه و هو العم و الأعلى سنا و آثاره فى الجهاد معروفه و أظنه كان يطلب الخلافه لنفسه.

فقال الأمر فى أخلاقه و سجايه كما ذكرت و لكنه كان صاحب دين متين و تصديق خالص لرسول الله ص و لو عاش لرأى من أحوال على ع مع رسول الله ص ما يوجب أن يكسر له نخوته و أن يقيم له صعره و أن يقدمه على نفسه و أن يتوخى رضا الله و رضا رسوله فيه و إن كان بخلاف إيثاره.

ثم قال أين خلق حمزه السبعى من خلق على الروحانى اللطيف الذى جمع بينه و بين خلق حمزه فاتصفت بهما نفس واحده و أين هيولانيه نفس حمزه و خلوها من العلوم من نفس على القدسيه التى أدركت بالفطره لا بالقوه التعليميه ما لم تدركه نفوس مدققى الفلاسفه الإلهيين لو أن حمزه حى حتى رأى من على ما رآه غيره لكان أتبع له من ظله و أطوع له من أبى ذر و المقداد أما قولك هو و العم و الأعلى سنا فقد كان العباس العم و الأعلى سنا و قد عرفت ما بذله له و ندبه إليه و كان أبو سفيان كالعمر و كان أعلى سنا و قد عرفت ما عرضه عليه ثم قال ما زالت الأعمام تخدم أبناء الإخوه و تكون أتباعا لهم أ لست ترى داود بن

علي و عبد الله بن علي و صالح بن علي و سليمان بن علي و عيسى بن علي و إسماعيل بن علي و عبد الصمد بن علي خدموا ابن أخيهم و هو عبد الله السفاح بن محمد بن علي و تابعوه و تابعوه و كانوا أمراء جيوشه و أنصاره و أعوانه أ لست ترى حمزه و العباس اتبعا ابن أخيهم صلوات الله عليه و أطاعاه و رضيا برياسته و صدقا دعوته أ لست تعلم أن أبا طالب كان رئيس بني هاشم و شيخهم و المطاع فيهم و كان محمد رسول الله ص يتيمة و مكفولة و جاريا مجرى أحد أولاده عنده ثم خضع له و اعترف بصدقه و دان لأمره حتى مدحه بالشعر كما يمدح الأدنى الأعلى فقال فيه و أبيض يستسقى الغمام بوجهه و إن سرا اختص به محمد ص حتى أقام أبا طالب و حاله معه حاله مقام المادح له لسر عظيم و خاصيه شريفه و إن في هذا لمعتبر عبره أن يكون هذا الإنسان الفقير الذي لا أنصار له و لا أعوان معه و لا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلا عن أن يقهر غيره تعمل دعوته و أقواله في الأنفس ما تعمله الخمر في الأبدان المعتدله المزاج حتى تطيعه أعمامه و يعظمه مربيه و كافلة و من هو إلى آخر عمره القيم بنفقتة و غذاء بدنه و كسوه جسده حتى يمدحه بالشعر كما يمدح الشعراء الملوك و الرؤساء و هذا في باب المعجزات عند المنصف أعظم من انشقاق القمر و انقلاب العصا و من إنباء القوم بما يأكلون و ما يدخرون في بيوتهم.

ثم قال رحمه الله كيف قلت أظن أن جعفرًا كان يبایعه و يتابعه و لا- أظن في حمزه ذلك إن كنت قلت ذلك لأنه أخوه فإنه أعلى منه سنا هو أكبر من علي بعشر

١٤,١- وَ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ص قَوْلًا شَرِيفًا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ قَالَ لَهُ لَمَّا افْتَحَرَ هُوَ وَ عَلِيٌّ وَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَ تَحَاكَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَ خُلُقِي فَخَجَلٌ فَرحاً ثُمَّ قَالَ لَزَيْدٍ أَنْتَ مَوْلَانَا وَ صَاحِبُنَا فَخَجَلٌ أَيْضًا ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ أَنْتَ أَخِي وَ خَالِصَتِي قَالُوا فَلَمْ يَخَجَلْ .

قالوا كان ترادف التعظيم له و تكرر عليه لم يجعل عنده للقول ذلك الموضع و كان غيره إذا عظم عظم نادرا فيحسن موقعه عنده و اختلف الناس في أى المدحتين أعظم.

فقلت له قد وقفت لأبى حيان التوحيدى فى كتاب البصائر على فصل عجيب يمازج ما نحن فيه قال فى الجزء الخامس من هذا الكتاب سمعت قاضى القضاة أبا سعد بشر بن الحسين و ما رأيت رجلا أقوى منه فى الجدل فى مناظره جرت بينه و بين أبى عبد الله الطبرى و قد جرى حديث جعفر بن أبى طالب و حديث إسلامه و التفاضل بينه و بين أخيه على فقال القاضى أبو سعد إذا أنعم النظر علم أن إسلام جعفر كان بعد بلوغ و إسلام البالغ لا يكون إلا بعد استبصار و تبين و معرفه بقبح ما يخرج منه و حسن ما يدخل فيه و أن إسلام على مختلف فى حاله و ذلك أنه قد ظن أنه كان عن تلقين لا تبين إلى حين بلوغه و أوان تعقبه و نظره و قد علم أيضا أنهما قتلا و أن قتله جعفر شهاده بالإجماع [بالإجماع]

و قتله على فيها أشد الاختلاف ثم خص الله جعفرا بأن قبضه إلى الجنة قبل ظهور التباين و اضطراب الحبل و كثره الهرج و على أنه لو انعقد الإجماع و تظاهر جميع الناس على أن القتلين شهاده لكانت الحال فى الذى رفع إليها جعفر أغلظ و أعظم و ذلك أنه قتل مقبلا- غير مدبر و أما على فإنه اغتيل اغتيالاً و قصد من حيث لا يعلم و شتان ما بين من فوجئ بالموت و بين من عاين مخايل الموت

و تلقاه بالنحر و الصدر و عجل إلى الله بالإيمان و الصدق أ لا تعلم أن جعفرا قطعت يمينه فأمسك اللواء بيسراه و قطعت يسراه فضم اللواء إلى حشاه ثم قاتله ظاهر الشرك بالله و قاتل على ممن صلى إلى القبلة و شهد الشهاده و أقدم عليه بتأويل و قاتل جعفر كافر بالنص الذى لا خلاف فيه أ ما تعلم أن جعفرا ذو الجناحين و ذو الهجرتين إلى الحبشه و المدينه .

قال النقيب رحمه الله اعلم فداك شيخك أن أبا حيان رجل ملحد زنديق يحب التلاعب بالدين و يخرج ما فى نفسه فيعزوه إلى قوم لم يقولوه و أقسم بالله إن القاضى أبا سعد لم يقل من هذا الكلام لفظه واحده و لكنها من موضوعات أبى حيان و أكاذيبه و ترهاته كما يسند إلى القاضى أبى حامد المروروذى كل منكر و يروى عنه كل فاقره.

ثم قال يا أبا حيان مقصودك أن تجعلها مسأله خلاف تثير بها فتنه بين الطالبين لتجعل بأسهم بينهم و كيف تقلبت الأحوال فالفخر لهم لم يخرج عنهم.

ثم ضحك رحمه الله حتى استلقى و مد رجليه و قال هذا كلام يستغنى عن الإطاله فى إبطاله بإجماع المسلمين فإنه لا خلاف بين المسلمين فى أن عليا أفضل من جعفر و إنما سرق أبو حيان هذا المعنى الذى أشار إليه من رساله المنصور أبى جعفر إلى محمّد بن عبد الله النفس الزكيه قال له و كانت بنو أميه يلعنون أباك فى أدبار الصلوات المكتوبات كما تلعن الكفره فعنفناهم و كفرناهم و بينا فضله و أشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجه و ظننت أنه لما ذكرناه من فضله أنا قدمناه على حمزه و العباس و جعفر أولئك مضوا سالمين مسلمين منهم و ابتلى أبوك بالدماء.

فقلت له رحمه الله و إذا لا إجماع فى المسأله لأن المنصور لم يقل بتفضيله عليهم



و أنت ادعيت الإجماع فقال إن الإجماع قد سبق هذا القائل و كل قول قد سبقه الإجماع لا يعتد به.

فلما خرجت من عند النقيب أبي جعفر بحثت في ذلك اليوم في هذا الموضوع مع أحمد بن جعفر الواسطي رحمه الله و كان ذا فضل و عقل و كان إمامي المذهب فقال لي صدق النقيب فيما قال أ لست تعلم أن أصحابكم المعتزله على قولين أحدهما أن أكثر المسلمين ثوبا أبو بكر و الآخر أن أكثرهم ثوبا على و أصحابنا يقولون إن أكثر المسلمين ثوبا على و كذلك الزيديه و أما الأشعريه و الكراميه و أهل الحديث فيقولون أكثر المسلمين ثوبا أبو بكر فقد خلص من مجموع هذه الأقوال أن ثواب حمزه و جعفر دون ثواب على ع أما على قول الإماميه و الزيديه و البغداديين كافه و كثير من البصريين من المعتزله فالأمر ظاهر و أمّا الباقيون فعندهم أن أكثر المسلمين ثوبا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على و لم يذهب ذاهب إلى أن ثواب حمزه و جعفر أكثر من ثواب على من جميع الفرق فقد ثبت الإجماع الذي ذكره النقيب إذا فسرنا الأفضليه بالأكثرية ثوبا و هو التفسير الذي يقع الحجاج و الجدال في إثباته لأحد الرجلين و أمّا إذا فسرنا الأفضليه بزياده المناقب و الخصائص و كثره النصوص الداله على التعظيم فمعلوم أن أحدا من الناس لا يقارب عليا ع في ذلك لا جعفر و لا حمزه و لا غيرهما.

ثم وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا أبي جعفر الإسكافي ذكر فيه أن مذهب بشر بن المعتمر و أبي موسى و جعفر بن مبشر و سائر قدماء البغداديين أن أفضل المسلمين علي بن أبي طالب ثم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم حمزه بن عبد المطلب ثم جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر بن أبي قحافه ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان

قال و المراد بالأفضل أكرمهم عند الله أكثرهم ثوابا و أرفعهم في دار الجزاء منزله.

ثم وقفت بعد ذلك على كتاب لشيخنا أبي عبد الله البصري يذكر فيه هذه المقالة و ينسبها إلى البغداديين و قال إن الشيخ أبا القاسم البلخي كان يقول بها و قبله الشيخ أبو الحسين الخياط و هو شيخ المتأخرين من البغداديين قالوا كلهم بها فأجبنى هذا المذهب و سررت بأن ذهب الكثير من شيوخنا إليه و نظمته في الأرجوزة التي شرحت فيها عقيدة المعتزلة فقلت و خير خلق الله بعد المصطفى

ص: ١٢٠

فَقَدِمُوا عَلَيَّ عُمَالِي وَ خُرَّانَ بَيْتِ [مَالِ]

الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَ عَلَيَّ أَهْلَ مِصْرٍ كُلَّهُمْ فِي طَاعَتِي وَ عَلَيَّ بَيْعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَ أَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ وَ وَتَبُوا عَلَيَّ  
شِيعَتِي فَتَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا وَ [طَائِفَةً]

طَائِفَةً عَضُوا عَلَيَّ أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ .

عضوا على أسيافهم

كنايه عن الصبر في الحرب و ترك الاستسلام و هي كنايه فصيححه شبه قبضهم على السيوف بالعض و قد قدمنا ذكر ما جرى و  
أن عسكر الجمل قتلوا طائفه من شيعه أمير المؤمنين ع بالبصره بعد أن أمنوهم غدرا و أن بعض الشيعه صبر في الحرب و لم  
يستسلم و قاتل حتى قتل مثل حكيم بن جبله العبدى و غيره و روى و طائفه عضوا على أسيافهم بالرفع تقديره و منهم طائفه.

٢٤٣٨

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُتَيْبَةَ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ أَنَّهُ ذَكَرَ خُرُوجَ عَائِشَةَ فَقَالَ تَفَاتَلُ مَعَهَا  
مُضْرٌ مَضَّرَهَا اللَّهُ فِي النَّارِ (١)

ص: ١٢١

١ - ١) قال ابن الأثير في شرحه للحديث: «أى جعلها في النار، فاشتق لذلك لفظا من اسمها؛ يقال: مضرنا فلانا فتمضر؛ أى صيرناه  
كذلك، أى نسبناه إليها. و قال الزمخشري: مضرها: جمعها كما يقال: جند الجنود، و قيل: مضرها: أهلكتها، من قولهم: ذهب دمه خضرا  
مضرا، أى هدرها». النهاية ٤: ٩٨.

وَأَزْدُ عُمَانَ سَلَتَ اللَّهُ أَقْدَامَهَا (١) وَإِنَّ قَيْسًا لَنْ تَنْفِكَ تَبْعِي دِينَ اللَّهِ شَرًّا حَتَّى يَرْكَبَهَا اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ فَلَا يَمْنَعُوا ذَنْبَ تَلْعِهِ (٢).

قلت هذا الحديث من أعلام نبوه سيدنا محمد ص لأنه إخبار عن غيب تلقاه حذيفه عن النبي ص و حذيفه أجمع أهل السيره على أنه مات فى الأيام التى قتل عثمان فيها أتاه نعيه و هو مريض فمات و على ع لم يتكامل بيعه الناس و لم يدرك الجمل .

و هذا الحديث يؤكد مذهب أصحابنا فى فسق أصحاب الجمل إلا من ثبتت توبته منهم و هم الثلاثة

ص: ١٢٢

---

١-١) سلت الله أقدامها: قطعها. النهاية ١٧٤: ٢.

٢-٢) التلاع: مسایل الماء، من علو إلى سفلى، واحداها تلعه، و ذنب التلعه: أسفلها؛ قال الزمخشري: «أى يذلها الله حتى لا تقدر على أن تمنع ذنب تلعه الفائق. ٣: ٣٢».

لَقَدْ أَضْيَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشُ قَتْلِي تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ أَدْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ  
بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَ [أَفَلْتَنِي أَعْيَارُ]

أَفَلْتَنِي أَعْيَانُ بَنِي [جَمَح]

جَمَحَ لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوَقُصُوا دُونَهُ .

[عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد]

هو عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ليس بصحابي و لكنه من التابعين و أبوه عتاب بن أسيد  
بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس من مسلمة الفتح

٢٤٣٩

١٤- وَ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ مَكَّةَ إِلَى حُنَيْنٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا فَلَمْ يَزَلْ أَمِيرَهَا حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ بَقِيَ عَلَى خِيَالِهِ  
خِلَافَهُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَ مَاتَ هُوَ وَ أَبُو بَكْرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ لَمْ يَعْلَمْ أَحَدُهُمَا بِمَوْتِ الْآخَرِ . و عبد الرحمن هذا هو الذي

٢٤٤٠

١- قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ وَ قَدْ مَرَّ بِهِ قَتِيلًا- يَوْمَ الْجَمَلِ لَهْفِي عَلَيْكَ يَعْسُوبَ قُرَيْشٍ هَذَا فَتَى الْفُتَيَانِ هَذَا اللَّبَابُ الْمَحْضُ مِنْ بَنِي  
عَبْدِ مَنَافٍ شَفَيْتُ نَفْسِي وَ قَتَلْتُ مَعْشَرِي إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عُجْرِي وَ بُجْرِي فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ لَشَدَّ مَا أَطْرَيْتَ

ص: ١٢٣

الْفَتَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُنْذُ الْيَوْمِ قَالَ إِنَّهُ قَامَ عَنِّي وَ عَنَّهُ نِسْوَةٌ لَمْ يَقْمَنَّ عَنْكَ

و عبد الرحمن هذا هو الذى احتملت العُقَاب كفه يوم الجمل و فيها خاتمه فألقته باليمامة فعرفت بخاتمه و علم أهل اليمامة بالوقعه .

و رأيت فى شرح نهج البلاغه للقطب الراوندى فى هذا الفصل عجائب و طرائف فأحببت أن أوردها هاهنا منها أنه قال فى تفسير قوله ع أدركت وترى (1) من بنى عبد مناف قال يعنى طلحه و الزبير كانا من بنى عبد مناف و هذا غلط قبيح لأن طلحه من تيم بن مره و الزبير من أسد بن عبد العزى بن قصى و ليس أحد منهما من بنى عبد مناف و ولد عبد مناف أربعة هاشم و عبد شمس و نوفل و عبد المطلب فكل من لم يكن من ولد هؤلاء الأربعة فليس من ولد عبد مناف .

و منها أنه قال إن مروان بن الحكم من بنى جمح و لقد كان هذا الفقيه رحمه الله بعيدا عن معرفه الأنساب مروان من بنى أمية بن عبد شمس و بنو جمح من بنى هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب و اسم جمح تيم بن عمرو بن هصيص و أخوه سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاص فأين هؤلاء و أين مروان بن الحكم .

و منها أنه قال و أفلتنتى أغيار بنى جمح بالغين المعجمه قال هو جمع غير الذى بمعنى سوى و هذا لم يرو و لا مثله مما يتكلم به أمير المؤمنين لركته و بعده عن طريقته فإنه يكون قد عدل عن أن يقول و لم يفلتنتى إلا بنو جمح إلى مثل هذه العبارة الركيكه المتعسفه

ص: ١٢٤

(١-١) الوتر: الذحل و الثأر.

و اعلم أنه ع أخرج هذا الكلام مخرج الذم لمن حضر الجمل مع عائشه زوجة النبي ص من بنى جمح فقال و أفلتنتى أعيار بنى جمح جمع غير و هو الحمار و قد كان معها منهم يوم الجمل جماعه هربوا و لم يقتل منهم إلا اثنان فممن هرب و نجا بنفسه عبد الله الطويل بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافه بن جمح و كان شريفا و ابن شريف و عاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة .

و منهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف بن حذافه بن جمح حتى استعمله عمرو بن سعيد الأشدق على مكة لما جمع له بين مكة و المدينة فأقام عمرو بالمدينة و يحيى بمكة .

و منهم عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن حذافه بن جمح حتى قتل بقديد قتلت الخوارج . وائل و ولاء عبد الله بن الزبير بن العوام الكوفي .

و منهم أيوب بن حبيب بن علقمه بن ربيعة بن الأعور بن أهيب بن حذافه بن جمح عاش حتى قتل بقديد قتلت الخوارج .

فهؤلاء الذين أعرف حضورهم الجمل مع عائشه من بنى جمح و قتل من بنى جمح مع عائشه عبد الرحمن بن وهب بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافه بن جمح و عبد الله بن ربيعة بن دراج العنيس بن وهبان بن وهب بن حذافه بن جمح لا أعرف أنه قتل من بنى جمح ذلك اليوم غيرهما فإن صحت الرواية و أفلتنتى أعيان بنى جمح بالنون فالمراد رؤسائهم و ساداتهم .

و أتلعوا أعناقهم رفعوها و رجل أتلع بين التلع أى طويل العنق و جيد تليع أى طويل قال الأعشى

يوم تبدى لنا قتيله عن جيد

تليح تزينه الأطواق (١)

و وقص الرجل إذا اندقت عنقه فهو موقوص و وقصت عنق الرجل أقصها وقصا أى كسرتها و لا يجوز وقصت العنق نفسها.

و الضمير فى قوله ع لقد أتلعوا يرجع إلى قريش أى راموا الخلفه فقتلوا دونها.

فإن قلت أ تقول إن طلحه و الزبير لم يكونا من أهل الخلفه إن قلت ذلك تركت مذهب أصحابك و إن لم تقله خالفت قول أمير المؤمنين لم يكونوا أهله.

قلت هما أهل للخلفه ما لم يطلبها أمير المؤمنين فإذا طلبها لم يكونا أهلا لها لا هما و لا غيرهما و لو لا طاعته لمن تقدم و ما ظهر من رضاه به لم نحكم بصحة خلفته

ص: ١٢٤

---

(١-١) ديوانه ١٤٠.



## اشاره

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَ أَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَ لَطَفَ غَلِيظُهُ وَ بَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرٌ الْبُرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَ سَيَّلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَ تَدَافَعَتْهُ  
الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَ دَارِ الْإِقَامَةِ وَ ثَبَّتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينِهِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَ الرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ وَ أَرْضَى رَبُّهُ .

يصف العارف يقول قد أحيا قلبه بمعرفه الحق سبحانه و أمات نفسه بالمجاهده و رياضه القوه البدنيه بالجوع و العطش و السهر و  
الصبر على مشاق السفر و السياحه.

حتى دق جليله

أى حتى نحل بدنه الكثيف.

و لطف غليظه

تلطفت أخلاقه و صفت نفسه فإن كدر النفس فى الأكثر إنما يكون من كدر الجسد و البطنه كما قيل تذهب الفطنه

## [فصل فى مجاهده النفوس و ما ورد فى ذلك من الآثار]

و تقول أرباب هذه الطريقه من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهده لم يجد من هذه الطريقه شمه.

ص: ١٢٧

وَقَالَ عُمَيْرَانُ الْمَعْرِبِيُّ الصُّوفِيُّ مَنِ ظَنَّ أَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَوْ يُكْشَفُ لَهُ عَنْ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِهَا مِنْ غَيْرِ لُزُومِ الْمُجَاهَدَةِ فَهُوَ غَالِطٌ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَدَايَتِهِ قَوْمَهُ لَمْ يَكُنْ فِي نَهَائَتِهِ جُلَسَةً.

وَمِنْ كَلَامِهِمُ الْحَرَكَهَ بَرَكَهَ حَرَكَاتُ الظَّوَاهِرِ تُوجِبُ بَرَكَاتِ السَّرَائِرِ.

وَمِنْ كَلَامِهِمُ مَنْ زَيْنَ ظَاهِرَهُ بِالْمُجَاهَدَةِ حَسَّنَ اللَّهُ سَرَائِرَهُ بِالْمُشَاهَدَةِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْفَرَاذِينِيُّ هَذَا الْأَمْرُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ أَلَّا تَأْكُلَ إِلَّا عِنْدَ الْفَاقِهِ وَلَا تَنَامَ إِلَّا عِنْدَ الْغَلْبَةِ وَلَا تَتَكَلَّمَ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ لَنْ يَنَالَ الرَّجُلُ دَرَجَةَ الصَّالِحِينَ حَتَّى يُعْلِقَ عَنْ نَفْسِهِ بَابَ النُّعْمَةِ وَيُفْتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الشُّدَّةِ.

وَمِنْ كَلَامِهِمُ مَنْ كَرَمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَ عَلَيْهِ دِينُهُ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّوَدْبَارِيُّ إِذَا قَالَ الصُّوفِيُّ بَعْدَ حَمْسَةِ أَيَّامٍ أَنَا جَائِعٌ فَأَلْزِمُوهُ الشُّوقَ وَ مُرُوهُ بِالْكَسْبِ.

وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ أَبُو تَمَامٍ وَهُوَ يَفْصِدُ غَيْرَ مَا نَحْنُ فِيهِ وَ لَكِنَّهُ يَصْلُحُ أَنْ يُشْتَعْمَلَ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ

خُذِي عِبْرَاتٍ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي



فَلَيْسَتْ فَرْحُهُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا

وَ قَالَ أَيْضًا فَاطِلْبُ هُدُوءًا بِالتَّقْلُقِ وَ اسْتِثْرٍ وَ

٢٤٥٠

١٤,١٥- جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ فَاطِمَةَ جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص بِكِسْرِهِ خُبْرٍ فَقَالَ مَا هَذِهِ قَالَتْ قُرْصٌ خَبَرْتُهُ فَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي حَتَّى أَتَيْتَكَ مِنْهُ بِهَذِهِ الْكِسْرَةِ فَأَكَلَهَا وَ قَالَ أَمَا إِنَّهَا لِأَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمِ أَيْبِكَ مُنْذُ ثَلَاثٍ .

٢٤٥١

وَ كَانَ يُقَالُ يَنْابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنَ الْجُوعِ وَ كَسْرُ عَادِيَةِ النَّفْسِ بِالْمُجَاهَدَةِ.

ص: ١٢٩

وَ قَالَ يَحْيَىٰ بَنُ مَعَاذٍ لَوْ أَنَّ الْجُوعَ يُبَاعُ فِي السُّوقِ لَمَّا كَانَ يُبْنَىٰ لِطُلَّابِ الْآخِرَةِ إِذَا دَخَلُوا السُّوقَ أَنْ يَشْتَرُوا غَيْرَهُ.

وَ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الدُّنْيَا جَعَلَ فِي الشَّبَعِ الْمَعْصِيَةَ وَ الْجَهْلَ وَ جَعَلَ فِي الْجُوعِ الطَّاعَةَ وَ الْحِكْمَةَ.

وَ قَالَ يَحْيَىٰ بَنُ مَعَاذٍ الْجُوعُ لِلْمُرِيدِينَ رِيَاضَةٌ وَ لِلتَّائِبِينَ تَجْرِبَةٌ وَ لِلزُّهَادِ سِيَّاسَةٌ وَ لِلْعَارِفِينَ تَكْرِمَةٌ.

وَ قَالَ أَبُو سَلْمَانَ الدَّارَانِيُّ مِفْتَاحُ الدُّنْيَا الشَّبَعُ وَ مِفْتَاحُ الْآخِرَةِ الْجُوعُ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ أَدَبُ الْجُوعِ أَلَّا يَنْقُصَ مِنْ عَادَتِكَ إِلَّا مِثْلُ أُذُنِ السَّنُورِ هَكَذَا عَلَى التَّدرِيجِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَا تُرِيدُ.

وَ يُقَالُ إِنَّ أَبَا تُرَابِ النَّخْشَبِيِّ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ فَوَصَلَ إِلَيْهَا عَلَى أَكْلَتَيْنِ أَكَلَهُ بِالْبِتَّاجِ وَ أَكَلَهُ بِذَاتِ عِزْقٍ .

قَالُوا وَ كَانَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّشْتَرِيُّ إِذَا جَاعَ قَوِيَ وَ إِذَا أَكَلَ ضَعُفَ.

وَ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَأْكُلُ كُلَّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَكَلَهُ وَاحِدَةً وَ مِنْهُمْ مَنْ يَأْكُلُ كُلَّ ثَمَانِينَ يَوْمًا أَكَلَهُ وَاحِدَةً.

قَالُوا وَ اشْتَهَى أَبُو الْخَيْرِ الْعَسِيْقَلَانِيُّ السَّمَكَ سِتِينَ كَثِيرَةً ثُمَّ تَهَيَّأَ لَهُ أَكَلُهُ مِنْ وَجْهِ حَلَالٍ فَلَمَّا مَدَّ يَدَهُ لِيَأْكُلَ أَصَابَتْ إِصْبَعُهُ شَوْكَةً مِنْ شَوْكِ السَّمَكِ فَقَامَ وَ تَرَكَ الْأَكْلَ وَ قَالَ يَا رَبِّ هَذَا لِمَنْ مَدَّ يَدَهُ بِشَهْوَةٍ إِلَى الْحَلَالِ فَكَيْفَ بِمَنْ مَدَّ يَدَهُ بِشَهْوَةٍ إِلَى الْحَرَامِ.

وَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (١) فَالجملة الأولى هي التقوى و الثانية هي المجاهدة.



٢٦٦٠

قَالَ النَّبِيُّ صَ أَحْوَفُ مَيَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اتِّبَاعَ الْهَوَى وَ طُولَ الْأَمَلِ أَمَا اتِّبَاعَ الْهَوَى فَيُضِيدُ عَنِ الْحَقِّ وَ أَمَا طُولَ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْأَخْرَجَهُ.

٢٦٦١

وَ سُئِلَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ عَنِ الْمَجَاهِدَةِ فَقَالَ ذَبِحَ النَّفْسَ بِسُيُوفِ الْمُخَالَفَةِ.

وَ قَالَ مَنْ نَجَمَتْ طَوَارِقُ نَفْسِهِ أَفَلَتْ شَوَارِقُ أُنْسِهِ.

٢٦٦٢

وَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ مَا بَتُّ تَحْتَ سَيْفٍ وَ لَا فِي مَوْضِعٍ عَلَيْهِ عَلَقُ (١) أَرْبَعِينَ سَنَةً وَ كُنْتُ أَشْتَهِي فِي أَوْقَاتٍ أَنْ أَتَنَاوَلَ شُبْعَةَ (٢) عَدَسٍ فَلَمْ يَتَّفِقْ ثُمَّ حَمَلْتُ إِلَيَّ وَ أَنَا بِالشَّامِ غَضَارَهُ (٣) فِيهَا عَدَسِيَّةٌ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا وَ خَرَجْتُ فَرَأَيْتُ قَوَارِيرَ مُعَلَّقَةً فِيهَا شَيْءٌ أَنْمُودَجَاتٍ فَطَنَنْتُهَا خَلًّا فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ أَ تَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ وَ تَنْظُنَّهَا خَلًّا وَ إِنَّمَا هِيَ خَمْرٌ وَ هِيَ أَنْمُودَجَاتُ هَذِهِ الدَّنَانِ لِدَنَانٍ هُنَاكَ فَقُلْتُ قَدْ لَزِمَنِي فَرُضُ الْإِنْكَارِ فَدَخَلْتُ حَائِنَتِ ذَلِكَ الْخَمَارِ لِأَكْسِيَرِ الدَّنَانِ وَ الْجِرَارِ فَحَمَلْتُ إِلَى ابْنِ طُولُونَ فَأَمَرَ بِصُرْبِي مَائَتِي خَشْبِهِ وَ طَرَحِي (٤) فِي السَّجَنِ فَبَقِيَتْ مُدَّةً حَتَّى دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَبَائِي الْمَغْرِبِيُّ أَسْتَأْذُ ذَلِكَ الْبَلَدِ فَعَلِمَ أَنِّي مَحْبُوسٌ فَشَفَعَ فِيَّ فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا وَقَعَ بَصْرُهُ عَلَيَّ قَالَ أَيُّ شَيْءٍ فَعَلْتَ فَقُلْتُ شُبْعَةَ عَدَسٍ وَ مَائَتِي خَشْبِهِ فَقَالَ لَقَدْ نَجَوْتَ مَجَانًا.

٢٦٦٣

وَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاصُّ كُنْتُ فِي جَبَلٍ فَرَأَيْتُ رُؤْمَانًا فَاشْتَهَيْتُهُ فَدَنَوْتُ فَأَخَذْتُ مِنْهُ وَاحِدَةً فَشَقَقْتُهَا فَوَجَدْتُهَا حَامِضَةً فَمَضَيْتُ وَ تَرَكْتُ الرُّؤْمَانَ فَرَأَيْتُ رَجُلًا مَطْرُوحًا قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الزَّنَابِيرُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ بِاسْمِي فَقُلْتُ كَيْفَ عَرَفْتَنِي قَالَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَقُلْتُ لَهُ أَرَى لَكَ حَالًا مَعَ اللَّهِ فَلَوْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَحْمِيكَ وَ يَقِيكَ مِنْ أَدَى هَذِهِ الزَّنَابِيرِ فَقَالَ وَ أَرَى لَكَ حَالًا مَعَ اللَّهِ فَلَوْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَقِيكَ مِنْ شَهْوَةِ الرُّؤْمَانِ فَإِنَّ لَدَعِ الرُّؤْمَانَ يَجِدُ الْإِنْسَانَ أَلْمَهُ فِي الْأَخْرَجَهُ وَ لَدَعِ الزَّنَابِيرِ

ص: ١٣١

١-١) الغلق هنا: الباب.

٢-٢) الشبعة من الطعام: قدر ما يشبع به.

٣-٣) الغضاره: القصة الكبيرة.

٤-٤) كذا في ا، و في ب: و طرحني.

يَجِدُ الْإِنْسَانَ أَلَمَهُ فِي الدُّنْيَا فَتَرَكْتُهُ وَ مَضَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ.

٢٦٦٤

وَ قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ لَا يَمْحُو الشَّهَوَاتِ مِنَ الْقَلْبِ إِلَّا خَوْفٌ مُزْعِجٌ أَوْ شَوْقٌ مُفْلِقٌ.

٢٦٦٥

وَ قَالَ الْخَوَّاصُ مَنْ تَرَكَ شَهْوَةً فَلَمْ يَجِدْ عَوَضَهَا فِي قَلْبِهِ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي تَرْكِهَا.

٢٦٦٦

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّبِاطِيُّ صَحِبْتُ عَبْدَ اللَّهِ الْمَرْوَزِيَّ وَ كَانَ يَدْخُلُ الْبَادِيَةَ فَبَلَ أَنْ أَصِيحِبَهُ بِلَا زَادٍ فَلَمَّا صَحِبْتُهُ قَالَ لِي أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ تَكُونُ أَنْتَ الْأَمِيرُ أَمْ أَنَا قُلْتُ بَلْ أَنْتَ فَقَالَ وَ عَلَيْكَ الطَّاعَةُ قُلْتُ نَعَمْ فَأَخَذَ مِخْلَافَهُ وَ وَضَعَ فِيهَا زَادًا وَ حَمَلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ فَكُنْتُ إِذَا قُلْتُ لَهُ أَعْطِنِي حَتَّى أَحْمِلَهَا قَالَ الْأَمِيرُ أَنَا وَ عَلَيْكَ الطَّاعَةُ قَالَ فَأَخَذْنَا الْمَطْرُ لَيْلَهُ فَوَقَفَ إِلَى الصَّبَاحِ عَلَى رَأْسِي وَ عَلَيْهِ كِسَاءٌ يَمْنَعُ عَنِّي الْمَطْرَ فَكُنْتُ أَقُولُ فِي نَفْسِي يَا لَيْتَنِي مِتُّ وَ لَمْ أَقْلُ لَهُ أَنْتَ الْأَمِيرُ ثُمَّ قَالَ لِي إِذَا صَحِبْتَ إِنْسَانًا فَاصْصِحِبْهُ كَمَا رَأَيْتَنِي صَحِبْتُكَ.

٢٦٦٧

أَبُو الطَّيِّبِ الْمُسْتَبِي

ذَرِينِي أَنَلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعَلَا

وَ لَهُ أَيْضًا وَ إِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ (١).

٢٦٦٨

وَ مِنْ أَمْثَالِ الْعَامَّةِ مَنْ لَمْ يَعْلِ دِمَاعُهُ فِي الصَّيْفِ لَمْ تَعْلِ قِدْرُهُ فِي الشُّتَاءِ.

مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَخْطَارَ لَمْ يَنْلِ الْأَوْطَارَ.

ص: ١٣٢



إِدْرَاكُ السُّؤْلِ وَ بُلُوغُ الْمَأْمُولِ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَ فَقْدِ الْهُجُوعِ وَ سَيَلَانِ الدَّمُوعِ. و اعلم أن تقليل المأكول لا ريب في أنه نافع للنفس و الأخلاق و تجربته قد دلت عليه لأننا نرى المكثّر من الأكل يغلبه النوم و الكسل و بلاده الحواس و تتبخّر المأكولات الكثيره أبخره كثيره فتتصاعد إلى الدماغ فتفسد القوى النفسانيه و أيضا فإن كثرة المأكول تزيد الرقه و تورث القساوه و السبعيه و القياس أيضا يقتضى ذلك و لأن كثرة المزاولات سبب لحصول الملكات فالنفس إذا توفرت على تدبير الغذاء و تصريفه كان ذلك شغلا شاغلا لها و عائقا عظيما عن انصبابها إلى الجهه الروحانيه العالیه و لكن ينبغي أن يكون تقليل الغذاء إلى حدّ يوجب جوعا قليلا- فإن الجوع المفرط يورث ضعف الأعضاء الرئيسه و اضطرابها و اختلال قواها و ذلك يقتضى تشويش النفس و اضطراب الفكر و اختلال العقل و لذلك تعرض الأخطا السوداويه لمن أفرط عليه الجوع فإذن لا بدّ من إصلاح أمر الغذاء بأن يكون قليل الكميه كثير الكيفيه فتؤثر قله كميته في أنه لا- يشغل النفس بتدبير الهضم عن التوجه إلى الجهه العالیه الروحانيه و تؤثر كثيره كيفيته في تدارك الخلل الحاصل له من قله الكميه و يجب أن يكون الغذاء شديد الإمداد للأعضاء الرئيسه لأنها هي المهمه من أعضاء البدن و ما دامت باقيه على كمال حالها لا يظهر كثير خلل من ضعف غيرها من الأعضاء

و اعلم أن الرياضه و الجوع هى أمر يحتاج إليه المرید الذى هو بعد فى طريق السلوك إلى الله.

و ينقسم طالبوا هذا الأمر الجليل الشاق إلى أقسام أربعة أحدها الذين مارسوا العلوم الإلهيه و أجهدوا أنفسهم فى طلبها و الوصول إلى كنهها بالنظر الدقيق فى الزمان الطويل فهو لا- يحصل لهم شوق شديد و ميل عظيم إلى الجهد العاليه الشريفه فيحملهم حبّ الكمال على الرياضه.

و ثانيها الأنفس التى هى بأصل الفطره و الجوهر مائله إلى الروحانيه من غير ممارسه علم و لا دربه بنظر و بحث و قد رأينا مثلهم كثيرا و شاهدنا قوما من العامه متى سرح لهم سائح مشوق مثل صوت مطرب أو إنشاد بيت يقع فى النفس أو سماع كلمه توافق أمرا فى بواطنهم فإنه يستولى عليهم الوجد و يشتد الحنين و تعشاهم غواش لطيفه روحانيه يغيبون بها عن المحسوسات و الجسمانيات.

و ثالثها نفوس حصل لها الأمان مع الاستعداد الأصلي و الاشتغال بالعلوم النظرية الإلهيه.

و رابعها النفوس التى لا- استعداد لها فى الأصل و لا ارتاضت بالعلوم الإلهيه و لكنهم (1) قوم سمعوا كمال هذه الطريقه و أن السعاده الإنسانيه ليست إلا بالوصول إليها فمالت نحوها و حصل لها اعتقاد فيها.

فهذه أقسام المریدين و الرياضه التى تليق بكل واحد من هذه الأقسام غير الرياضه اللائقه بالقسم الآخر.

ص: ١٣٤

و نحتاج قبل الخوض فى ذلك إلى تقديم أمرين أحدهما أن النفحات الإلهيه دائمه مستمره و أنه كل من توصل إليها وصل قال سبحانه و تعالى وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (١) و

٢٦٦٩

قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِى أَيَّامِ عَصْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِهِ.

و ثانيهما أن النفوس البشريه فى الأكثر مختلفه بالنوع فقد تكون بعض النفوس مستعده غايه الاستعداد لهذا المطلب و ربما لم تكن البته مستعده له و بين هذين الطرفين أوساط مختلفه بالضعف و القوه.

و إذا تقرر ذلك فاعلم أن القسمين الأولين لما اختلفا فيما ذكرناه لا جرم اختلفا فى الكسب و المكتسب.

أما الكسب فإن صاحب العلم الأولى به فى الأكثر العزله و الانقطاع عن الخلق لأنه قد حصلت له الهدايه و الرشاد فلا حاجه له إلى مخالطه أحد يستعين به على حصول ما هو حاصل و أما صاحب الفطره الأصلية من غير علم فإنه لا يليق به العزله لأنه يحتاج إلى المعلم و المرشد فإنه ليس يكفى الفطره الأصلية فى الوصول إلى المعالم الإلهيه و الحقائق الربانيه و لا بد من موقف و مرشد فى مبدأ الحال هذا هو القول فى الكسب بالنظر إليها.

و أما المكتسب فإن صاحب العلم إذا اشتغل بالرياضه كانت مشاهداته و مكاشفاته أكثر كميّه و أقل كفيّه ممّا لصاحب الفطره المجرده أما كثره الكميّه فلأن قوته النظرية تعينه على ذلك و أما قله الكفيّه فلأن القوه النفسانيه تتوزع على تلك الكثره و كلما كانت الكثره أكثر كان توزع القوه إلى أقسام أكثر و كان كل واحد منها

ص: ١٣٥

أضعف ممّا لو كانت الأقسام أقل عدداً و إذا عرفت ذلك عرفت أن الأمر في جانب صاحب الفطره الأصليه بالعكس من ذلك و هو أن مشاهداته و مكاشفاته تكون أقل كميّه و أكثر كفيّه.

و أمّا الاستعداد الثالث و هو النفس التي قد جمعت الفطره الأصليه و العلوم الإلهيه النظرية بالنظر فهي النفس الشريفه الجليله الكامله.

و هذه الأقسام الثلاثه مشتركه في أن رياضتها القليه يجب أن تكون زائده في الكم و الكيف على رياضتها البدنيه لأن الغرض الأصلي هو رياضه القلب و طهاره النفس و إنّما شرعت الرياضات البدنيه و العبادات الجسمانيه لتكون طريقاً إلى تلك الرياضه الباطنه فإذا حصلت كان الاشتغال بالرياضه البدنيه عبثاً لأن الوسيله بعد حصول المتوسل إليه فضله مستغنى عنها بل ربما كانت عائقه عن المقصود نعم لا- بدّ من المحافظه على الفرائض خاصّه لئلا- تعتاد النفس الكسل و ربما أفضى ذلك إلى خلل في الرياضه النفسانيه و لهذا حكى عن كثير من كبراء القوم قله الاشتغال بنوافل العبادات.

و أمّا القسم الرابع و هو النفس التي خلت عن الوصفين معا فهذه النفس يجب ألا تكون رياضتها في مبدإ الحال إلاّ بتهديب الأخلاق بما هو مذكور في كتب الحكمه الخلقيه فإذا لانت و مرنت و استعدت للنفحات الإلهيه حصل لها ذوق ما فأوجب ذلك الذوق شوقاً فأقبلت بكليتها على مطلوبها

## [فصل فى أن الجوع يؤثر فى صفاء النفس]

واعلم أن السبب الطبيعى فى كون الجوع مؤثرا فى صفاء النفس أن البلغم الغالب على مزاج البدن يوجب بطبعه البلاده و إبطاء الفهم لكثرة الأرضيه فيه و ثقل جوهره و كثره ما يتولد عنه من البخارات التى تسد المجارى و تمنع نفوذ الأرواح و لا ريب أن الجوع يقتضى تقليل البلغم لأن القوه الهاضمه إذا لم تجد غذاء تهضمه عملت فى الرطوبه الغريبه الكائنه فى الجسد فكلما انقطع الغذاء استمر عملها فى البلغم الموجود فى البدن فلا تزال تعمل فيه و تذيبه الحراره الكائنه فى البدن حتى يفنى كل ما فى البدن من الرطوبات الغريبه و لا يبقى إلا الرطوبات الأصلية فإن استمر انقطاع الغذاء أخذت الحراره و القوه الهاضمه فى تنقيص الرطوبات الأصلية من جوهر البدن فإن كان ذلك يسيرا و إلى حدّ ليس بمفرط لم يضر ذلك بالبدن كل الإضرار و كان ذلك هو غايه الرياضه التى أشار أمير المؤمنين ع إليها بقوله حتى دق جليله و لطف غليظه و إن أفرط وقع الحيف و الإجحاف على الرطوبه الأصلية و عطب البدن و وقع صاحبه فى الدق و الذبول و ذلك منهى عنه لأنه قتل للنفس فهو كمن يقتل نفسه بالسيف أو بالسكين

## [كلام للفلاسفه و الحكماء فى المكاشفات الناشئه عن الرياضه]

واعلم أن قوله ع و برق له لامع كثير البرق هو حقيقه مذهب الحكماء و حقيقه قول الصوفيه أصحاب الطريقه و الحقيقه و قد صرح به الرئيس أبو على بن سينا فى كتاب الإشارات فقال فى ذكر السالك إلى مرتبه العرفان ثم إنه

إذا بلغت به الإرادة و الرياضه حدا ما عنت له خلصات من اطلاع نور الحق إليه لذيده كأنها بروق تومض إليه ثم تخمد عنه و هي التي تسمى عندهم أوقاتا و كل وقت يكتنفه وجد إليه و وجد عليه ثم إنه لتكثر عليه هذه الغواشى إذا أمعن فى الارتياض ثم إنه ليتوغل فى ذلك حتى يغشاه فى غير الارتياض فكلما لمح شيئا عاج منه إلى جانب القدس فتذكر من أمره أمرا فغشيه غاش فيكاد يرى الحق فى كل شىء و لعله إلى هذا الحد تستولى عليه غواشيه و يزول هو عن سكينته و يتنبه جليسه لاستنفاره عن قراره فإذا طالت عليه الرياضه لم تستفره غاشيه و هدى للتأنس بما هو فيه ثم إنه لتبلغ به الرياضه مبلغا ينقلب له وقته سكينه فيصير المخطوب مألوفاً و الوميض شهاباً بينا و يحصل له معارف مستقره كأنها صحبه مستمره و يستمتع فيها بيهجته فإذا انقلب عنها انقلب حيران آسفاً.

فهذه ألفاظ الحكيم أبى على بن سينا فى الإشارات و هي كما نراها مصرح فيها بذكر البروق اللامعه للعارف.

و قال القشيري فى رساله لما ذكر الحال و الأمور الوارده على العارفين قال هي بروق تلمع ثم تخمد و أنوار تبدو ثم تخفى ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها ثم تمثل بقول البحترى (١) خطرت فى النوم منها خطره

فهو كما تراه يذكر البروق اللامعه حسبما ذكره الحكيم و كلاهما يتبع ألفاظ أمير المؤمنين ع لأنه حكيم الحكماء و عارف العارفين و معلم الصوفيه و لو لا أخلاقه

ص: ١٣٨

و كلامه و تعليمه للناس هذا الفن تاره بقوله و تاره بفعله لما اهتدى أحد من هذه الطائفة و لا علم كيف يورد و لا كيف يصدر.

و قال القشيري أيضا في رساله المحاضره قبل المكاشفه فإذا حصلت المكاشفه فبعدها المشاهده.

و قال و هي أرفع الدرجات قال فالمحاضره حضور القلب و قد تكون بتواتر البرهان و الإنسان بعد وراء الستر و إن كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر.

و أما المكاشفه فهي حضور البين غير مفتقر إلى تأمل الدليل و تطلب السبيل ثم المشاهده و هي وجود الحق من غير بقاء تهمة.

و أحسن ما ذكر في المشاهد قول الجنيد هي وجود الحق مع فقدانك.

و قال عمرو بن عثمان المكي المشاهده أن تتوالى أنوار التجلى على القلب من غير أن يتخللها ستر و لا انقطاع كما لو قدر اتصال البروق في الليله المظلمه فكما أنها تصير من ذلك بضوء النهار فكذلك القلب إذا دام له التجلى مع النهار فلا ليل.

و أنشدوا شعرا ليلي بوجهك مشرق

و قال الثوري لا تصح للعبد المشاهده و قد بقي له عرق قائم.

و قالوا إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح.

و أنشدوا أيضا فلما استنار الصبح طوح ضوؤه بأنواره أنوار ضوء الكواكب

فجرعهم كأسا لو ابتليت لظي

بتجريعه طارت كأسرع ذاهب.

كأس و أى كأس تصطلمهم عنهم و تفنيهم و تخطفهم منهم و لا تبقيهم كأس لا تُبقي وَ لا تَدْرُ تمحو بالكلية و لا تبقى شظيه من آثار البشريه كما قال قائلهم ساروا فلم يبق لا عين و لا أثر (١).

و قال القشيري أيضا هي ثلاث مراتب اللوائح ثم اللوامع ثم الطوالع فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى استترت كما قال القائل فافترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه على وداعا.

و أنشدوا يا ذا الذى زار و ما زارا

ثم اللوامع و هي أظهر من اللوائح و ليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى وقتين و ثلاثه و لكن كما قيل العين باكيه لم تشبع النظرا أو كما قالوا و بلائى من مشهد و مغيب

فأصحاب هذا المقام بين روح و فوح لأنهم بين كشف و ستر يلمع ثم يقطع لا يستقر لهم نور النهار حتى تكرر عليه عساكر الليل فهم كما قيل و الليل يشملنا بفاضل برده و الصبح يلحفنا رداء مذهبها.

ثم الطوالع و هي أبقي وقتا و أقوى سلطانا و أدوم مكثا و أذهب للظلمه و أنفى للمهمه (٢).

ص: ١٤٠

١- (١) الرساله القشيرييه ٤٣.

٢- (٢) الرساله القشيرييه ٤٣، ٤٤.



أفلا ترى كلام القوم كله مشحون بالبروق و اللمعان.

و كان ممّا نقم حامد بن العباس وزير المقتدر و على بن عيسى الجراح وزيره أيضا على الحلاج أنهما جدا في كتبه لفظ النور الشعشعاني و ذلك لجهالتهم مراد القوم و اصطلاحهم و من جهل أمرا عاداه .

ثمّ قال ع و تدافعته الأبواب إلى باب السلامه و دار الإقامه أى لم يزل ينتقل من مقام من مقامات القوم إلى مقام فوقه حتّى وصل و تلك المقامات معروفه عند أهلها و من له أنس بها و سند كرها فيما بعد.

ثمّ قال و ثبتت رجلاه بطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحة بما استعمل قلبه و أرضى ربّه أى كانت الراحة الكليه و السعاده الأبدية مستثمره من ذلك التعب الذى تحمله لما استعمل قلبه و راض جوارحه و نفسه حتّى وصل كما قيل عند الصباح يحمد القوم السرى و تنجلي عنا غيابات الكرى (١).

و قال الشاعر تقول سليمان لو أقمت بأرضنا و لم تدر أنى للمقام أطوف.

و قال آخر ما ابيض وجه المرء فى طلب العلا حتى يسود وجهه فى اليد.

و قال فاطلب هدوءا بالتقلقل و استثر

ص: ١٤١

---

١ - ١) مثل يضرب للرجل يحتمل المشقه رجاء الراحة؛ و أول من قاله خالد بن الوليد فى أبيات ذكرها الميدانى عند الكلام على مضرب المثل و مورده: (٢:٢).

وَ اللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَ مُورِثُكُمْ أَمْرَهُ وَ مُمְهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ [مَمْدُودٍ]

لِتَنَازَعُوا سَبْقَهُ فَشَدُّوا عَقْدَ الْمَآزِرِ وَ اطَّوُّوا فَضُولَ الْخَوَاصِرِ لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَ وَليَمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ وَ أَمَحَى الظُّلْمَ  
لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ .

مستأديكم شكره

أى طالب منكم أداء ذلك و القيام به استأديت دينى عند فلان أى طلبته.

و قوله و مورثكم أمره أى سيرجع أمر الدولة إليكم و يزول أمر بنى أمية .

ثم شبه الأجال التى ضربت للمكلفين ليقوموا فيها بالواجبات و يتسابقوا فيها إلى الخيرات بالمضمار الممدود لخيال تتنازع فيه  
السبق.

ثم قال فشدوا عقد المآزر أى شمروا عن ساق الاجتهاد و يقال لمن يوصى بالجد و التشمير اشدد عقده إزارك لأنه إذا شدها  
كان أبعد عن العثار و أسرع للمشى.

قوله و اطووا فضول الخواصر نهى عن كثرة الأكل لأن الكثير الأكل لا يطوى فضول خواصره لامتلائها و القليل الأكل يأكل فى  
بعضها و يطوى بعضها قال الشاعر

كلوا فى بعض بطنكم و عفوا

فإن زمانكم زمن خميص.

و قال أعشى باهله طاوى المصير على العزاء منصلت بالقوم ليله لا ماء و لا شجر (١).

و قال الشنفرى و أطوى على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطه مارى تغار و تفتل (٢). ثم أتى ع بثلاثه أمثال مخترعه له لم يسبق بها و إن كان قد سبق بمعناها و هى قوله لا تجتمع عزيمه و وليمه و قوله ما أنقض النوم لعزائم اليوم و قوله و أمحى الظلم لتذاكير الهمم .

فمما جاء للمحدثين من ذلك ما كتبه بعض الكتاب إلى ولده خدمه السلطان والكاسات

و مثله قول آخر لولده ما للمطيع هواه

و قال آخر و ليس فتى الفتیان من راح و اغتدى

ص: ١٤٣

---

١ - ١) الكامل للمبرد ٤:٦٥، قال فى شرحه: «طاوى المصير» يقال لواحد المصيران مصير، و العزاء: الأمر الشديد، يقال: سيف منصلت وصلت؛ إذا جرد من غمده.

٢ - ٢) من لاميته؛ و هى فى نوادر القالى ٢٠٣-٢٠٧.

و هذا كثير جدا يناسب قوله لا تجتمع عزيمة و وليمة و مثل قوله ما أنقض النوم لعزائم اليوم قول الشاعر فتى لا ينام على عزمه و من صمم العزم لم يرقد و قوله و أمحى الظلم لتذاكير الهمم أى الظلم التى ينام فيها لا- كل الظلم أ لا- ترى أنه إذا لم ينم فى الظلمه بل كان عنده من شدة العزم و قوه التصميم ما لا ينام معه فإن الظلمه لا تمحو تذاكير هممه و التذاكير جمع تذكّار.

و المثلان الأولان أحسن من الثالث و كان الثالث من تنمته الثانى و قد قالت العرب فى الجاهليه هذا المعنى و جاء فى القرآن العزيز أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالنَّاسُ وَالضَّرَّاءُ وَ زُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (١).

و هذا مثل قوله لا تجتمع عزيمة و وليمة أى لا يجتمع لكم دخول الجنة و الدعاه و القعود عن مشقه الحرب

ص: ١٤٤

(١-١) سورة البقره ٢١٤.

إشاره

أَلِهَاتِكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعِدُهُ وَ زُورًا مَا أَغْفَلُهُ وَ خَطَرًا مَا أَفْطَعُهُ لَقَدْ اسْتَيْخَلَوْا مِنْهُمْ أَى مَدَّكِرٍ وَ تَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بَعْدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ .

قد اختلف المفسرون فى تأويل هاتين الآيتين فقال قوم المعنى أنكم قطعتم أيام عمركم فى التكاثر بالأموال و الأولاد حتى أتاكم الموت فكفى عن حلول الموت بهم بزياره المقابر.

و قال قوم بل كانوا يتفاخرون بأنفسهم و تعدى ذلك إلى أن تفاخروا بأسلافهم الأموات فقالوا منا فلان و فلان لقوم كانوا و انقرضوا.

و هذا هو التفسير الذى يدلّ عليه كلام أمير المؤمنين ع قال يا له مراما منصوب على التمييز.

ما أبعده

أى لا فخر فى ذلك و طلب الفخر من هذا الباب بعيد و إنما الفخر بتقوى الله و طاعته.

ص: ١٤٥

إشاره إلى القوم الذين افتخروا جعلهم بتذكر الأموات السالفين كالأثرين لقبورهم و الزور اسم للواحد و الجمع كالخضم و الضيف قال ما أغفلهم عما يراد منهم لأنهم تركوا العباده و الطاعه و صرموا الأوقات بالمفاخره بالموتى.

ثم قال و خطرا ما أفضعه إشارة إلى الموت أى ما أشده فضع الشىء بالضم فهو فطيع أى شديد شنيع مجاوز للمقدار.

قوله لقد استخلوا منهم أى مذكر قال الراوندى أى وجدوا موضع التذكر خاليا من الفائده و هذا غير صحيح و كيف يقول ذلك و قد قال و خطرا ما أفضعه و هل يكون أمر أعظم تذكيرا من الاعتبار بالموتى و الصحيح أنه أراد باستخلوا ذكر من خلا من آباءهم أى من مضى يقال هذا الأمر من الأمور الخاليه و هذا القرن من القرون الخاليه أى الماضيه.

و استخلى فلان فى حديثه أى حدث عن أمور خاليه و المعنى أنه استعظم ما يوجه حديثهم عما خلا و عمن خلا من أسلافهم و آثار أسلافهم من التذكير فقال أى مذكر (1) و واعظ فى ذلك و روى أى مذكر بمعنى المصدر كالمعتقد بمعنى الاعتقاد و المعبر بمعنى الاعتبار.

و تناوشوهم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ

أى تناولوهم و المراد ذكروهم و تحدثوا عنهم فكأنهم تناولوهم و هذه اللفظه من ألفاظ القرآن العزيز وَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (2) و أنى لهم تناول الإيمان حينئذ بعد فوات الأمر

١- ١) :«تذكر»، و ما أثبتته من ب.

٢- ٢) سورة سبأ ٥٢.

يَرْتَجِعُونَ (١) مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوْثٌ وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ وَ لَأَنْ يَكُونُوا عِبْرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا وَ لَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذَلِّهِ أَحَجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزِّهِ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرِهِ جَهَالَهُ وَ لَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَالًا وَ ذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جَهَالًا تَطْتُونَ فِي هَامِهِمْ وَ تَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَ تَزْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَ تَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَبُوا وَ إِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَ نَوَائِحٌ عَلَيْكُمْ أَوْلِيكُمْ سِلْفٌ غَايَتِكُمْ وَ فُرَاطٌ مَنَاهِلِكُمْ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَ حَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَ سَوْقًا .

يرتجعون منهم أجسادا

أى يذكرون آباءهم فكأنهم ردوهم إلى الدنيا و ارتجعوهم من القبور و خوت خلت .

قال و هؤلاء الموتى أحق بأن يكونوا عبره و عظه من أن يكونوا فخرا و شرفا و المفتخرون بهم أولى بالهبوط إلى جانب الذله منهم بالقيام مقام العز.

و تقول هذا أحجى من فلان أى أولى و أجدر و الجناب الفناء.

ص: ١٤٧

(١ - ١) ب: «يرتجعون».

ثم قال لقد نظروا إليهم بأبصار العشوه أى لم ينظروا النظر المفضى إلى الرؤيه لأن أبصارهم ذات عشوه و هو مرض فى العين ينقص به الأبصار و فى عين فلان عشاء و عشوه بمعنى و منه قيل لكل أمر ملتبس يركبه الراكب على غير بيان أمر عشوه و منه أوطأتنى عشوه و يجوز بالضم و الفتح.

قال و ضربوا بهم فى غمره جهاله أى و ضربوا من ذكر هؤلاء الموتى فى بحر جهل و الضرب هاهنا استعاره أو يكون من الضرب بمعنى السير كقوله تعالى وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ (١) أى خاضوا و سبحوا من ذكرهم فى غمره جهاله و كل هذا يرجع إلى معنى واحد و هو تسفيه رأى المفتخرين بالموتى و القاطعين الوقت بالتكاثر بهم إعراضا عما يجب إنفاقه من العمر فى الطاعه و العباده .

ثم قال لو سألوهم ديارهم التى خلت منهم و يمكن أن يريد بالديار و الربوع القبور لقالت ذهبوا فى الأرض ضلالا أى هالكين و منه قوله تعالى وَ قَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٢) .

و ذهبتم فى أعقابهم

أى بعدهم جهالا لغفلتكم و غروركم .

قوله ع تطئون فى هامهم أخذ هذا المعنى أبو العلاء المعرى فقال خفف الوطاء ما أظن أديم

ص: ١٤٨

١-١) سورة النساء ١٠١.

٢-٢) سورة السجده ١٠.



قوله و تستنبتون فى أجسادهم أى تزرعون النبات فى أجسادهم و ذلك لأن أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الموتى فالزرع لا- محاله يكون نابتا فى الأجزاء الترابيه التى هى أبدان الحيوانات و روى و تستنبتون بالشاء أى و تنصبون الأشياء الثابته كالعمد و الأساطين للأوطان فى أجساد الموتى.

ثم قال و ترتعون فيما لفظوا لفظت الشىء بالفتح رميته من فمى ألفظه بالكسر و يجوز أن يريد بذلك أنكم تأكلون ما خلفوه و تركوه و يجوز أن يريد أنكم تأكلون الفواكه التى تنبت فى أجزاء ترابيه خالطها الصديد الجارى من أفواههم ثم قال و تسكنون فيما خربوا أى تسكنون فى المساكن التى لم يعمرها بالذكر و العباده فكأنهم أخرجوها فى المعنى ثم سكتتم أنتم فيها بعدهم و يجوز أن يريد أن كل دار عامره قد كانت من قبل خربه و إنما أخرجها قوم بادوا و ماتوا فإذن لا ساكن منا فى عماره إلا و يصدق عليه أنه ساكن فيما قد كان خرابا من قبل و الذين أخرجوه الآن موتى و يجوز أن يريد بقوله و تسكنون فيما خربوا و تسكنون فى دور فارقتها و أخلوها فأطلق على الخلو و الفراغ لفظ الخراب مجازا.

قوله و إنما الأيام بينكم و بينهم بواك و نوائح عليكم يريد أن الأيام و الليالى تشيع رائحا إلى المقابر و تبكى و تنوح على الباقين الذين سيلتحقون به عن قريب.

قوله أولئكم سلف غايتكم السلف المتقدمون و الغايه الحد الذي ينتهى إليه إما حسيا أو معنويا و المراد هاهنا الموت.

و الفرط القوم يسبقون الحى إلى المنهل.

و مقاوم العز دعائمه جمع مقوم و أصلها الخشبه التى يمسكها الحراث و حلبات الفخر جمع حلبه و هى الخيل تجمع للسباق.

و السوق بفتح الواو جمع سوقه و هو من دون الملك سلكوا فى بطن البرزخ سبيلا سبطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم  
و شربت من دمائهم فأضربحوا فى فجوات قبورهم جمادا لا ينمون و ضمارا لا يوحدون لا يفزعهم و رود الأهوال و لا يحزنهم  
تنكر الأحوال و لا يحفلون بالرواحف و لا يذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون و شهودا لا يحضرون و إنما كانوا جميعا فتشتتوا و  
[الآفا]

آلآفا فافترقوا و ما عن طول عهدهم و لا بعد محلهم عميت أخبارهم و صيمت ديارهم و لكنهم سقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا و  
بالسمع صمما و بالحركات سكونا فكأنهم فى ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون و أحياء لا يتراورون بليت (1) بينهم  
عرا التعارف و انقطع منهم أسباب الأحياء فكلهم و حيد و هم جميع و بجانب الهجر و هم أخلاء لا يتعارفون للئيل صباحا و لا  
لنهار مساء أى الجديدين ظعنوا فيه كان

ص : ١٥٠

(١-١) كذا فى ا، فى ب: «و بليت».

عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا شَاهِدُوا مِنْ أخطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَحَ مِمَّا خَافُوا وَ رَأُوا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَرُوا [فِكَلا]

فَكَلَّتِا الْعَيَاتِينَ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَيَاءِهِ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا بِصِفَةِ مَا شَاهِدُوا وَ مَا عَانُوا وَ لَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَ انْقَطَعَتْ أَحْيَارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَمِيرِ وَ سَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ وَ تَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ فَقَالُوا كَلَحَتْ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَ حَوَتْ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ وَ لَبَسْنَا أَهْدَامَ الْبَلَى وَ تَكَاءَ دَنَا ضَيْقُ الْمَضْجَعِ وَ تَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ وَ [تَهَدَّمَتْ]

تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَمَا نَمَحَتْ مَخَاسِنُ أَجْسَادِنَا وَ تَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا وَ طَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا وَ لَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا وَ لَا مِنْ ضَيْقٍ مُتَسِّعًا فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وَ قَدِ ارْتَسَيْحَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَيْكَّتْ وَ اِكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسِيْفَتْ وَ تَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعِيدَ ذَلَاقَتِهَا وَ هَمَّ يَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا وَ عَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدٌ بَلَى سَمَّجَهَا وَ سَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ وَ لَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لِرَأَيْتِ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَ أَقْدَاءَ عِيُونٍ لَهُمْ فِي كَهْلٍ فَطَاعَهُ صِفَهُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ وَ غَمْرَهُ لَا تَنْجَلِي فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَ أُنِيقَ لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَذِيٌّ تَرَفٍ وَ رَبِيبٌ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصَّيْبُهُ نَزَلَتْ بِهِ ضَمْنَا بَعْضَارَهُ عَيْشِهِ وَ شَحَاخَهُ بِلَهْوِهِ وَ لَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكُهُ وَ نَقَضَتْ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثْبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ وَ نَجِيٌّ هَمٌّ

مَا كَانَ يَجِدُهُ وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتْرَاتٌ عَلِلَّ آنَسَ مَا كَانَ بِصَحْتِهِ فَفَزَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطْبَاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَ تَحْرِيكِ  
الْبَارِدِ بِالْحَارِّ فَلَمْ يُطْفِئْ بِيَارِدٍ إِلَّا تَوَرَّ حَرَارَةً وَ لَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَهُ وَ لَا اعْتَدَلَ بِمَمَازِجِ لِنَلِكِ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ  
ذَاتِ دَاءٍ حَتَّى فَتَرَ مُعَلَّلَهُ وَ ذَهَبَ مُمَرِّضُهُ وَ تَعَايَا أَهْلُهُ بِصَحْتِهِ فَهَذَا وَ خَرَسُوا عَنْ حَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَ تَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيئَ خَبِيرٍ  
يَكْتُمُونَهُ فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ وَ مَمَّنُّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ وَ مُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِيَةِ مِنْ قَتْلِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ  
عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَ تَرْكِ الْأَحْبَبِ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فِطْنَتِهِ وَ بَيَسَتْ رُطُوبُهُ لِسَانَهُ فَكَمَّ مِنْ مُهَمِّ  
مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّى عَنْ رَدِّهِ وَ دُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظَمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ وَ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ  
هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرَقَ بِصِفَتِهِ أَوْ تُعْتَدَلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

هذا موضع المثل ملعا (1) يا ظليم و إلا - فالتخويه من أراد أن يعظ و يخوف و يقرع صفاه القلب و يعرف الناس قدر الدنيا و  
تصرفها بأهلها فليأت بمثل هذه الموعظه في مثل هذا الكلام الفصيح و إلا فليمسك فإن السكوت أستر و العي خير من منطوق  
يفضح صاحبه و من تأمل هذا الفصل علم صدق معاويه في قوله فيه و الله ما سن

ص: ١٥٢

١- ١) الملغ: السير السريع، و يقال: خوى الطائر؛ إذا أرسل جناحيه.

الفصاحه لقريش غيره و ينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبه فى مجلس و تلى عليهم أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول  
عدى بن الرقاع قلم أصاب من الدواه مدادها (١).

فلما قيل لهم فى ذلك قالوا إنا نعرف مواضع السجود فى الشعر كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن .

و إني لأطيل التعجب من رجل يخطب فى الحرب بكلام يدلّ على أن طبعه مناسب لطباع الأسود و النمرور و أمثالهما من السباع  
الضاريه ثم يخطب فى ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظه بكلام يدلّ على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح  
الذين لم يأكلوا لحما و لم يريقوا دما فتاره يكون فى صورته بسطام بن قيس الشيبانى و عتيبه بن الحارث اليربوعى و عامر بن  
الطفيل العامرى و تاره يكون فى صورته سقراط الحبر اليونانى و يوحنا المعمدان الإسرائيلى و المسيح بن مريم الإلهى.

و أقسم بمن تقسم الأمم كلها به لقد قرأت هذه الخطبه منذ خمسين سنه و إلى الآن أكثر من ألف مره ما قرأتها قط إلا و أحدثت  
عندى روعه و خوفا و عظه و أثرت فى قلبى و جيبيا و فى أعضائى رعدده و لا- تأملتها إلا و ذكرت الموتى من أهلى و أقاربى و  
أرباب ودى و خيلت فى نفسى أنى أنا ذلك الشخص الذى وصف ع حاله و كم قد قال الواعظون و الخطباء و الفصحاء فى هذا  
المعنى و كم وقفت على ما قالوه و تكرر وقوفى عليه فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام فى نفسى فإما أن يكون ذلك  
لعقيدتى فى قائله أو كانت نيه القائل صالحه و يقينه كان ثابتا و إخلاصه كان محضا

ص: ١٥٣

١-١ صدره: \*ترجى أغنّ كان إبره روقه\*..

خالصا فكان تأثير قوله فى النفوس أعظم و سرىان موعظته فى القلوب أبلغ ثم نعود إلى تفسير الفصل فالبرزخ الحاجز بين الشئین و البرزخ ما بين الدنيا و الآخرة من وقت الموت إلى البعث فيجوز أن يكون البرزخ فى هذا الموضع القبر لأنه حاجز بين الميت و بين أهل الدنيا كالحائط المبنى بين اثنين فإنه برزخ بينهما و يجوز أن يريد به الوقت الذى بين حال الموت إلى حال النشور و الأول أقرب إلى مراده ع لأنه قال فى بطون البرزخ و لفظه البطون تدلّ على التفسير الأول و لفظنا أكلت الأرض من لحومهم و شربت من دمائهم مستعارتان .

و الفجوات جمع فجوة و هى الفرجة المتسعة بين الشئین قال سبحانه وَ هُمْ فى فَجْوَةٍ مِنْهُ (١) و قد تفاجى الشئىء إذا صارت له فجوة.

و جمادا لا ينمون أى خرجوا عن صورته الحيوانية إلى صورته الجماد الذى لا ينمى و لا يزيد و يروى لا ينمون بتشديد الميم من النميمة و هى الهمس و الحركة و منه قولهم أسكت الله نامته فى قول من شدد و لم يهمز.

و ضمارا

يقال لكل ما لا يرجى من الدين و الوعد و كل ما لا تكون منه على ثقة ضمارا .

ثم ذكر أن الأهوال الحادثة فى الدنيا لا- تفزعهم و أن تنكر الأحوال بهم و بأهل الدنيا لا- يحزنهم و يروى تحزنهم على أن الماضى رباعى.

و مثله قوله لا يحفلون بالرواجف أى لا يكثرثون بالزلازل.

ص: ١٥٤

قوله و لا يأذنون للقواصف أى لا يسمعون الأصوات الشديده أذنت لكذا أى سمعته.

و جمع الغائب غيب و غيب و كلاهما مروى هاهنا و أراد أنهم شهود فى الصورة و غير حاضرين فى المعنى.

و آلاف على فعال جمع آلف كالطراق جمع طارق و السمار جمع سامر و الكفار جمع كافر .

ثم ذكر أنه لم تعم أخبارهم أى لم تستبهم أخبارهم و تنقطع عن بعد عهد بهم و لا عن بعد منزل لهم و إنما سقوا كأس المنون التى أخرجتهم بعد النطق و أصمتهم بعد السمع و أسكتتهم بعد الحركة.

و قوله و بالسمع صمما أى لم يسمعوا فيها نداء المنادى و لا نوح النائح أو لم يسمع فى قبورهم صوت منهم.

قوله فكأنهم فى ارتجال الصفه أى إذا وصفهم الواصف مرتجلا غير مترو فى الصفه و لا متهيئ للقول.

قال كأنهم صرعى سبات و هو نوم لأنه لا فرق فى الصورة بين الميت حال موته و النائم المسبوت .

ثم وصفهم بأنهم جيران إلا أنهم لا مؤانسه بينهم كجيران الدنيا و أنهم أحياء إلا أنهم لا يتزاوون كالأحياء من أهل الدنيا.

و قوله أحياء جمع حبيب كخليل و أخلاء و صديق و أصدقاء.

ثم ذكر أن عرا التعارف قد بليت منهم و انقطعت بينهم أسباب الإخاء و هذه كلها استعارات لطيفه مستحسنه .

ثم وصفهم بصفه أخرى فقال كل واحد منهم موصوف بالوحده و هم مع ذلك مجتمعون بخلاف الأحياء الذين إذا انضم بعضهم إلى بعض انتفى عنه وصف الوحده.

ثم قال و بجانب الهجر و هم أخلاء أى و كل منهم فى جانب الهجر و هم مع ذلك أهل خله و موده أى كانوا كذلك و هذا كله من باب الصناعه المعنويه و المجاز الرشيق.

ثم قال إنهم لا يعرفون للنهار ليلا و لا لليل نهارا و ذلك لأن الواحد من البشر إذا مات نهارا لم يعرف لذلك النهار ليلا أبدا و إن مات ليلا لم يعرف لذلك الليل صباحا أبدا و قال الشاعر لا بدّ من يوم بلا ليله أو ليله تأتي بلا يوم.

و ليس المراد بقوله أى الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا أنهم و هم موتى يشعرون بالوقت الذى ماتوا فيه و لا يشعرون بما يتعقبه من الأوقات بل المراد أن صورته ذلك الوقت لو بقيت عندهم لبقيت أبدا من غير أن يزيلها وقت آخر يطرأ عليها و يجوز أن يفسر على مذهب من قال ببقاء الأنفس فيقال إن النفس التى تفارق ليلا تبقى الصوره الليليه و الظلمه حاصله عندها أبدا لا تزول بطرآن نهار عليها لأنها قد فارقت الحواس فلا- سبيل لها إلى أن يرتسم فيها شىء من المحسوسات بعد المفارقه و إنما حصل ما حصل من غير زياده عليه و كذلك الأنفس التى تفارق نهارا

### [بعض الأشعار و الحكايات فى وصف القبور و الموتى]

و اعلم أن الناس قد قالوا فى حال الموتى فأكثرنا فمن ذلك قول الرضى أبى الحسن رحمه الله تعالى



أعزز على بأن نزلت بمنزل

قوله بادون فى صور الجميع مأخوذ من قول أمير المؤمنين ع فكلهم وحيد و هم جميع .

و قال أيضا و لقد حفظت له فأين حفاظه

ص: ١٥٧

مغف و ليس للذه إغفاؤه

و قال أبو العلاء أستغفر الله ما عندي لكم خبر

و قال أبو عارم الكلابي أجازعه ردينه أن أتاها

٢٤٧٠

مَرَّ الْإِسْيَاقُ بِمَدِينَةِ قَدَمَلَكِهَا سَبْعَةَ أَمْلَاقٍ مِنْ بَيْتِ وَاحِدٍ وَ بَادُوا فَسَأَلَ هَلْ بَقِيَ مِنْ نَسْلِهِمْ أَحَدٌ قَالُوا بَقِيَ وَاحِدٌ وَ هُوَ يَلْزُمُ  
الْمَقَابِرَ فَدَعَا بِهِ فَسَأَلَهُ لِمَ تَلْزُمُ الْمَقَابِرَ قَالَ أَرَدْتُ أَنْ أُمَيِّزَ عِظَامَ الْمُلوِكِ مِنْ عِظَامِ عِبِيدِهِمْ فَوَجَدْتُهَا سَوَاءً قَالَ هَلْ لَكَ أَنْ تَلْزَمَنِي  
حَتَّى أُنِيلَكَ بِعَيْتِكَ قَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَقْدِرُ عَلَيَّ ذَلِكَ لَلَزِمْتُكَ قَالَ وَ مَا بُعِثُكَ

ص: ١٥٨

قَالَ حَيَاةٌ لَا مَوْتَ مَعَهَا قَالَ لَنْ أَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ فَدَعْنِي أَطْلُبْهُ مِمَّنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

٢٤٧١

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَحَ مِنْهُ.

و

٢٤٧٢

قَالَ صَالِحُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْزِلِ الْآخِرَةِ فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ وَمَنْ لَمْ يَنْجُ فَمَا بَعْدَهُ شَرٌّ لَهُ.

٢٤٧٣

مَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَقْبَرَةٍ فَصَلَّى فِيهَا رَكَعَتَيْنِ وَقَالَ ذَكَرْتُ أَهْلَ الْقُبُورِ وَأَنَّه حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَذَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَقَرَّبَ بِهِمَا إِلَى اللَّهِ. فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ ع وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَ أَى فَائِدَةٍ فِي لَفْظِهِ جَانِبٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

قُلْتَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فَلَانٌ فِي جَانِبِ الْهَجْرِ وَ فِي جَانِبِ الْقَطِيعَةِ وَ لَا- يَقُولُونَ فِي جَانِبِ الْوَصْلِ وَ فِي جَانِبِ الْمَصَافَاهِ وَ ذَلِكَ أَنْ لَفْظَهُ جَنْبٌ فِي الْأَصْلِ مَوْضُوعُهُ لِلْمَبَاعَدَةِ وَ مِنْهُ قَوْلُهُمُ الْجَارُ الْجَنْبُ وَ هُوَ جَارِكٌ مِنْ قَوْمٍ غُرَبَاءُ يُقَالُ جَنْبَتُ الرَّجُلِ وَ أَجْنَبْتُهُ وَ تَجْنَبْتُهُ وَ تَجَانَبْتُهُ كُلُّهُ بِمَعْنَى وَ رَجُلٌ أَجْنَبِيٌّ وَ أَجْنَبٌ وَ جَنْبٌ وَ جَانِبٌ كُلُّهُ بِمَعْنَى .

قَوْلُهُ ع شَاهِدُوا مِنْ أخطارِ دَارِهِمُ الْمَعْنَى أَنَّهُ شَاهِدُ الْمُتَّقِينَ مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ وَ أَمَارَاتِهَا وَ شَاهِدُ الْمُجْرِمِينَ مِنْ آثَارِ النِّقْمَةِ وَ أَمَارَاتِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ وَ الْحَصُولِ فِي الْقَبْرِ أَعْظَمُ مِمَّا كَانُوا يَسْمَعُونَ وَ يَظُنُّونَ أَيَّامَ كَوْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

ثُمَّ قَالَ فَكَلَّا الْغَايَتَيْنِ مَدَّتْ لَهُمُ الْمَعْنَى مَدَّتِ الْغَايَتَانِ غَايَةَ الشَّقَى مِنْهُمُ وَ غَايَةَ السَّعِيدِ.

ص: ١٥٩

أى إلى منزل يعظم حاله عن أن يبلغه خوف خائف أو رجاء راجح و تلك المباءه هى النار أو الجنه و تقول قد استبأه الرجل أى اتخذ مباءه و أبأت الإبل رددتها إلى مباءتها و هى معاطنها.

ثم قال فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بتشديد الياء قال الشاعر عيوا بأمرهم كما

و روى لعيوا بالتخفيف كما تقول حيوا قالوا ذهب الياء الثانيه لالتقاء الساكنين لأن الواو ساكنه و ضمت الياء الأولى لأجل الواو قال الشاعر و كنا حسبناهم فوارس كهمس حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعصرا .

قوله لقد رجعت فيهم يقال رجع البصر نفسه و رجع زيد بصره يتعدى و لا يتعدى يقول تكلموا معنى لا صوره فأدرت حالهم بالأبصار و الأسماع العقلية لا الحسية و كلحت الوجوه كلوحا و كلاحا و هو تكشر فى عبوس .

و النواضر النواعم و النضره الحسن و الرونق .

و خوت الأجساد النواعم

خلت من دمها و رطوبتها و حشوتها و يجوز أن يكون خوت أى سقطت قال تعالى فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا (١) و الأهدام جمع هدم و هو الثوب البالى قال أوس و ذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جذعا (٢) .

ص : ١٦٠

١-١) سورة الحج ٤٥.

٢-٢) ديوانه ٥٥ النواشر:عصب الذراع،الواحد ناشره؛و بها سمى الرجل،و أراد بالتولب طفلها او لجذع:السيئ الغذاء؛تضمنته بالماء لأنه ليس لها لبن من شدة الضر.

شق علينا و منه عقبه كئود و يجوز تكأدنا جاءت هذه الكلمه فى أخوات لها تفعل و تفاعل بمعنى و مثله تعهد الضيعه و تعاهدها. و يقال قوله و توارثنا الوحشه كأنه لما مات الأب فاستوحش أهله منه ثم مات الابن فاستوحش منه أهله أيضا صار كان الابن وورث تلك الوحشه من أبيه كما تورث الأموال و هذا من باب الاستعاره .

قوله و تهدمت علينا الربوع يقال تهدم فلان على فلان غضبا إذا اشتد غضبه و يجوز أن يكون تهدمت أى تساقطت و روى و تهكمت بالكاف و هو كقولك تهدمت بالتهسيرين جميعا و يعنى بالربوع الصموت القبور و جعلها صموتا لأنه لا نطق فيها كما تقول ليل قائم و نهار صائم أى يقام و يصام فيهما و هذا كله على طريق الهز و التحريك و إخراج الكلام فى معرض غير المعرض المعهود جعلهم لو كانوا ناطقين مخبرين عن أنفسهم لأتوا بما وصفه من أحوالهم

٢٤٧٤

وَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ عُمَرَ حَضَرَ جِنَازَةَ رَجُلٍ فَلَمَّا دُفِنَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ قِفُوا ثُمَّ ضَرَبَ فَأَمَعَنَ فِي الْقُبُورِ وَ اسْتَبْطَأَهُ النَّاسُ جِدًّا ثُمَّ رَجَعَ وَ قَدِ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَ انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقِيلَ أَبْطَأَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا الَّذِي حَبَسَكَ قَالَ أَتَيْتُ قُبُورَ الْأَحِبِّهِ فَسَيَلَمْتُ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ السَّلَامَ فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَقْفَى نَادَانِي التُّرَابُ فَقَالَ أَلَا تَسْأَلُنِي يَا عُمَرُ مَا فَعَلْتُ بِالْيَدَيْنِ قُلْتُ مَا فَعَلْتُ بِهِمَا قَالَ قَطَعْتُ الْكَتِفَيْنِ مِنَ الرُّسَيْعَيْنِ وَ قَطَعْتُ الرُّسَيْعَيْنِ مِنَ الذَّرَاعَيْنِ وَ قَطَعْتُ الذَّرَاعَيْنِ مِنَ الْمِرْفَقَيْنِ وَ قَطَعْتُ الْمِرْفَقَيْنِ مِنَ الْعَضْدَيْنِ وَ قَطَعْتُ الْعَضْدَيْنِ مِنَ الْمَنْكِبَيْنِ وَ قَطَعْتُ الْمَنْكِبَيْنِ مِنَ الْكَتِفَيْنِ فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَقْفَى نَادَانِي التُّرَابُ فَقَالَ أَلَا تَسْأَلُنِي يَا عُمَرُ مَا فَعَلْتُ بِالْأَيْدِي وَ الرَّجْلَيْنِ قُلْتُ مَا فَعَلْتُ قَالَ قَطَعْتُ الْكَتِفَيْنِ مِنَ الْجَنْبَيْنِ وَ قَطَعْتُ الْجَنْبَيْنِ مِنَ الصُّلْبِ وَ قَطَعْتُ الصُّلْبَ مِنَ الْوَرَكَيْنِ وَ قَطَعْتُ الْوَرَكَيْنِ مِنَ الْفَخْذَيْنِ وَ قَطَعْتُ الْفَخْذَيْنِ مِنَ الرُّكْبَتَيْنِ

ص: ١٤١

وَقَطَعْتُ الرُّكْبَتَيْنِ مِنَ السَّاقَيْنِ وَ قَطَعْتُ السَّاقَيْنِ مِنَ الْقَدَمَيْنِ فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَقْفَى نَادَانِي التُّرَابُ فَقَالَ يَا عُمَرُ عَلَيْكَ بِأَكْفَانٍ لَا تَبْلَى فَقُلْتُ وَمَا أَكْفَانٌ لَا تَبْلَى قَالَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ. و هذا من الباب الذى نحن بصدده نسب الأقوال المذكوره إلى التراب و هو جماد و لم يكن ذلك و لكنه اعتبر فانقذحت فى نفسه هذه المواعظ الحكيمه فأفرغها فى قالب الحكايه و رتبها على قانون المسأله و الإجابته و أضافها إلى جماد موات لأنه أهنر لسامعها إلى تدبرها و لو قال نظرت فاعتبرت فى حال الموتى فوجدت التراب قد قطع كذا من كذا لم تبلغ عظته المبلغ الذى بلغته حيث أودعها فى الصوره التى اخترعها .

قوله ع فلو مثلتهم بعقلك أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك إلى آخر جواب لو هذا الكلام أخذته ابن نباته بعينه فقال فلو كشفتم عنهم أغطيه الأجداث بعد ليلتين أو ثلاث لوجدتم الأحداق على الخدود سائله و الألوان من ضيق اللحد حائله و هوام الأرض فى نواعم الأبدان جائله و الرءوس الموسده على الأيمان زائله ينكرها من كان لها عارفا و يفر عنها من لم يزل لها أنفا.

قوله ع ارتسخت أسماعهم ليس معناه ثبتت كما زعمه الراوندى لأنها لم تثبت و إنما ثبتت الهوام فيها بل الصحيح أنه من رسخ الغدير إذا نش ماؤه و نضب و يقال قد ارتسخت الأرض بالمطر إذا ابتلعتة حتى يلتقى الثريان.

و استكت أى ضاقت و انسدت قال النابغه و نبئت خير الناس أنك لمتنى و تلك التى تستك منها المسامع (١).

ص: ١٦٢

---

١- ١) ب«فيها»، و البيت فى ديوانه ٥٣، و روايته: \*أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى\*..

قوله و اكتحلت أبصارهم بالتراب فخشفت أى غارت و ذهبت فى الرأس و أخذ المتنبى قوله و اكتحلت أبصارهم بالتراب فقال  
يدفن بعضنا بعضا و يمشى

و ذلاقه الألسن حدثها ذلق اللسان و السنان يذلق ذلقا أى ذرب فهو ذلق و أذلق.

و همدت

بالفتح سكنت و خمدت و عاث أفسد و قوله جديد بلى من فن البديع لأن الجده ضد البلى و قد أخذ الشاعر هذه اللفظه فقال يا  
دار غادرنى جديد بلاك رث الجديد فهل رثيث لذاك و سمجها قبح صورتها و قد سمج الشيء بالضم فهو سمج بالسكون ثم  
ضخم فهو ضخم و يجوز فهو سمج بالكسر مثل خشن فهو خشن.

قوله و سهل طرق الآفه إليها و ذلك أنه إذا استولى العنصر الترابى على الأعضاء قوى استعدادها للاستحاله من صورتها الأولى  
إلى غيرها.

و مستلمات أى منقاد طائعه غير عاصيه فليس لها أيد تدفع عنها و لا لها قلوب تجزع و تحزن لما نزل بها .

و الأشجان جمع شجن و هو الحزن.

و الأفداء جمع قذى و هو ما يسقط فى العين فيؤذيها.

ص: ١٦٣

قوله صفة حال لا تنتقل أى لا تنتقل إلى حسن و صلاح و ليس يريد لا تنتقل مطلقاً لأنها تنتقل إلى فساد و اضمحلال .

و رجل عزيز أى حدث و عزيز الجسد أى طرى و أنيق اللون معجب اللون و غذى ترف قذ غذى بالترف و هو التمتع المطغى .

و ربيب شرف

أى قد ربي فى الشرف و العز و يقال ربّ فلان ولده يربه ربا و رباه يربيه تربيته .

و يتعلل بالسروور يتلهى به عن غيره و يفرع إلى السلوه يلتجئ إليها و ضنا أى بخلا و غضاره العيش نعيمه و لينه .

و شحاحه

أى بخلا شححت بالكسر أشح و شححت أيضا بالفتح أشح و أشح بالضم و الكسر شحا و شحاحه و رجل شحيح و شحاح بالفتح و قوم شحاح و أشحه .

و يضحك إلى الدنيا و تضحك إليه كناية عن الفرح بالعمر و العيشه و كذا كل واحد منهما يضحك إلى صاحبه لشده الصفاء كأنّ الدنيا تحبه و هو يحبها .

و عيش غفول قد غفل عن صاحبه فهو مستغرق فى العيش لم ينتبه له الدهر فيكدر عليه و قته قال الشاعر و كان المرء فى غفلات عيش كأن الدهر عنها فى وثاق و قال الآخر ألا إن أحلى العيش ما سمحت به صروف الليالى و الحوادث نوم .

قوله إذ وطئ الدهر به حسكه أى إذ أوطأه الدهر حسكه و الهاء فى حسكه ترجع إلى الدهر عدى الفعل بحرف الجر كما تقول قام زيد بعمرو أى أقامه .

ص : ١٦٤



و قواه جمع قوه و هى المره من مرائر الجبل و هذا الكلام استعاره .

و من كتب من قرب و البث الحزن و البث أيضا الأمر الباطن الدخيل.

و نجى الهم

ما يناجيك و يسارك و الفترات أوائل المرض.

و آنس ما كان بصحته منصوب على الحال و قال الراوندى فى الشرح هذا من باب أخطب ما يكون الأمير قائما ثم ذكر أن العامل فى الحال فترات قال تقديره فترات آنس ما كان و ما ذكره الراوندى فاسد فإنه ليس هذا من باب أخطب ما يكون الأمير قائما لأن ذلك حال سد مسد خبر المبتدأ و ليس هاهنا مبتدأ و أيضا فليس العامل فى الحال فترات و لا فتر بل العامل تولدت و القار البارد.

فإن قلت لم قال تسكين الحار بالقار و تحريك البارد بالحار و لأى معنى جعل الأول التسكين و الثانى التحريك قلت لأن من شأن الحرارة التهيج و التثوير فاستعمل فى قهرها بالبارد لفظه التسكين و من شأن البروده التخدير و التجميد فاستعمل فى قهرها بالحار لفظه التحريك.

قوله و لا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء أى و لا استعمل دواء مفردا معتدل المزاج أو مركبا كذلك إلا و أمد كل طبيعه منها ذات مرض بمرض زائد على الأول.

و ينبغى أن يكون قوله و لا-اعتدل بممازج أى و لا-رام الاعتدال لممتزج لأنه لو حصل له الاعتدال لكان قد برئ من مرضه فسمى محاوله الاعتدال اعتدالا لأنه بالاستدلال المعتدلات قد تهيأ للاعتدال فكان قد اعتدل بالقوه.

و ينبغى أيضا أن يكون قد حذف مفعول أمد و تقديره بمرض كما قدرناه نحن و حذف المفعولات كثير واسع .

ص: ١٦٥

قوله حتى فتر معلله لأن معللى المرض فى أوائل المرض يكون عندهم نشاط لأنهم يرجون البرء فإذا رأوا أمارات الهلاك فترت همتهم.

قوله و ذهل ممرضه ذهل بالفتح و هذا كالأول لأن الممرض إذا أعيا عليه المرض و انسدت عليه أبواب التدبير يذهل.

قوله و تعايا أهله بصفه دائه أى تعاطوا العى و تساكتوا إذا سئلوا عنه و هذه عادة أهل المريض المثقل يجمعون إذا سئلوا عن حاله.

قوله و تنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه أى تخاصموا فى خبر ذى شجى أى خبر ذى غصه يتنازعونه و هم حول المريض ستر دونه و هو لا يعلم بنجواهم و بما يفيضون فيه من أمره .

فقائل منهم هو لمآبه أى قد أشفى على الموت و آخر يمنيهم إياب عافيته أى عودها آب فلان إلى أهله أى عاد.

و آخر يقول قد رأينا مثل هذا و من بلغ إلى أعظم من هذا ثم عوفى فيمنى أهله عود عافيته.

و آخر يصبر أهله على فقدته و يذكر فضيله الصبر و ينهاهم عن الجزع و يروى لهم أخبار الماضين.

و أسى أهليهم و الأسى جمع أسوه و هو ما يتأسى به الإنسان قالت الخنساء و ما يبكون مثل أخى و لكن أسلى النفس عنه بالتأسى (١).

قوله على جناح من فراق الدنيا أى سرعان ما يفارقها لأن من كان على جناح طائر فأوشك به أن يسقط.

ص: ١٦٦

قوله إذ عرض له عارض يعنى الموت و من غصصه جمع غصه و هو ما يعترض مجرى الأنفاس و يقال إن كل ميت من الحيوان لا يموت إلا خنقا و ذلك لأنه من النفس يدخل فلا يخرج عوضه أو يخرج فلا يدخل عوضه و يلزم من ذلك الاختناق لأن الرئه لا تبقى حينئذ مروحه للقلب و إذا لم تروحه اختنق.

قوله فتحيرت نوافذ فطنته أى تلك الفطنه النافذه الثاقبه تحيرت عند الموت و تبلدت.

قوله و يبست رطوبه لسانه لأن الرطوبه اللعائيه التى بها يكون الذوق تنشف حينئذ و يبطل الإحساس باللسان تبعا لسقوط القوّه .

قوله فكم من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده نحو أن يكون له مال مدفون يسأل عنه حال ما يكون محتضرا فيحاول أن يعرف أهله به فلا يستطيع و يعجز عن ردّ جوابهم و قد رأينا من عجز عن الكلام فأشار إشاره فهموا معناها و هى الدواه و الكاغذ فلما حضر ذلك أخذ القلم و كتب فى الكاغذ ما لم يفهم و يده ترعد ثم مات قوله و دعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه أظهر الصمم لأنه لا حيله له.

ثم وصف ذلك الدعاء فقال من كبير كان يعظمه نحو صراخ الوالد على الولد و الولد يسمع و لا يستطيع الكلام و صغير كان يرحمه نحو صراخ الولد على الوالد و هو يسمع و لا قدره له على جوابه .

ثم ذكر غمرات الدنيا فقال إنها أفضع من أن تحيط الصفات بها و تستغرقها أى تأتى على كنهها و تعبر عن حقائقها.

قوله أو تعتدل على عقول أهل الدنيا هذا كلام لطيف فصيح غامض و معناه

أن غمرات الموت و أهواله عظيمه جدا لا تستقيم على العقول و لا تقبلها إذا شرحت لها و وصفت كما هي على الحقيقه بل تنبو عنها و لا نصدق بما يقال فيها فعبر عن عدم استقامتها على العقول بقوله أو يعتدل كأنه جعلها كالشئ المعوج عند العقل فهو غير مصدق به

### [إيراد أشعار و حكايات فى وصف الموت و أحوال الموتى]

و ممّا يناسب ما ذكر من حال الإنسان قول الشاعر بينا الفتى مرح الخطا فرحا بما

و قال أبو النجم العجلىّ و المرء كالحالم فى المنام

و قال عمران بن حطان أ فى كل عام مرضه ثم نقهه و ينعى و لا ينعى متى ذا إلى متى

ص: ١٦٨

و لا بد من يوم يجيء و ليله

يسوقان حتفا راح نحوك أو غدا.

و

٢٤٧٥

١٤- جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص مَرَّ بِمَقْبَرِهِ فَنَادَى يَا أَهْلَ الْقُبُورِ الْمُوحِشَةِ وَ الرُّبُوعِ الْمُعْطَلَةِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا حَدَّثَ بَعْدَكُمْ تَزْوِجَ نِسَاءِ أَوْلَادِكُمْ وَ تَبَوُّؤَ مَسَاكِينِكُمْ وَ قِسْمَ أَمْوَالِكُمْ هَلْ أَنْتُمْ مُخْبِرُونَ بِمَا عَايَنْتُمْ ثُمَّ قَالَ أَلَا إِنَّهُمْ لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْجَوَابِ لَقَالُوا وَجَدْنَا خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

٢٤٧٦

وَ نَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ إِنَّ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لَجَدِيرٌ أَنْ يُزْهَدَ فِي أَوْلِهِ وَ إِنَّ أَمْرًا هَذَا أَوْلُهُ لَجَدِيرٌ أَنْ يُخَافَ آخِرُهُ.

و قال عبده بن الطيب و يعجبني قوله على الحال التي كان عليها فإنه كان أسود لصا من لصوص بني سعد بن زيد مناہ بن تميم .

و لقد علمت بأن قصرى حفره

و نظير هذه الأبيات في رويها و عروضها قول متمم بن نويرة اليربوعي و لقد علمت و لا محاله أننى

ص: ١٦٩

لَمَّا فَتَحَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَيْنَ التَّمْرِ سَالَ عَنِ الْحُرْقَةِ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ فَدَلَّ عَلَيْهَا فَأَتَاهَا وَكَانَتْ عَمِيَاءَ فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا فَقَالَتْ  
لَقَدْ طَلَعْتُ عَلَيْنَا الشَّمْسُ مَا شِئْتُ يَدِيبُ تَحْتَ الْخَوْرَتِ إِلَّا تَحْتَ أَيْدِينَا ثُمَّ غَرَبَتْ وَقَدْ رَحِمْنَا كُلُّ مَنْ يَدُورُ بِهِ وَمَا بَيْتٌ دَخَلْتُهُ  
حَبْرَةٌ إِلَّا دَخَلْتُهُ عَبْرَهُ ثُمَّ قَالَتْ وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا فَقَالَ قَائِلٌ مِمَّنْ كَانَ حَوْلَ خَالِدٍ قَاتَلَ اللَّهُ عِدِيَّ بْنَ زَيْدٍ لَكَأَنَّهُ يَنْظُرُ  
إِلَيْهَا حِينَ يَقُولُ إِنَّ لِلدَّهْرِ صَرْعَةً فَأَخَذَرْنَاهَا

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَوْمَ قَرٍّ وَهُوَ عَلَى فُرْشٍ

يَكَادُ يَغِيبُ فِيهَا فَقَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي لَأُحْسِبُ الْيَوْمَ بَارِدًا قَالَ أَجَلٌ وَإِنَّ ابْنَ هِنْدٍ عَاشَ فِي مِثْلِ مَا تَرَى عِشْرِينَ أَمِيرًا وَعِشْرِينَ خَلِيفَةً ثُمَّ هُوَ ذَاكَ عَلَى قَبْرِهِ تُمَامَةٌ تَهْتَرُ.

فَيَقَالُ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَرْسَلَ إِلَى قَبْرِ مُعَاوِيَةَ فَوَجَدَ عَلَيْهِ تُمَامَةً نَابِتَةً.

٢٤٧٩

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي قَصْرِهِ بِبَغْدَادَ عَلَى دِجْلَهَ فَإِذَا بِحَشِيشٍ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ فِي وَسِيطِهِ قَصْبَةٌ عَلَى رَأْسِهَا رُقْعَةٌ فَأَمَرَ بِهَا فَوَجَدَ هَذَا تَاهَ الْأَعْيُرِجِ وَاسْتَوَلَى بِهِ الْبَطْرُ فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِنَفْسِهِ أَيَّامًا.

عدى بن زيد

أيها الشامت المعير بالدهر

ص: ١٧١

و أخو الحضرم إذ بناه و إذ دجله

قد اتفق الناس على أن هذه الأبيات أحسن ما قيل من القريض في هذا المعنى و أن الشعراء كلهم أخذوا منها و احتذوا في هذا المعنى حذوها.

و قال الرضى أبو الحسن رضى الله عنه انظر إلى هذا الأنام بعبره

ص: ١٧٢



لا تعجبن فما العجيب فناؤه

ص: ١٧٣

من ناظر مطروفه أَلحاظه

و قال أيضا و تفرق البعداء بعد تجمع

ص: ١٧٤

متوسدين على الخدود كأنما

ص: ١٧٥

يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (١) إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ  
تَسْمَعُ بِهِ بَعِيدَ الْوَقْرِهِ وَ تُبَصِّرُ بِهِ بَعِيدَ الْعَشْوَةِ وَ تَنْقَادُ بِهِ بَعِيدَ الْمُعَانَدَةِ وَ مَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعِيدَ الْبُرْهَةِ وَ فِي أَرْزَامِ  
الْفَتْرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَ كَلَمَتِهِمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بُنُورَ يَقْظِهِ فِي [الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ]

الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكَّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَ يُحَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلِهِ الْأَدْلَى فِي الْفَلَوَاتِ مَنْ أَخَذَ الْقَصِيدَ حَمِيدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَ  
بَشَّرُوهُ بِالنَّجَاهِ وَ مَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَ شِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَ حَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَ كَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَ أَدَلَّهُ تِلْكَ  
الشُّبُهَاتِ وَ إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا يَدًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَ يَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ  
مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَ يَأْتِمِرُونَ بِهِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّهُمْ قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ  
وَ هُمْ فِيهَا فَشَاهِدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا

أَطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبُرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ وَ حَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَ يَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمُحْمُودَةَ وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ وَ قَدْ نَشَرُوا دَوَائِينَ أَعْمَالِهِمْ وَ فَرَّغُوا لِمَحَاسِنِهِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَ كَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَتَقَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَ حَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا فَتَشَجُّوا نَشِيجًا وَ تَجَاوَبُوا نَحِيبًا يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَ اعْتِرَافٍ لِرَأْيَتِ أَعْلَامِ هُدًى وَ مَصَابِيحِ دُجَى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ أُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكِرَامَاتِ فِي مَقْعَدِ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضَتِ سَعِيَّهُمْ وَ حَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقِهِ إِلَى فَضْلِهِ وَ أَسَارَى ذَلِهِ لِعَظَمَتِهِ جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ وَ طُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدُّ قَارِعَةٍ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيْقُ لِعَدِيهِ الْمَنَادِحُ وَ لَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاعِبُونَ فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

من قرأ يسبح له فيها بفتح الباء (١) ارتفع رجالٌ عنده بوجهين

ص: ١٧٧

١- ١) هي قراءه ابن عامر و أبى بكر بن مجاهد؛و الباقون بكسرها؛و انظر أيضا إتحاف فضلاء البشر ٣٢٥.

أحدهما أن يضمّر له فعل يكون هو فاعله تقديره يسبحه رجال و دل على يسبحه يسبح كما قال الشاعر ليبيك يزيد ضارع لخصومه و مختبئ ممّا تطيح الطوائح (١) أى بيكيه ضارع و دل على بيكيه ليبيك.

و الثانى أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره المسبحون رجال و من قرأ **يُسَبِّحُ** لَهُ **فِيهَا** بكسر الباء ف **رِجَالٌ** فاعل و أوقع لفظ التجاره فى مقابله لفظ البيع إمّا لأنّه أراد بالتجاره هاهنا الشراء خاصّه أو لأنّه عمم بالتجاره المشتمله على البيع و الشراء ثمّ خصّ البيع لأنّه أدخل فى باب الإلهاء لأنّ البيع يحصل ربحه ييقين و ليس كذلك الشراء و الذكر يكون تاره باللسان و تاره بالقلب فالذى باللسان نحو التسييح و التكبير و التهليل و التحميد و الدعاء و الذى بالقلب فهو التعظيم و التبجيل و الاعتراف و الطاعة.

و جلوت السيف و القلب جلاء بالكسر و جلوت اليهود عن المدينة جلاء بالفتح.

و الورقه الثقيل فى الأذن و العشوه بالفتح فعله من العشا فى العين و آلاؤه نعمه.

فإن قلت أى معنى تحت قوله عزت آلاؤه و عزت بمعنى قلت و هل يجوز مثل ذلك فى تعظيم الله.

قلت عزت هاهنا ليس بمعنى قلت و لكن بمعنى كرمت و عظمت تقول منه عززت على فلان بالفتح أى كرمت عليه و عظمت عنده و فلان عزيز علينا أى كريم معظم.

ص: ١٧٨

و البرهه من الدهر المده الطويله و يجوز فتح الباء.

و أزمان الفترات ما يكون منها بين النوبتين.

و ناجاهم فى فكرهم ألهمهم بخلاف مناجاه الرسل ببعث الملائكه إليهم و كذلك و كلمهم فى ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظه صار ذلك النور مصباحا لهم يستضيئون به .

قوله من أخذ القصد حمدوا إليهم طريقه إلى هاهنا هى التى فى قولهم أحمد الله إليك أى منهيا ذلك إليك أو مفضيا به إليك و نحو ذلك و طريقه العرب فى الحذف فى مثل هذا معلومه قال سبحانه وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً (١) أى لجعلنا بدلا منكم ملائكة و قال الشاعر فليس لنا من ماء زمزم شربه مبرده بانت على طهيان أى عوضا من ماء زمزم .

قوله و من أخذ يمينا و شمالا أى ضل عن الجاده.

و إلى فى قوله ذموا إليه الطريق مثل إلى الأولى .

و يهتفون بالزواجر

يصوتون بها هتفت الحمامه تهتف هتفا و هتف زيد بالغنم هتفا بالكسر و قوس هتافه و هتفى أى ذات صوت.

و القسط العدل و يأترون به يمثلون الأمر .

و قوله فكأتما قطعوا الدنيا إلى الآخرة إلى قوله و يسمعون ما لا يسمعون هو شرح

٢٤٨٠

قَوْلِهِ عَنِ نَفْسِهِ ع

لَوْ كَشِفَ الْعِطَاءُ مَا زِدَدْتُ يَقِينًا .

و الأوزار الذنوب و النشيج صوت البكاء و المقعد موضع القعود.

ص: ١٧٩

و يدقاره تطرق باب الرحمه و هذا الكلام مجاز.

و المنادح المواضع الواسعه.

و على فى قوله و لا يخيب عليه الراغبون متعلقه بمحذوف مثل إلى المتقدم ذكرها و التقدير نادمين عليه .

و الحسيب المحاسب.

و اعلم أن هذا الكلام فى الظاهر صفه حال القصاص و المتصددين لإنكار المنكرات أ لا تراه يقول يذكرون بأيام الله أى بالأيام التى كانت فيها النقمه بالعصاه و يخوفون مقامه من قوله تعالى وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (١) ثم قال فمن سلك القصد حمدوه و من عدل عن الطريق ذموا طريقه و خوفوه الهلاك ثم قال يهتفون بالزواجر عن المحارم فى أسماع الغافلين و يأمررون بالقسط و ينهون عن المنكر .

و هذا كله إيضاح لما قلناه أولا- إن ظاهر الكلام شرح حال القصاص و أرباب المواعظ فى المجامع و الطرقات و المتصددين لإنكار القبائح و باطن الكلام شرح حال العارفين الذين هم صفوه الله تعالى من خلقه و هو ع دائما يكنى عنهم و يرمز إليهم على أنه فى هذا الموضع قد صرح بهم فى قوله حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس و يسمعون ما لا يسمعون .

و قد ذكر من مقامات العارفين فى هذا الفصل الذكر و محاسبه النفس و البكاء و النحيب و الندم و التوبه و الدعاء و الفاقه و الذله و الحزن و هو الأسى الذى ذكر أنه جرح قلوبهم بطوله

ص : ١٨٠



و قد كنا وعدنا بذكر مقامات العارفين فيما تقدم و هذا موضعه فنقول إن أول مقام من مقامات العارفين و أول منزل من منازل السالكين التوبه قال الله تعالى وَ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١) و

٢٤٨١

قَالَ النَّبِيُّ صِ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.

و

٢٤٨٢

قَالَ عَلِيُّ ع

مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ شَابٍّ تَائِبٍ .

و التوبه فى عرف أرباب هذه الطريقه الندم على ما عمل من المخالفه و ترك الزله فى الحال و العزم على ألا يعود إلى ارتكاب معصيه و ليس الندم وحده عند هؤلاء توبه و إن جاء

٢٤٨٣

فِي الْخَبْرِ النَّدْمُ تَوْبَةٌ.

لأنه على وزان

٢٤٨٤

قَوْلُهُ ع الْحَجُّ عَرَفَةٌ.

ليس على معنى أن غيرها ليس من الأركان بل المراد أنه أكبر الأركان و أهمها و منهم من قال يكفى الندم وحده لأنه يستتبع الركنين الآخرين لاستحاله كونه نادما على ما هو مصر على مثله أو ما هو عازم على الإتيان بمثله.

قالوا و للتوبه شروط و ترتيبات فأول ذلك انتباه القلب من رقدته الغفله و رؤيه العبد ما هو عليه من سوء حاله و إنما يصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه فإن

٢٤٨٥

فِي الْخَبْرِ النَّبِيُّ عَنْهُ ص وَاعِظُ كُلِّ حَالٍ اللَّهُ فِي قَلْبِ كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ .

فِي الْخَبْرِ أَنَّ فِي بَدَنِ الْمَرْءِ لِمُضْغَةٍ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ جَمِيعُ الْبَدَنِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ جَمِيعُ الْبَدَنِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.

ص: ١٨١

و إذا فكر العبد بقلبه فى سوء صنيعه و أبصر ما هو عليه من ذميم الأفعال سنحت فى قلبه إرادته التوبه و الإقلاع عن قبيح المعامله فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمه و الأخذ فى طرق الرجوع و التأهب لأسباب التوبه.

و أول ذلك هجران إخوان السوء فإنهم الذين يحملونه على ردّ هذا القصد و عكس هذا العزم و يشوشون عليه صحه هذه الإراده و لا يتم ذلك له إلا بالمواظبه على المشاهد و المجالس التى تزيده رغبه فى التوبه و توفر دواعيه إلى إتمام ما عزم عليه ممّا يقوى خوفه و رجاءه فعند ذلك تنحل عن قلبه عقده الإصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال فيقف عن تعاطى المحظورات و يكبح نفسه بلجام الخوف عن متابعه الشهوات فيفارق الزله فى الحال و يلزم العزيمه على ألا يعود إلى مثلها فى الاستقبال فإن مضى على موجب قصده و نفذ على مقتضى عزمه فهو الموفق حقا و إن نقض التوبه مره أو مرّات ثم حملته إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا كثيرا فلا ينبغى قطع الرجاء عن توبه أمثال هؤلاء فإن لكل أجل كتابا

٢٦٨٧

وَ قَدْ حُكِيَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ أَنَّهُ (١) قَالَ اخْتَلَفْتُ إِلَى مَجْلِسِ قَاصٍّ فَأَثَّرَ كَلَامُهُ فِي قَلْبِي فَلَمَّا قُمْتُ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ فَعُدْتُ ثَانِيًا فَسَمِعْتُ كَلَامَهُ فَبَقِيَ مِنْ كَلَامِهِ فِي قَلْبِي أَثَرٌ فِي الطَّرِيقِ ثُمَّ زَالَ ثُمَّ عُدْتُ ثَالِثًا فَوَقَرَ كَلَامُهُ فِي قَلْبِي وَ ثَبَّتُ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَى مَنَزِلِي وَ كَسَرْتُ آلَاتِ الْمُخَالَفَةِ وَ لَزِمْتُ الطَّرِيقَ.

وَ حَكَيْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ لِيُحْيِي بِنِ مُعَاذِ فَقَالَ عُصْفُورُ اصْطَادَ كُرْكِيًّا يَعْنِي بِالْعُصْفُورِ الْقَاصِّ وَ بِالْكَرْكِيِّ أَبَا سُلَيْمَانَ .

٢٦٨٨

وَ يُحْكَى أَنَّ أَبَا حَفْصِ الحَدَّادِ ذَكَرَ بِدَايَتِهِ فَقَالَ تَرَكْتُ ذَلِكَ الْعَمَلَ يَعْنِي الْمَعْصِيَةَ كَذَا وَ كَذَا مَرَّةً ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا ثُمَّ تَرَكْنِي الْعَمَلُ فَلَمْ أَعُدْ إِلَيْهِ.

ص: ١٨٢

وَقِيلَ إِنَّ بَعْضَ الْمُرِيدِينَ تَابَ ثُمَّ وَقَعَتْ لَهُ فِتْرَةٌ وَكَانَ يُفَكِّرُ وَيَقُولُ أَتَرَى لَوْ عُدْتُ إِلَى التَّوْبَةِ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ حُكْمِي فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ يَا فُلَانُ أَطَعْتَنَا فَشَكَرْنَاكَ ثُمَّ تَرَكْنَا فَأَمَهَلْنَاكَ وَإِنْ عُدْتَ إِلَيْنَا قَبْلَنَاكَ فَعَادَ الْفِتْنَى إِلَيْنَا إِلَى الْإِرَادَةِ.

٢٤٩٠

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ التَّوْبَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَأَوْلُهَا التَّوْبَةُ وَأَوْسَطُهَا الْإِنَابَةُ وَآخِرُهَا الْأَوْبَةُ. فَجَعَلَ التَّوْبَةَ بِدَايِهِ وَالْأَوْبَةَ نَهَايَهُ وَالْإِنَابَةَ وَاسِطَهُ بَيْنَهُمَا وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ تَابَ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ فَهُوَ صَاحِبُ التَّوْبَةِ وَمَنْ تَابَ طَمَعًا فِي الثَّوَابِ فَهُوَ صَاحِبُ الْإِنَابَةِ وَمَنْ تَابَ مِرَاعًا لِلْأَمْرِ فَقَطْ فَهُوَ صَاحِبُ الْأَوْبَةِ.

٢٤٩١

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَيْضًا التَّوْبَةُ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ (١) وَالْإِنَابَةُ صِفَةُ الْأَوْلِيَاءِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٢) وَالْأَوْبَةُ صِفَةُ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ سُبْحَانَهُ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣).

٢٤٩٢

وَقَالَ الْجَنَيْدُ دَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ يَوْمًا فَوَحِدَهُ مُتَعَبًا فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فَسَأَلَنِي عَنِ التَّوْبَةِ فَقُلْتُ أَلَا تَنْسِي ذَنْبَكَ فَقَالَ بَلِ التَّوْبَةُ أَلَا تَذَكُرُ ذَنْبَكَ قَالَ الْجَنَيْدُ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَمْرَ عِنْدِي مَا قَالَهُ الشَّابُّ قَالَ كَيْفَ قُلْتُ لِأَنِّي إِذَا كُنْتُ فِي حَالِ الْجَفَاءِ فَتَقَلَّبَنِي إِلَى حَالِ الصَّفَاءِ فَذَكَرُ الْجَفَاءِ فِي حَالِ الصَّفَاءِ جَفَاءً فَسَكَتَ السَّرِيُّ.

٢٤٩٣

وَقَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ الْإِسْتِغْفَارُ مِنْ غَيْرِ إِقْلَاعِ تَوْبَةِ الْكَذَّابِينَ.

٢٤٩٤

وَسُئِلَ أَبُو شَيْبَةَ عَنِ التَّوْبَةِ فَقَالَ إِذَا ذَكَرْتَ الذَّنْبَ ثُمَّ لَا تَجِدُ حَلَاوَتَهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ فَذَاكَ حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ.

ص: ١٨٣

١-١) سورة النور ٣١.

٢-٢) سورة ق ٣٣.

٣-٣) سورة ص ٣٠.

وَقَالَ ذُو النُّونِ حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ أَنْ تَضَيِّقَ عَلَيْكَ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبْتَ حَتَّى لَا يَكُونَ لَكَ قَرَارٌ ثُمَّ تَضَيِّقَ عَلَيْكَ نَفْسُكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ حَتَّى إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ (١).

وَقِيلَ لِأَبِي حَفْصٍ الْحَدَادِ لِمَ تُبْغِضُ الدُّنْيَا فَقَالَ لِأَنِّي بَاشَرْتُ فِيهَا الدُّنُوبَ قِيلَ فَهَلَّا أَحْبَبْتَهَا لِأَنَّكَ وَفَّقْتَ فِيهَا لِلتَّوْبَةِ فَقَالَ أَنَا مِنَ الدُّنْبِ عَلَى يَقِينٍ وَمِنْ هَذِهِ التَّوْبَةِ عَلَى ظَنٍّ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِرَأْبِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ إِنِّي قَدْ أَكْثَرْتُ مِنَ الدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهَلْ يَتُوبُ عَلَيَّ إِنْ تَبَّتْ قَالَتْ لَا بَلْ لَوْ تَابَ عَلَيْكَ لَتَبَّتْ.

قالوا و لما كان الله تعالى يقول في كتابه العزيز إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ دلنا ذلك على محبته لمن صحت له حقيقة التوبة و لا شبهه أن من قارف الزلّه فهو من خطئه على يقين فإذا تاب فإنّه من القبول على شك لا- سيما إذا كان من شرط القبول محبه الحق سبحانه له و إلى أن يبلغ العاصي محلا يجد في أوصافه أماره محبه الله تعالى إياه مسافه بعيده فالواجب إذا على العبد إذا علم أنّه ارتكب ما يجب عنه التوبه دوام الانكسار و ملازمه التنصل و الاستغفار كما قيل استشعار الوجل إلى الأجل.

١٤- وَكَانَ مِنْ سُنَّتِهِ عَدْوَامُ الْإِسْتِغْفَارِ وَقَالَ إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً (٢).

(١-١) سورة التوبه ٢٥.

(٢-٢) أورده ابن الأثير في النهاية ٣:١٨٠، وقال: الغين: الغيم، وغينت السماء تغان: إذا أطبق عليها الغين، وقيل: الغين: شجر ملتف؛ أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر؛ لأن قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى؛ فإن عرض له وقتا ما عارض بشرى يشغله من أمور الأمه و المله و مصالحهما عد ذلك ذنبا و تقصيرا فيفرع إلى الاستغفار.

وَقَالَ يَحْيَىٰ بَنُ مَعَاذٍ زَلَّهٗ وَاحِدَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَقْبَحُ مِنْ سَبْعِينَ قَبْلَهَا.

وَيُحْكِي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى الْوَزِيرَ رَكِبَ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ فَجَعَلَ الْغُرَبَاءُ يَقُولُونَ مَنْ هَذَا مَنْ هَذَا فَقَالَتِ امْرَأَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى السَّطْحِ إِلَى مَتَى تَقُولُونَ مَنْ هَذَا مَنْ هَذَا عَبْدٌ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ فَابْتَلَاهُ بِمَا تَرَوْنَ فَسَجَّعَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى كَلَامَهَا فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ لَمْ يَزَلْ يَتَوَصَّلُ فِي الْإِسْتِعْفَاءِ مِنَ الْوِزَارَةِ حَتَّى أُعْفِيَ وَ ذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ فَجَاوَرَ بِهَا.

و منها المجاهده و قد قلنا فيها ما يكفى فيما تقدم.

و منها العزله و الخلوه و قد ذكرنا فى جزء قبل هذا الجزء مما جاء فى ذلك طرفا صالحا و منها التقوى و هى الخوف من معصيه الله و من مظالم العباد قال سبحانه إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (١) و

١٤- قِيلَ إِنَّ رَجُلًا حَيَاءً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي فَقَالَ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ جَمَاعٌ كُلُّ خَيْرٍ وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِ وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ .

و قيل فى تفسير قوله تعالى اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (٢) أن يطاع فلا يعصى و يذكر فلا ينسى و يشكر فلا يكفر.

١-١) سورة الحجرات ١٣.

٢-٢) سورة آل عمران ١٠٢.

وَ قَالَ النَّصْرُ آبَادِيٌّ مَنْ لَزِمَ التَّقْوَى بَادَرَ إِلَى مُفَارَقَةِ الدُّنْيَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ وَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (١).

وَ قِيلَ يُسْتَدَلُّ عَلَى تَقْوَى الرَّجُلِ بِثَلَاثِ التَّوَكُّلِ فِيمَا لَمْ يَتَلَّ وَ الرِّضَا (٢) بِمَا قَدْ نَالَ وَ حُسْنِ الصَّبْرِ عَلَى مَا فَاتَ.

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ كَانَ رَأْسُ مَالِهِ التَّقْوَى كَلَّتِ الْأَلْسُنُ عَنْ وَصْفِ رِبْحِهِ.

و قد حكوا من حكايات المتقين شيئا كثيرا مثل ما

يُحْكِي عَنْ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ اشْتَرَى أَرْبَعِينَ حُبًّا (٣) سِيْمَانًا فَأَخْرَجَ غُلَامَهُ فَأَرَاهُ مِنْ حُبِّ فِسَالَةَ مِنْ أَيِّ حُبِّ أَخْرَجَهَا قَالَ لَا أَدْرِي فَصَبَّهَا كُلَّهَا.

وَ حُكِيَ أَنَّ أَبَا يَزِيدَ الْبُسَيْطَمِيَّ غَسَلَ ثَوْبَهُ فِي الصَّخْرَاءِ وَ مَعَهُ مُصَاحِبٌ لَهُ فَقَالَ صَاحِبُهُ نَضْرِبُ هَذَا الْوَتِدَ فِي جِدَارِ هَذَا الْبُسَيْطَانِ وَ نَبْطُ الثَّوْبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَا يَجُوزُ ضَرْبُ الْوَتِدِ فِي جِدَارِ النَّاسِ قَالَ فَنَعَلْتُهُ عَلَى شَجَرِهِ حَتَّى يَجِفَّ قَالَ يُكْسِرُ الْأَغْصَانُ فَقَالَ نَبْطُهُ عَلَى الْإِذْخِرِ (٤) قَالَ إِنَّهُ عَلَفُ الدَّوَابِّ لَا يَجُوزُ أَنْ نَسْتَرَهُ مِنْهَا فَوَلَّى ظَهْرَهُ قَبْلَ الشَّمْسِ وَ جَعَلَ الْقَمِيصَ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى جَفَّ أَحَدُ جَانِبَيْهِ ثُمَّ قَلَبَهُ حَتَّى جَفَّ الْجَانِبُ الْآخَرُ.

و منها الورع و هو اجتناب الشبهات و

قَالَ ص لِأَبِي هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ.

وَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ كُنَّا نَدْعُ سَبْعِينَ أَبَاً مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرَامِ.

١-١) سورة الأنعام ٣٠٢.

٢-٢) ب: «الشكر»، و ما أثبتته من: ا.

٣-٣) الحَبِّ هنا: الجره.

٤-٤) الإذخر: الحشيش الأخضر.



وَ كَانَ يُقَالُ الْوَرَعُ فِي الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الرَّهْيِدُ فِي الرَّئَاسَةِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ لِأَنَّكَ تَبْدُلُهُمَا فِي طَلَبِ الرَّئَاسَةِ.

وَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَلَاءُ أَعْرِفْ مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَمْ يَشْرَبْ مِنْ مَاءٍ زَمْرَمَ إِلَّا مَا اسْتَقْفَاهُ بِرُكُوتِهِ وَ رِشَائِهِ.

وَ قَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ أَشَدُّ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ الْجُودُ فِي الْقَلْبِ وَ الْوَرَعُ فِي الْخَلْوَةِ وَ كَلِمَةُ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ يُخَافُ وَ يُرْجَى.

وَ يُقَالُ إِنَّ أُخْتَ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ (١) حَيَاءَتْ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَبِيبٍ فَقَالَتْ إِنَّا نَغْزِلُ عَلَى سَيْطُوحِنَا فَتَمُرُّ بِنَا مَسَاعِلُ الطَّاهِرِيَّةِ فَيَقَعُ شُعَاعُهَا عَلَيْنَا أَوْ فَيَجُوزُ لَنَا الْغَزْلُ فِي ضَوْئِهَا فَقَالَ أَحْمَدُ مَنْ أَنْتِ يَا أُمِّهِ اللَّهُ قَالَتْ أُخْتُ بَشْرِ الْحَافِي فَبَكَى أَحْمَدُ وَ قَالَ مِنْ بَيْتِكُمْ حَرَجَ الْوَرَعُ لَا تَغْزِلِي فِي ضَوْءِ مَسَاعِلِهِمْ.

وَ حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ مَرَرْتُ بِالْبَصْرَةِ فِي بَعْضِ السُّوَارِعِ فَإِذَا بِمَسَايِخَ تُعُودُ وَ صِبْيَانٌ يَلْعَبُونَ فَقُلْتُ أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَسَايِخِ فَقَالَ غُلَامٌ مِنْ بَيْنِهِمْ هَؤُلَاءِ الْمَسَايِخُ قَلَّ وَرَعُهُمْ فَقُلْتُ هَيْبَتُهُمْ.

وَ يُقَالُ إِنَّ مَالِكََ بْنَ دِينَارٍ مَكَثَ بِالْبَصْرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا صَيَّحَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ تَمْرِ الْبَصْرَةِ وَ لَا مِنْ رُطْبِهَا حَتَّى مَاتَ وَ لَمْ يَذُقْهُ وَ كَانَ إِذَا انْقَضَى أَوْانُ الرُّطْبِ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ هَذَا بَطْنِي مَا نَقَصَ مِنْهُ شَيْءٌ سِوَاءِ عَلِيٍّ أَكَلْتُ مِنْ رُطْبِكُمْ أَوْ لَمْ أَكُلْ.

وَ قَالَ الْحَسَنُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْوَرَعِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ مِنَ الصَّوْمِ وَ الصَّلَاةِ.

وَ دَخَلَ الْحَسَنُ مَكَّةَ فَرَأَى غُلَامًا مِنْ وُلْدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَدْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى

---

١-١) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن أبو نصر الحافى تاريخ بغداد ٦٧:٧.

الْكُغْبِيهِ وَهُوَ يَعِظُ النَّاسَ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ مَا مَلَكَكَ الدِّينَ قَالَ الْوَرَعُ قَالَ فَمَا آفَتْهُ قَالَ الطَّمَعُ فَجَعَلَ الْحَسَنُ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ.

٢٧١٧

وَ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَنْ لَمْ يَصْحَبْهُ الْوَرَعُ أَكَلَ رَأْسَ الْفِيلِ وَلَمْ يَشْبَعْ.

٢٧١٨

وَ حُمَيْلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَسْكٌ مِنَ الْعَنَائِمِ فَقَبِضَ عَلَى مَشْمِهِ وَ قَالَ إِنَّمَا يُنْتَفَعُ مِنْ هَذَا بِرِيحِهِ وَ أَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَجِدَ رِيحَهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ .

٢٧١٩

وَ سُئِلَ أَبُو عَثْمَانَ الْحَرِيرِيُّ عَنِ الْوَرَعِ فَقَالَ كَانَ أَبُو صَالِحٍ بْنُ حُمْدُونَ عِنْدَ صَدِيقٍ لَهُ وَ هُوَ فِي التَّرْعِ فَمَاتَ الرَّجُلُ فَفَتَتْ أَبُو صَالِحٍ فِي السَّرَاجِ فَأُطْفِئَتْ فَبَقِيَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِلَى الْآنِ كَانَ الدُّهْنُ الَّذِي فِي الْمِسْرَجِ لَهُ فَلَمَّا مَاتَ صَارَ إِلَى الْوَرَثَةِ.

وَ مِنْهَا الزُّهْدُ وَ قَدْ تَكَلَّمُوا فِي حَقِيقَتِهِ

٢٧٢٠

فَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَصْرُ الْأَمَلِ.

٢٧٢١

وَ قَالَ الْخَوَاصُّ الزُّهْدُ أَنْ تَتْرَكَ الدُّنْيَا فَلَا تُبَالِي مَنْ أَخَذَهَا.

٢٧٢٢

وَ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ الزُّهْدُ تَرْكُ كُلِّ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللَّهِ.

٢٧٢٣

وَ قِيلَ الزُّهْدُ تَحْتَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ (١).

٢٧٢٤

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ صَدَقَ فِي زُهْدِهِ أَتَتْهُ الدُّنْيَا وَ هِيَ رَاعِمَةٌ وَ لِهَذَا قِيلَ لَوْ سَقَطَتْ فَلَنْسُوهُ مِنَ السَّمَاءِ لَمَا وَقَعَتْ إِلَّا عَلَىٰ رَأْسِ مَنْ لَا يُرِيدُهَا.

وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ مُعَاذٍ الزُّهْدُ يُسْعِطُكَ (٢) الْخَلُّ وَالْخَزْدَلُ وَالْعَرْفَانُ يُشْمُكُ الْمِسْكَ وَالْعُبَيْرُ.

ص: ١٨٨

---

١-١) سورة الحديد ٢٣.

٢-٢) سعطه الدواء و غيره: أدخله في أنفه.

وَ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ مَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَالَ تَزُكُّ مَا فِيهَا عَلَى مَنْ فِيهَا.

وَ قَالَ رَجُلٌ لِدَى النُّونِ الْمِصْرِيِّ مَتَى تَرَانِي أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا قَالَ إِذَا زَهَدْتَ فِي نَفْسِكَ.

وَ قَالَ رَجُلٌ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ مَتَى تَرَانِي أَذْخُلُ حَيَاتِ التَّوَكُّلِ وَ أَلْبَسُ رِدَاءَ الزُّهْدِ وَ أَقْعِدُ بَيْنَ الزَّاهِدِينَ فَقَالَ إِذَا صِرْتَ مِنْ رِيَاضَتِكَ لِنَفْسِكَ فِي السَّرِّ إِلَى حَدِّ لَوْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْقُوَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ تَضْعُفْ فِي نَفْسِكَ وَ لَا فِي يَقِينِكَ فَأَمَّا مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ فَقَعُدْكَ عَلَى بَسَاطِ الزَّاهِدِينَ جَهْلٌ ثُمَّ لَا آمَنُ أَنْ تَفْتَضِحَ.

وَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ الزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ تَزُكُّ الْحَرَامِ وَ هُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ وَ تَزُكُّ الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ وَ هُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ وَ تَزُكُّ كُلُّ مَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ وَ هُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ.

وَ قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الدُّنْيَا كَالْعُرُوسِ فَطَالِبُهَا كَمَا شِطَّطَتْهَا تُحَسِّنُ وَ جَهَّهَا وَ تُعْطِرُ ثُوبَهَا وَ الزَّاهِدُ فِيهَا كَضَرَّتْهَا تُسْحِمُ وَ جَهَّهَا وَ تَنْتِفُ شَعْرَهَا وَ تُحْرِقُ ثُوبَهَا وَ الْعَارِفُ مُسْتَنْغِلٌ بِاللَّهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا وَ لَا يُشْعِرُ بِهَا.

وَ كَانَ النَّصْرَ أَبَادِي يَقُولُ فِي مُنَاجَاتِهِ يَا مَنْ حَقَّنَ دِمَاءَ الزَّاهِدِينَ وَ سَفَكَ دِمَاءَ الْعَارِفِينَ.

وَ كَانَ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي بَيْتٍ وَ جَعَلَ مِفْتَاحَهُ الزُّهْدَ وَ جَعَلَ الشَّرَّ كُلَّهُ فِي بَيْتٍ وَ جَعَلَ مِفْتَاحَهُ حُبَّ الدُّنْيَا.

و منها الصمت و قدمنا فيما سبق من الأجزاء نكتا نافع في هذا المعنى و نذكر الآن شيئا آخر

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ وَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ فَلْيَصْمُتْ.

ص: ١٨٩

و قال أصحاب هذا العلم الصمت من آداب الحضرة قال الله تعالى وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا (١).

و قال مخبرا عن الجن فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا (٢).

و قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيامة وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (٣).

و قالوا كم بين عبد سكت تصونا عن الكذب و الغيبه و عبد سكت لاستيلاء سلطان الهييه.

و أنشدوا أرتب ما أقول إذا افترقتنا

و أنشدوا فيا ليل كم من حاجه لى مهمه إذا جئتكم لم أدر بالليل ماهيا.

قالوا و ربما كان سبب الصمت و السكوت حيره البدييه فإنه إذا ورد كشف بغته خرس العبارات عند ذلك فلا بيان و لا نطق و طمست الشواهد فلا علم و لا حس قال الله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤) فأما إثثار أرباب المجاهده الصمت فلما علموا فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من حط النفس و إظهار صفات المدح و الميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق و غير ذلك من ضروب آفات الكلام و هذا نعت أرباب

ص : ١٩٠

١-١) سورة الأعراف ٢٠٤.

٢-٢) سورة الأحقاف ٢٩.

٣-٣) سورة طه ١٠٨.

٤-٤) سورة المائدة ١٠٩:

الرياضه و هو أحد أركانهم في حكم مجاهده النفس و منازلتها و تهذيب الأخلاق.

٢٧٣٤

وَ يُقَالُ إِنَّ دَاوُدَ الطَّائِيَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْعِدَ فِي بَيْتِهِ اعْتَمَدَ أَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسَ أَبِي حَنِيفَةَ لِأَنَّهُ كَانَ تَلْمِيزًا لَهُ وَ يَقْعِدَ بَيْنَ أَضْرَابِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَ لَا يَتَكَلَّمُ فِي مَسْأَلِهِ عَلَى سَبِيلِ رِيَاضَتِهِ نَفْسَهُ فَلَمَّا قَوِيَتْ نَفْسُهُ عَلَى مُمَارَسَةِ هَذِهِ الْخِصْلَةِ سَنَّهُ كَامِلَةً قَعَدَ فِي بَيْتِهِ عِنْدَ ذَلِكَ وَ آثَرَ الْعُزْلَةَ.

٢٧٣٥

وَ يُقَالُ إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ إِذَا كَتَبَ كِتَابًا فَاسْتَحْسَنَ لَفْظُهُ مَرَّقَ الْكِتَابَ وَ غَيْرَهُ.

٢٧٣٦

وَ قَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ إِذَا أَعْجَبَكَ الْكَلَامُ فَاصْمُتْ فَإِذَا أَعْجَبَكَ الصَّمْتُ فَتَكَلَّمْ.

٢٧٣٧

وَ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ الصَّمْتُ حَتَّى يُلْزِمَ نَفْسَهُ الْخُلُوعَ وَ لَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ التَّوْبَةُ حَتَّى يُلْزِمَ نَفْسَهُ الصَّمْتَ.

و منها الخوف قال الله تعالى يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا (١).

و قال تعالى وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٢).

و قال يخافون رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ (٣).

٢٧٣٨

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ الْخَوْفُ عَلَى مَرَاتِبَ خَوْفٍ وَ خَشْيَةٍ وَ هَيْبَةٍ.

فالخوف من شروط الإيمان و قضاياه قال الله تعالى فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤).

و الخشية من شروط العلم قال الله تعالى إِنََّّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٥).

ص: ١٩١

(١-١) سورة السجده ١٦.

(٢-٢) سورة البقره ٤٠.



٣-٣) سورة النحل ٥٠.

٤-٤) سورة آل عمران ١٧٥.

٥-٥) سورة فاطر ٢٨.

و الهيبه من شروط المعرفه قال سبحانه وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ (١).

٢٧٣٩

وَ قَالَ أَبُو عَمَرَ الدَّمَشَقِيُّ الْخَائِفُ مَنْ يَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُ مِنَ الشَّيْطَانِ .

٢٧٤٠

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ وَ مَنْ خَافَ اللَّهَ هَرَبَ إِلَيْهِ.

٢٧٤١

وَ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ. و منها الرجاء و قد قدمنا فيما قبل من ذكر الخوف و الرجاء طرفا صالحا قال سبحانه مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ (٢).

و الفرق بين الرجاء و التمنى و كون أحدهما محمودا و الآخر مذموما أن التمنى ألا- يسلك طريق الاجتهاد و الجهد و الرجاء بخلاف ذلك فلهذا كان التمنى يورث صاحبه الكسل.

٢٧٤٢

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذِيَّ الرَّجَاءُ وَ الْخَوْفُ كَجَنَاحِي الطَّائِرِ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّائِرُ وَ تَمَّ طَيْرَانُهُ وَ إِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ وَ إِذَا ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ.

٢٧٤٣

وَ قَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْمَغْرِبِيُّ مَنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّجَاءِ تُعْطَلُ وَ مَنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى الْخَوْفِ قَنَطَ وَ لَكِنْ مِنْ هَذَا مَرَّةً وَ مِنْ هَذَا مَرَّةً.

و

٢٧٤٤

مِنْ كَلَامِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ وَ يُذَوِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع يَكَادُ رَجَائِي لَكَ مَعَ الذُّنُوبِ يَغْلِبُ رَجَائِي لَكَ مَعَ الْأَعْمَالِ لِأَنِّي أَجِدُنِي أَعْتَمِدُ فِي الْأَعْمَالِ عَلَى

ص: ١٩٢

١-١) سورة آل عمران ٢٨.

٢-٢) سورة العنكبوت ٥.

الإِخْلَاصِ وَ كَيْفَ أَحْرَزَهَا وَ أَنَا بِالْمَآفِهِ مَعْرُوفٌ وَ أَجِدُنِي فِي الذَّنُوبِ أَعْتَمِدُ عَلَى عَفْوِكَ وَ كَيْفَ لَا- تَغْفِرُهَا وَ أَنْتَ بِالْجُودِ  
مَوْصُوفٌ.

و منها الحزن و هو من أوصاف أهل السلوك.

٢٧٤٥

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ صَاحِبُ الْحُزْنِ يَقَطِّعُ مِنْ طَرِيقِ اللَّهِ فِي شَهْرٍ مَا لَا يَقَطُّعُهُ مَنْ فَقَدَ الْحُزْنَ فِي سَنَتَيْنِ.

٢٧٤٦

فِي الْحَبْرِ التَّبَوِيِّ ص إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ.

٢٧٤٧

وَ فِي بَعْضِ كُتُبِ التُّبَّوَاتِ الْقَدِيمَةِ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَصَبَ فِي قَلْبِهِ نَائِحَةً وَ إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا جَعَلَ فِي قَلْبِهِ مِرْمَارًا.

٢٧٤٨

١- وَ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرِ .

٢٧٤٩

وَ قِيلَ إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُزْنٌ خَرِبَ كَمَا أَنَّ الدَّارَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ خَرِبَتْ.

٢٧٥٠

وَ سَمِعْتُ رَابِعَهُ رَجُلًا يَقُولُ وَاحْزَنَاهُ فَقَالَتْ قُلْ وَاقِلَهُ حُزْنَاهُ لَوْ كُنْتَ مَحْزُونًا مَا تَهَيَّأَ لَكَ أَنْ تَنْفَسَ.

٢٧٥١

وَ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لَوْ أَنَّ مَحْزُونًا بَكَى فِي أُمَّهِ لَرَحِمَ اللَّهُ تِلْكَ الْأُمَّةَ بِبُكَائِهِ.

٢٧٥٢

وَ كَانَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِذَا سَافَرَ وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُ إِذَا رَأَيْتَ مَحْزُونًا فَأَقْرِئْهُ عَنِّي السَّلَامَ.

٢٧٥٣

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا ظَنَّ أَنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدٍ بِمُصِيبِهِ.

٢٧٥٤

وَقَالَ وَكَيْعُ يَوْمَ مَاتَ الْفُضَيْلُ ذَهَبَ الْحُزْنُ الْيَوْمَ مِنَ الْأَرْضِ.

٢٧٥٥

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ أَكْثَرَ مَا يَجِدُهُ (١) الْمُؤْمِنُ فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ الْحُزْنُ وَالْهَمُّ.

ص: ١٩٣

---

١-١) ب: «يوجدته»، و ما أثبتته من ا.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ أَدْرَكْتُ السَّلَفَ يَقُولُونَ إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَزَكَاةُ الْعَقْلِ طُولُ الْحُزْنِ.

و منها الجوع و ترك الشهوات و قد تقدم ذكر ذلك.

و منها الخشوع و التواضع قال سبحانه الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (١) و

١٤- فِي الْخَيْرِ التَّبَوُّيُّ عَنْهُ ص لَّا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمَرْءَ لِيُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نُؤْبَهُ حَسِينًا فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ إِنَّمَا الْمُتَكَبِّرُ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَ غَمَصَ النَّاسَ .

و

١٤- رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يَعُودُ الْمَرِيضَ وَيُشِيْعُ الْجَنَائِزَ وَيَزَكُّ الْحِمَارَ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ.

وَ كَانَ يَوْمَ قَرِيظَةَ وَ النَّضِيرِ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لَيْفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لَيْفٍ.

وَ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَهَا زَاكِبٌ بَعِيرٍ بِرَحْلِ خَلْقٍ وَ إِنَّ ذَقْنَهُ لَتَمَسَّ وَسَطَ الرَّحْلِ خُضُوعًا لِلَّهِ تَعَالَى وَ خُشُوعًا وَ جَيْشُهُ يَوْمَئِذٍ عَشْرَةُ آلَافٍ .

قالوا في حدّ الخشوع هو الانقياد للحق و في التواضع هو الاستسلام و ترك الاعتراض على الحكم.

وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْخُشُوعُ قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ بِهِمْ مَجْمُوعٌ.

وَ قَالَ حَدِيثُهُ بِنِ الْإِيْمَانِ أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْخُشُوعُ.

وَ كَانَ يُقَالُ مِنْ عِلَامَاتِ الْخُشُوعِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أُغْضِبَ أَوْ حُولِفَ أَوْ رُدَّ عَلَيْهِ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ.

وَ قَالَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التُّرْمِذِيِّ الْخَاشِعِ مَنْ خَمِدَتْ نِيرَانُ شَهْوَتِهِ وَ سَكَنَ دُخَانُ صَيْدِرِهِ وَ أَشْرَقَ نُورُ التَّعْظِيمِ فِي قَلْبِهِ فَمَاتَتْ حَوَاسُهُ وَ حَيَّى قَلْبُهُ وَ تَطَامَنَتْ جَوَارِحُهُ.

وَ قَالَ الْحَسَنُ الْخُشُوعُ هُوَ الْخَوْفُ الدَّائِمُ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ.

وَ قَالَ الْجُنَيْدُ الْخُشُوعُ تَدَلُّ الْقُلُوبِ لِعِلَامِ الْغُيُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا أُنَى خَاشِعُونَ مُتَوَاضِعُونَ.

وَ رَأَى بَعْضُهُمْ رَجُلًا مُنْقَبِضَ الظَّاهِرِ مُنْكَسِرَ الشَّاهِدِ قَدْ رَوَى مِنْكَبِيهِ فَقَالَ يَا فُلَانُ الْخُشُوعُ هَاهُنَا وَ أَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ لَا هَاهُنَا وَ أَشَارَ إِلَى مَنْكَبِيهِ.

و

١٤- رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص رَأَى رَجُلًا يَعْبُثُ بِلِحْيَتِهِ فِي صَلَاتِهِ فَقَالَ لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ .

وَ قِيلَ شَرْطُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ أَلَّا يَعْرِفَ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَ لَا مَنْ عَلَى شِمَالِهِ.

وَ قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ الْخُشُوعُ قَشَعْرِيرَةٌ تَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بَغْتَةً عِنْدَ مُفَاجَأِهِ كَشَفِ الْحَقِيقَةِ.

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ لَمْ يَتَّضِعْ عِنْدَ نَفْسِهِ لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَ غَيْرِهِ.

٢٧٧٠

وَ قِيلَ إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَمْ يَكُنْ يَسْجُدُ إِلَّا عَلَى التُّرَابِ.

٢٧٧١

وَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُسْرِعُ فِي الْمَشْيِ وَ يَقُولُ هُوَ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ وَ أَبْعَدُ مِنَ الزَّهْوِ.

٢٧٧٢

كَانَ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ لَيْلَهُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ هُوَ خَلِيفَهُ فَصَمِعَ الْمِصْبَاحُ فَقَامَ رَجُلٌ لِيُصَلِّحَهُ فَقَالَ اجْلِسْ فَلَيْسَ مِنَ الْكَرَمِ أَنْ يَسْتُخْدِمَ الْمَرْءُ ضَيْفَهُ فَقَالَ

ص: ١٩٥

أَنَّهُ (١) الْغَلَامَ قَالَ إِنَّهَا أَوَّلُ نَوْمِهِ نَامَهَا ثُمَّ قَامَ بِنَفْسِهِ فَأَصْلَحَ السَّرَاجَ فَقَالَ رَجَاءُ أُمَّتُ قُمْ إِلَى السَّرَاجِ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ قُمْتُ  
وَ أَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ رَجَعْتُ وَ أَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

و

٢٧٧٣

١٤- فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْلِفُ الْبَعِيرَ وَيَقُمُّ الْبَيْتَ وَيَخْصِفُ النَّعْلَ وَيَزِقُّ الثَّوْبَ وَيَحْلُبُ  
الشَّاهَ وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ وَيَطْحَنُ مَعَهَا إِذَا أُعِيثَ وَ كَانَ لَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يَحْمِلَ بِضَاعَتَهُ مِنَ السُّوقِ إِلَى مَنْزِلِ أَهْلِهِ وَ كَانَ يُصَافِحُ  
الْغَنِيِّ وَ الْفَقِيرَ وَ يُسَلِّمُ مُبْتَدِئًا وَ لَا- يُحَقِّرُ مَا دُعِيَ إِلَيْهِ وَ لَوْ إِلَى حَشْفِ التَّمْرِ وَ كَانَ هَيِّنَ الْمَثُونَةِ لَيِّنَ الْخُلُقِ كَرِيمَ السَّجِيهِ جَمِيلَ  
الْمَعَاشِرَةِ طَلَقَ الْوَجْهَ بَسَامًا مِنْ غَيْرِ ضَحْكٍ مَحْزُونًا مِنْ غَيْرِ عُبُوسٍ مُتَوَاضِعًا مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ جَوَادًا مِنْ غَيْرِ سِرْفٍ رَفِيقَ الْقَلْبِ رَحِيمًا  
لِكُلِّ مُسْلِمٍ مَا تَجَشَّأَ قَطُّ مِنْ شَيْءٍ وَ لَا مَدَّ يَدَهُ إِلَى طَبْعٍ .

٢٧٧٤

وَ قَالَ الْفُضَيْلُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ الْجِبَالَ أَنِّي مُكَلِّمٌ عَلَى وَاحِدٍ مِنْكُمْ نَبِيًّا فَتَطَاوَلَتِ الْجِبَالُ وَ تَوَاضَعَ طُورٌ سَيْنَاءَ فَكَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى  
لِتَوَاضِعِهِ.

٢٧٧٥

سُئِلَ الْجَنَيْدُ عَنِ التَّوَاضُعِ فَقَالَ خَفَضَ الْجَنَاحَ وَ لَيَّنَ الْجَانِبَ.

٢٧٧٦

ابْنُ الْمُبَارَكِ

التَّكَبُّرُ عَلَى الْأَعْيَانِ وَ التَّوَاضُعُ لِلْفُقَرَاءِ مِنَ التَّوَاضُعِ.

٢٧٧٧

وَ قِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ مَتَى يَكُونُ الرَّجُلُ مُتَوَاضِعًا قَالَ إِذَا لَمْ يَرَ لِنَفْسِهِ مَقَامًا وَ لَا حَالًا وَ لَا يَرَى أَنَّ فِي الْخَلْقِ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ.

٢٧٧٨

وَ كَانَ يُقَالُ التَّوَاضُعُ نِعْمَةٌ لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا وَ التَّكَبُّرُ مِحْنَةٌ لَا يُرْحَمُ مِنْهَا وَ الْعِزُّ فِي التَّوَاضُعِ فَمَنْ طَلَبَهُ فِي الْكِبَرِ لَمْ يَجِدْهُ.

٢٧٧٩



وَ كَانَ يُقَالُ الشَّرْفُ فِي التَّوَاضُعِ وَ العِزُّ فِي التَّقْوَى وَ الحُرِّيَّةُ فِي القَنَاعَةِ.

٢٧٨٠

يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ

التَّوَاضُعُ حَسَنٌ فِي كُلِّ أَحَدٍ لِكِنَّةٍ فِي الأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ وَ التَّكَبُّرُ سَمِجٌ فِي كُلِّ أَحَدٍ وَ لِكِنَّةٍ فِي الفُقَرَاءِ أَسْمَجٌ.

ص: ١٩٦

---

١ - ١) ب: «انتبه» تصحيف.

وَ رَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَدَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ لِيَأْخُذَ بِرِكَابِهِ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ إِنَّا كَذَبْنَا أَمْرًا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا فَقَالَ زَيْدُ  
أَرِنِي يَدَكَ فَأَخْرَجَهَا فَتَقَبَّلَهَا فَقَالَ هَكَذَا أَمْرُنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا .

وَ قَالَ عَزُوهُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى وَ عَلَى عِيَاتِقِهِ قِرْبَةٌ مِائَةٌ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا يَتَّبِعُنِي  
لِمِثْلِكَ هَذَا فَقَالَ إِنَّهُ لَمَّا أَتَيْتَنِي الْوُفُودُ سَامِعَهُ مُهَادِنَةً دَخَلَتْ نَفْسِي نَحْوَهُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكْسِرَهَا وَ مَضَى بِالْقِرْبَةِ إِلَى حُجْرَةِ امْرَأَةٍ مِنَ  
الْأَنْصَارِ فَأَفْرَعَهَا فِي إِثْنِهَا .

أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ

مَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ قِيمَةً لَمْ يَذُقْ حَلَاوَةَ الْخِدْمَةِ .

يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ

التَّكْبُرُ عَلَى مَنْ تَكَبَّرَ عَلَيْكَ تَوَاضِعٌ .

بِشْرُ الْحَافِي

سَلِّمُوا عَلَى أَوْلَادِ الدُّنْيَا بِتَرْكِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ .

بَلَغَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ ابْنَ لَهُ اشْتَرَى خَاتَمًا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَلَّغْنِي أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ خَاتَمًا وَ فَضُّهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فَإِذَا أَتَاكَ  
كِتَابِي فَبِعِ الْخَاتَمَ وَ أَشْبِعْ بِهِ أَلْفَ بَطْنٍ وَ اتَّخِذْ خَاتَمًا مِنْ دِرْهَمَيْنِ وَ اجْعَلْ فَضُّهُ حديدًا صَبِيئًا وَ اكْتُبْ عَلَيْهِ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً عَرَفَ  
قَدْرَهُ .

قَوْمَتْ نِيَابُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ هُوَ يَخْطُبُ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ بِأَثْنِي عَشَرَ دِرْهَمًا وَ هِيَ قَبَاءٌ وَ عِمَامَةٌ وَ قَمِيصٌ وَ سَرَاوِيلٌ وَ رِدَاءٌ وَ خُفَّانِ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ مَا سِيرَرْتُ قَطُّ سُرُورِي فِي أَيَّامِ ثَلَاثَةِ كُنْتُ فِي سَيْفِيهِ وَفِيهَا رَجُلٌ مُضْحِكٌ كَانَ يَلْعَبُ لِأَهْلِ (١) السَّفِينَةِ  
فَيَقُولُ كُنَّا نَأْخُذُ الْعِلْجَ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ هَكَذَا وَنَأْخُذُ بِشَعْرِ رَأْسِي فَيَهْزُنِي فَسِرَّنِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ أَحَقَرُ مِنِّي  
فِي عَيْنِهِ وَكُنْتُ عَلِيلاً فِي مَسْجِدٍ فَدَخَلَ الْمُؤَذِّنُ وَقَالَ اخْرُجْ فَلَمْ أُطِقْ فَأَخَذَ

ص: ١٩٧

---

(١-١) فِي الْأَصُولِ: «أَهْل».

بِرَجْلِي وَجَزَنِي إِلَى خَارِجِ الْمَسْجِدِ وَكُنْتُ بِالشَّامِ وَعَلَى فَرَوْ فَنظَرْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أُمَيِّزْ بَيْنَ الشَّعْرِ وَبَيْنَ الْقَمَلِ لِكَثْرَتِهِ.

٢٧٨٩

عَرَضَ عَلَيَّ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ مَمْلُوكٌ بِاللُّوفِ مِنَ الدَّرَاهِمِ فَاسْتَكْتَرْتُ النَّثْمَنَ فَقَالَ الْعَبْدُ اشْتَرِنِي يَا مَوْلَايَ فَفِي حَصَلِهِ تُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا النَّثْمَنِ قَالَ مَا هِيَ قَالَ لَوْ قَدَّمْتَنِي عَلَيَّ جَمِيعِ مَمَالِيكَ وَحَوَّلْتَنِي بِكُلِّ مَالِكَ لَمْ أَغْلُظْ فِي نَفْسِي بَلْ أَعْلَمُ أَنَّي عَبْدُكَ فَاشْتَرَاهُ.

٢٧٩٠

١٤- تَشَاجَرَ أَبُو ذَرٍّ وَبِلَالٌ فَغَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ بِلَالًا بِالسَّوَادِ فَشَكَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنْ كِبَرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَلْقَى أَبُو ذَرٍّ نَفْسَهُ وَحَلَفَ أَلَّا يَحْمِلَ رَأْسَهُ حَتَّى يَطَأَ بِلَالٌ خَدَّهُ بِقَدَمِهِ فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى فَعَلَ بِلَالٌ ذَلِكَ .

٢٧٩١

٢- مَرَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع بِصَيِّبَانٍ يَلْعَبُونَ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ كِسْرٌ خُبْرٍ يَأْكُلُونَهَا فَدَعَاهُ فَنَزَلَ وَ أَكَلَ مَعَهُمْ ثُمَّ حَمَلَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَطْعَمَهُمْ وَ كَسَاهُمْ وَ قَالَ الْفَضْلُ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ مَا أَطْعَمُونِي وَ نَحْنُ نَجِدُ أَكْثَرَ مِمَّا أَطْعَمْنَاهُمْ .

و منها مخالفه النفس و ذكر عيوبها و قد تقدم ذكر ذلك.

و منها القناعه قال الله تعالى مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً (١) قال كثير من المفسرين هي القناعه.

و

٢٧٩٢

فِي الْحَدِيثِ التَّبَوِيُّ وَ يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع  
الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَنْفَدُ .

ص: ١٩٨

٢٧٩٣

فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ أَيْضًا كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَ كُنْ قَنُوعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ وَ أَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَ أَحْسَنَ مُجَاوِرَةً مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَ أَقَلَّ الضَّحِكِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ.

٢٧٩٤

وَ كَانَ يُقَالُ الْفُقَرَاءُ أَمَوَاتٌ إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِزِّ الْقَنَاعَةِ.

٢٧٩٥

وَ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ الْقَنَاعَةُ مِنَ الرِّضَا بِمَنْزِلَةِ الْوَرَعِ مِنَ الزُّهْدِ هَذَا أَوَّلُ الرِّضَا وَ هَذَا أَوَّلُ الزُّهْدِ.

٢٧٩٦

وَ قِيلَ الْقَنَاعَةُ سُكُونُ النَّفْسِ وَ عَدَمُ انزِعَاجِهَا عِنْدَ عَدَمِ الْمَأْلُوفَاتِ.

٢٧٩٧

وَ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا (١) أَنَّهُ الْقَنَاعَةُ. □

٢٧٩٨

وَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرَاغِيُّ الْعَاقِلُ مَنْ دَبَّرَ أَمْرَ الدُّنْيَا بِالْقَنَاعَةِ وَ التَّسْوِيفِ وَ أَنْكَرَ أَبُو عَبِيدٍ اللَّهُ بِنُ حَفِيفٍ فَقَالَ الْقَنَاعَةُ تَرْكُ التَّسْوِيفِ بِالْمَفْقُودِ وَ الْإِسْتِغْنَاءِ بِالْمَوْجُودِ.

٢٧٩٩

وَ كَانَ يُقَالُ حَرَجَ الْعِزُّ وَ الْعِنَى يَجُولَانِ فَلَقِينَا الْقَنَاعَةَ فَاسْتَفَرَّا-

٢٨٠٠

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ كَانَتْ قَنَاعَتُهُ سَمِينَةً طَابَتْ لَهُ كُلُّ مَرْقَةٍ.

٢٨٠١

مَرَّ أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ بِقَصَابٍ فَقَالَ لَهُ خُذْ يَا أَبَا حَازِمٍ فَقَالَ لَيْسَ مَعِيَ دِرْهَمٌ قَالَ أَنَا أَنْظِرُكَ قَالَ نَفْسِي أَحْسَنُ نَظْرَةً لِي مِنْكَ.

وَ قِيلَ وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى خَمْسَةَ أَشْيَاءَ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ الْعِزِّ فِي الطَّاعَةِ وَ الذُّلِّ فِي الْمَعْصِيَةِ وَ الْهَيْبَةَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ وَ الْحِكْمَةَ فِي  
الْبَطْنِ الْخَالِي وَ الْغِنَى فِي الْقَنَاعَةِ.

وَ كَانَ يُقَالُ انْتَقِمَ مِنْ فُلَانٍ بِالْقَنَاعَةِ كَمَا تَنْتَقِمُ مِنْ قَاتِلِكَ بِالْقِصَاصِ.

ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ

مَنْ قَنَعَ اسْتَرَاحَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَ اسْتَطَالَ عَلَى أَقْرَانِهِ.

و أنشدوا و أحسن بالفتى من يوم عار ينال به الغنى كرم و جوع

وَرَأَى رَجُلًا حَكِيمًا يَأْكُلُ مَا تَسَاقَطَ مِنَ الْبَقْلِ عَلَى رَأْسِ الْمَاءِ فَقَالَ لَهُ لَوْ خَدَمْتَ السُّلْطَانَ لَمْ تَحْتَاجِ إِلَى أَكْلِ هَذَا فَقَالَ وَ أَنْتَ لَوْ قَنِعْتَ بِهَذَا لَمْ تَحْتَاجِ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانَ.

وَقِيلَ الْعُقَابُ عَزِيزٌ فِي مَطَارِهِ لَا تَسْمُو إِلَيْهِ مَطَامِعُ الصَّيَادِينَ فَإِذَا طَمَعَ فِي جِيفِهِ عَلِقَتْ عَلَى حِيَالِهِ نَزَلَ مِنْ مَطَارِهِ فَانْشَبَ فِي الْأُخْبُولِ.

وَقِيلَ لَمَّا نَطَقَ مُوسَى بِعَذْرِ الطَّمَعِ فَقَالَ لَوْ شِئْتُمْ لَاتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا (١) قَالَ لَهُ الْخَضِرُ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ (٢). و فسر بعضهم قوله هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي (٣) فقال مقاما في القناعه لا يبلغه أحد.

و منها التوكل قال الله تعالى وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (٤)

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَوَّلُ مَقَامٍ فِي التَّوَكُّلِ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيْ الْغَاسِلِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ لَا يَكُونُ لَهُ حَرَكَهٌ وَلَا تَدْبِيرٌ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِحَاتِمِ الْأَصَمِّ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ فَقَالَ وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٥).

و قال أصحاب هذا الشأن التوكل بالقلب و ليس ينافيه الحركه بالجسد بعد أن يتحقق العبد أن التقدير من الله فإن تعسر شيء فبتقديره و إن تسهل فبتيسيره.

١- (١) سورة الكهف ٧٧،٧٨.

٢- (١) سورة الكهف ٧٧،٧٨.

٣- (٣) سورة الطلاق ٣.

٤- (٤) سورة المنافقون ٧.

٢٨١٠

١٤- فِي الْخَبْرِ النَّبَوِيِّ أَنَّهُ ع قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ الَّذِي تَرَكَ نَافَتَهُ مُهْمَلَةً فَنَدَّتْ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ قَالَ تَوَكَّلْتُ فَتَرَكَتُهَا فَقَالَ ع اِعْقِلْ وَ تَوَكَّلْ .

٢٨١١

وَقَالَ ذُو النُّونِ التَّوَكَّلُ الْإِنْخِلَاعُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَ تَرَكَ تَدْيِيرِ الْأَسْبَابِ.

٢٨١٢

وَقَالَ بَعْضُهُمْ التَّوَكَّلُ رُدُّ الْعَيْشِ إِلَى يَوْمٍ وَاحِدٍ يَأْسِقَاطِ هَمِّ غَدٍ.

٢٨١٣

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ التَّوَكَّلُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ التَّوَكَّلُ وَهُوَ أَذْنَاهَا ثُمَّ التَّسْلِيمُ ثُمَّ التَّفْوِيضُ فَالْأُولَى لِلْعَوَامِّ وَ الثَّانِيَةُ لِلْخَوَاصِّ وَ الثَّلَاثَةُ لِلْخَوَاصِّ الْخَوَاصِّ.

٢٨١٤

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الشَّيْخِيِّ يَشْكُو إِلَيْهِ كَثْرَةَ الْعِيَالِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ فَمَنْ وَجَدْتَ مِنْهُمْ لَيْسَ رِزْقُهُ عَلَى اللَّهِ فَأَخْرِجْهُ مِنَ الْبَيْتِ.

٢٨١٥

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَنْ طَعَنَ فِي التَّوَكَّلِ فَقَطَّ طَعَنَ فِي الْإِيمَانِ وَ مَنْ طَعَنَ فِي الْحَرَكَهِ فَقَدْ طَعَنَ فِي السُّنَنِ.

٢٨١٦

وَ كَانَ يُقَالُ الْمُتَوَكَّلُ كَالطُّفْلِ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً يَأْوِي إِلَيْهِ إِلَّا تَدَى أُمِّهِ كَذَلِكَ الْمُتَوَكَّلُ لَا يَهْتَدِي إِلَّا إِلَى رَبِّهِ.

٢٨١٧

وَ رَأَى أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رَجُلًا بِمَكَّةَ لَا يَتَنَاوَلُ شَيْئاً إِلَّا شَرِبَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ فَمَضَتْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا أَرَأَيْتَ لَوْ غَارَتْ -أَيُّ زَمْزَمَ- أَى شَيْءٍ كُنْتُ تَشْرَبُ فَقَامَ وَ قَبَلَ رَأْسَهُ وَ قَالَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا حَيْثُ أَرَشَدْتَنِي فَإِنِّي كُنْتُ أَعْبُدُ زَمْزَمَ مُنْذُ أَيَّامٍ ثُمَّ تَرَكَهُ وَ مَضَى.

٢٨١٨



وَ قِيلَ التَّوَكَّلْ نَفَى الشُّكُوكِ وَ التَّفْوِضُ إِلَى مَالِكِ الْمُلُوكِ.

٢٨١٩

وَ دَخَلَ جَمَاعَهُ عَلَى الْجَنَيْدِ فَقَالُوا نَطْلُبُ الرِّزْقَ قَالَ إِنْ عَلِمْتُمْ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ هُوَ فَاطْبُوهُ قَالُوا فَنَسَأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ قَالَ إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ يَنْسَأُكُمْ فَذَكِّرُوهُ قَالُوا لِنَدْخُلُ الْبَيْتَ فَتَوَكَّلْ قَالَ التَّجْرِبَةُ شُكٌّ قَالُوا فَمَا الْحِيلَةُ قَالَ تَرْكُ الْحِيلَةِ.

ص: ٢٠١

وَقِيلَ التَّوَكَّلْ بِاللَّهِ وَ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

و منها الشكر و قد تقدم منا ذكر كثير مما قيل فيه .

و منها اليقين و هو مقام جليل قال الله تعالى وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (١) و

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع

لَوْ كَشِفَ الْغَطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا .

وَ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الْيَقِينِ وَ فِيهِ شَكْوَى إِلَى غَيْرِ اللَّهِ .

و

١٤- ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ص مَا يُقَالُ عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ع أَنَّهُ مَشَى عَلَى الْمَاءِ فَقَالَ لَوْ ازْدَادَ يَقِينًا لَمَشَى عَلَى الْهَوَاءِ .

و

فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ عَنْهُ ص أَنَّهُ قَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لَا تُرْضَيْنِ أَحَدًا بِسَخَطِ اللَّهِ وَ لَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ اللَّهِ وَ لَا تَذْمَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ وَ اعْلَمْ أَنَّ الرِّزْقَ لَا يَسُوقُهُ حِرْصٌ وَ لَا يَرُدُّهُ كَرَاهَةٌ كَارِهِ وَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرُّوحَ وَ الْفَرْجَ فِي الرِّضَا وَ الْيَقِينِ وَ جَعَلَ الْهَمَّ وَ الْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَ السَّخَطِ .

و منها الصبر قال الله تعالى وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ (٢) و

قَالَ عَلِيُّ ع

الْصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ .

وَسئِلَ الْفُضَيْلُ عَنِ الصَّبْرِ قَالَ تَجْرُعُ الْمَرَارَةُ مِنْ غَيْرِ تَعْبِيسٍ.

وَقَالَ رُوَيْمٌ الصَّبْرُ تَرْكُ الشَّكْوَى.

---

١-١) سورة البقره ٤.

٢-٢) سورة النحل ١٢٧.

قَالَ عَلِيُّ ع

الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى الشَّيْطَانِ فَقَالَ أَيُّ صَبْرٍ أَشَدُّ عَلَى الصَّابِرِينَ قَالَ الشَّيْطَانُ الصَّبْرُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَا قَالَ فَالصَّبْرُ لِلَّهِ فَقَالَ لَا قَالَ فَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَا قَالَ فَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ الصَّبْرُ عَنِ اللَّهِ فَصَرَخَ الشَّيْطَانُ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَوَقَعَ .

وَ يُقَالُ إِنَّ الشَّيْطَانَ حُبَسَ فِي الْمَارِسَاتَانِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا مُجْبُوكَ جِنَّاكَ زَائِرِينَ فَرَمَاهُمْ بِالْحِجَارَةِ فَهَرَبُوا فَقَالَ لَوْ كُنْتُمْ أَحِبَّائِي لَصَبَرْتُمْ عَلَيَّ بِلَائِي . وَ

جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْنِي مَا يَتَحَمَّلُ الْمُتَحَمِّلُونَ مِنْ أَجْلِي .

وَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَوْ كَانَ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بَعِيرَيْنِ لَمْ أَبَالِ أَيُّهُمَا رَكِبْتُ .

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الْإِيمَانُ الصَّبْرُ وَالسَّخَاءُ .

فِي الْخَبَرِ الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ وَالْعَمَلُ قَاتِلُهُ وَالرَّفْقُ وَالِئْدَةُ وَالْجَبْرُ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ قَالُوا فَنَاهَيْكَ بِشَرَفِ خَصِيْلِهِ تَتَأَمَّرُ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الثَّبَاتَ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ وَاسْتِدَامَةَ التَّحَلُّقِ بِهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالصَّبْرِ

فَلذَلِكَ كَانَ أَمِيرَ الْجُنُودِ.

و منها المراقبه

٢٨٣٥

١٤- جَاءَ فِي الْخَبْرِ عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ فَقَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ .

و هذه إشاره إلى حال المراقبه لأن المراقبه علم العبد باطلاع الرب عليه فاستداه العبد لهذا العلم مراقبه للحق و هو أصل كل خير و لا يكاد يصل (١) إلى هذه الرتبه إلا بعد فراغه عن المحاسبه فإذا حاسب نفسه على ما سلف و أصلح حاله في الوقت

ص: ٢٠٣

---

(١-١) كذا في ا، و في ب: «يوصل».

و لازلزم طريق الحق و أحسن بينه و بين الله تعالى بمراعاة القلب و حفظ مع الله سبحانه الأنفاس راقبه تعالى فى عموم أحواله  
فيتعلم أنه تعالى رقيب عليه يعلم أحواله و يرى أفعاله و يسمع أقواله و من تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بدايه الوصله  
فكيف عن حقائق القربه.

٢٨٣٦

وَ يُحْكِي أَنَّ مَلِكًا كَانَ يَتَحَطَّى جَارِيَةً لَهُ وَ كَانَ لَوَزِيرِهِ مَيْلٌ بَاطِنٌ إِلَيْهَا فَكَانَ يَسْعَى فِي مَصَالِحِهَا وَ يُرْجِحُ جَانِبَهَا عَلَى جَانِبِ غَيْرِهَا  
مِنْ حَطَايَا الْمَلِكِ وَ نِسَائِهِ فَاتَّفَقَ أَنْ عَرَضَ عَلَيْهَا الْمَلِكُ حَجْرَيْنِ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ أَحَدُهُمَا أَنْفَسُ مِنَ الْآخَرِ بِمَحْضَرٍ مِنْ وَزِيرِهِ  
فَتَحَيَّرَتْ أَيُّهُمَا تَأْخُذُ فَأَوْمِئاً الْوَزِيرُ بِعَيْنِهِ إِلَى الْحَجْرِ الْأَنْفَسِ وَ حَانَتْ مِنَ الْمَلِكِ التِّفَاتَةَ فَشَاهِدَ عَيْنَ الْوَزِيرِ وَ هِيَ مَائِلَةٌ إِلَى ذَلِكَ  
الْجَانِبِ فَبَقِيَ الْوَزِيرُ بَعْدَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَرَاهُ الْمَلِكُ قَطُّ إِلَّا كَاسْتِرَاءٍ عَيْنَهُ نَحْوَ الْجَانِبِ الَّذِي كَانَ طَرَفُهُ مَائِلًا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أُنَى  
كَانَ (١) ذَلِكَ خَلْقَهُ. و هذا عزم قوى فى المراقبه و مثله فليكن حال من يريد الوصول.

٢٨٣٧

وَ يُحْكِي أَيْضًا أَنَّ أَمِيرًا كَانَ لَهُ غُلَامٌ يُقْبَلُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ إِقْبَالِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ مَمَالِكِهِ وَ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ قِيمَةً وَ لَا أَحْسَنَهُمْ صُورَةً  
فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَأَحَبُّ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ فَضْلَ الْغُلَامِ فِي الْخِدْمَةِ عَلَى غَيْرِهِ فَكَانَ يَوْمًا رَاكِبًا وَ مَعَهُ حَشْمُهُ وَ بِالْبُعِيدِ مِنْهُمْ جَبَلٌ عَلَيْهِ  
تَلْجُجٌ فَنَظَرَ الْأَمِيرُ إِلَى التَّلْجِجِ وَ أَطْرَقَ فَرَكَضَ الْغُلَامُ فَرَسَهُ وَ لَمْ يَعْلَمْ الْعُلَمَانُ لِمَاذَا رَكَضَ فَلَمْ يَلْتَبُثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى جَاءَ وَ مَعَهُ شَيْءٌ  
مِنَ التَّلْجِجِ فَقَالَ الْأَمِيرُ مَا أَذْرَاكَ أَنِّي أَرَدْتُ التَّلْجِجَ فَقَالَ إِنَّكَ نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَ نَظَرَ السُّلْطَانُ إِلَى شَيْءٍ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ قَصْدٍ فَقَالَ الْأَمِيرُ  
لِغُلَامَانِهِ إِنَّمَا أَخْتَصُّهُ بِإِكْرَامِي وَ إِقْبَالِي لِأَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شُغْلًا وَ شُغْلُهُ مَرَاعَاهُ لِحَطَاتِي وَ مَرَاقَبَهُ أَحْوَالِي.

ص: ٢٠٤

(١ - ١) ب: «أن».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي خَوَاطِرِهِ عَصَمَهُ اللَّهُ فِي جَوَارِحِهِ.

و منها الرضا و هو أن يرضى العبد بالشدائد و المصائب التي يقضيها الله تعالى عليه و ليس المراد بالرضا رضا العبد بالمعاصي و الفواحش أو نسبتها إلى الرب تعالى عنها فإنه سبحانه لا يرضاها كما قال جل جلاله **وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ (١)**.

و قال كُلُّ ذَلِكُ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٢).

قَالَ رُوَيْمُ الرِّضَا أَنْ لَوْ أَدْخَلَكَ جَهَنَّمَ لَمَا سَخِطْتَ عَلَيْهِ.

و قِيلَ لِبَعْضِهِمْ مَتَى يَكُونُ الْعَبْدُ رَاضِيًا قَالَ إِذَا سَرَّتْهُ الْمُصِيبَةُ كَمَا سَرَّتْهُ النُّعْمَةُ.

قَالَ الشَّيْبِيُّ مَرَّةً وَ الْجَنَيْدُ حَاضِرٌ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ الْجَنَيْدُ أَرَى أَنَّ قَوْلَكَ هَذَا ضَيْقُ صَدْرٍ وَ ضَيْقُ الصَّدْرِ يَجِيءُ مِنْ تَوَكُّرِ الرِّضَا بِالْفَضَاءِ.

و قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَنِيُّ الرِّضَا أَلَّا تَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَ لَا تَسْتَعِيدَ بِهِ مِنَ النَّارِ .

و قال تعالى فيمن سخط قسمته و منهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا و إن لم يعطوا منها إذا هم يشخطون (٣).

ثم نبه على ما حرموه من فضيله الرضا فقال و لو أنهم رضوا ما آتاهم الله و رسوله و قالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و رسوله إنا إلى الله راغبون (٤) و جواب لو هاهنا محذوف لفهم المخاطب و علمه به.

١-١ (١) سورة الزمر ٧.

٢-٢ (٢) سورة الإسراء ٣٨.

٣-٣ (٣) سورة التوبة ٥٨، ٥٩.

٣-٤ (٤) سورة التوبة ٥٨، ٥٩.

و فى حذفه فائده لطيفه و هو أن تقديره لرضى الله عنهم و لما كان رضاه عن عباده مقاما جليلا جدا حذف ذكره لان الذكر له لا ينبى عن كنهه و حقيقه فضله فكان الإضراب عن ذكره أبلغ فى تعظيم مقامه.

و

٢٨٤٣

مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَرْفُوعَةِ أَنَّهُ ص قَالَ  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ .

قالوا إنما قال بعد القضاء لأن الرضا قبل القضاء لا يتصور و إنما يتصور توطين النفس عليه و إنما يتحقق الرضا بالشيء بعد وقوع ذلك الشيء.

و

٢٨٤٤

فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ يُوصِيهِ اعْمَلْ لِلَّهِ بِالْيَقِينِ وَ الرِّضَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَاصْبِرْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا.

و

٢٨٤٥

١٤- فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ص رَأَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَجْهَدَهُ الْمَرَضُ وَ الْحَاجَةُ فَقَالَ مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى قَالَ الْمَرَضُ وَ الْحَاجَةُ قَالَ أَوْ لَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِنْ أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكَ مَا بِكَ قَالَ وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَسْرُنِي بِحَظِّي مِنْهُمَا أَنْ شَهِدْتُ مَعَكَ بَدْرًا وَ الْحَدِيثِيَّ فَقَالَ ص وَ هَلْ لِأَهْلِ بَدْرِ وَ الْحَدِيثِيَّ مَا لِلرَّاضِي وَ الْقَانِعِ .

٢٨٤٦

وَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ذُرْوَةُ الْإِيْمَانِ الصَّبْرُ وَ الرِّضَا.

٢٨٤٧

قَدِمَ سَيِّدُ بَنِي أَبِي وَقَّاصٍ مَكَّةَ بَعِيدَ مَا كُفَّ بَصِيرُهُ فَانْتَالَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ الدُّعَاءَ لَهُمْ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ يَا عَمَّ إِنَّكَ تَدْعُو لِلنَّاسِ فَيَسْتَجَابُ لَكَ هَلَّا دَعَوْتَ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْكَ بَصْرُكَ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصْرِي.



عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُورٌ إِلَّا فِي مَوَاقِعِ الْقَدْرِ.

وَكَانَ يُقَالُ الرَّضَا طَرَا حُ الْإِفْتِرَاحِ عَلَى الْعَالِمِ بِالصَّلَاحِ.

وَكَانَ يُقَالُ إِذَا كَانَ الْقَدْرُ حَقًّا كَانَ سَخَطُهُ حُمَقًا.

وَ كَانَ يُقَالُ مَنْ رَضِيَ حَظِي وَمَنِ اطَّرَحَ الْإِقْتِرَاحَ أَفْلَحَ وَ اسْتَرَاخَ.

وَ كَانَ يُقَالُ كُنْ بِالرِّضَا عَامِلًا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَعْمُولًا وَ سِرِّ إِلَيْهِ عَادِلًا وَ إِلَّا سِرَّتْ نَحْوَهُ مَعْدُولًا.

وَ قِيلَ لِلْحَسَنِ مَنْ أَيْنَ أُتِيَ الْخَلْقُ قَالِ مَنْ قَلَهُ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ فَقِيلَ وَ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ قَلَهُ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ قَالِ مَنْ قَلَهُ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ.

وَ قَالَ صَاحِبُ (١) سُلُوَانِ الْمَطَاعِ فِي الرِّضَا (٢)

يَا مَفْرَعِي فِيمَا يَجِيءُ

وَ قَالَ أَيْضًا (٣) كُنْ مِنْ مُدَبَّرِكَ الْحَكِيمِ وَ قَالَ أَيْضًا (٤) يَا مَنْ يَرَى حَالِي وَ أَنْ لَيْسَ لِي

ص: ٢٠٧

١-١) هو شمس الدين أبو عبد الله عبد الله محمد بن محمد بن ظفر المكي، المتوفى سنة ٥٦٥هـ.

٢-٢) سلوان المطاع ص ٦٦.

٣-٣) سلوان المطاع ص ٦٦.

٤-٤) سلوان المطاع ص ٦٦، ٦٧.

و منها العبوديه و هي أمر وراء العباده معناها التعبد و التذلل قالوا العباده للعوام من المؤمنين و العبوديه للخواص من السالكين.

٢٨٥٥

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ العِبَادَةُ لِمَنْ لَهُ عِلْمُ اليَقِينِ وَ العُبودِيَّةُ لِمَنْ لَهُ عَيْنُ اليَقِينِ.

٢٨٥٦

وَ سُئِلَ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيْفٍ مَتَى تَصِحُّ العُبودِيَّةُ فَقَالَ إِذَا طَرَحَ كَلَّهُ عَلَى مَوْلَاهُ وَ صَبَرَ مَعَهُ عَلَى بُلُوَاهُ.

٢٨٥٧

وَ قَالَ بَعْضُهُم العُبودِيَّةُ مُعَانَقُهُ مَا أَمَرَتْ بِهِ وَ مُفَارَقُهُ مَا زُجِرَتْ عَنْهُ.

٢٨٥٨

وَ قِيلَ العُبودِيَّةُ أَنْ تُسَلِّمَ إِلَيْهِ كَلِّكَ وَ تَحْمِلَ عَلَيْهِ كَلِّكَ.

و

٢٨٥٩

فِي الحَدِيثِ المَرْفُوعِ تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَ تَعَسَّ عَبْدُ الخَبِيصِ.

٢٨٦٠

رَأَى أَبُو يَزِيدَ البُسْطَامِيُّ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ مَا حِرْفَتُكَ قَالَ خَرَّبْتَهُ قَالَ أَمَاتَ اللَّهُ حِمَارَكَ لِتُكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ لَا عَبْدًا لِلْحِمَارِ.

٢٨٦١

وَ كَانَ بَبْغَدَادَ فِي رِبَاطِ شَيْخِ الشُّيُوخِ صُوفِيٍّ كَبِيرٍ اللُّحِيهِ جِدًّا وَ كَانَ مُعْرَى وَ مَعْنَى بِهَا أَكْثَرُ زَمَانِهِ يُدْهِنُهَا وَ يَسْرَحُهَا وَ يَجْعَلُهَا لَيْلًا عِنْدَ نَوْمِهِ فِي كَيْسٍ فَقَامَ بَعْضُ المُرِيدِينَ إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ وَ هُوَ نَائِمٌ فَقَصَّصَهَا مِنَ الأُذُنِ إِلَى الأُذُنِ فَأَصْبَحَ الصُّوفِيُّ شَاكِيًا إِلَى شَيْخِ الرِّبَاطِ فَجَمَعَ الصُّوفِيَّةَ وَ سَأَلَهُمْ فَقَالَ المُرِيدُ أَنَا قَصَّصْتُهَا قَالَ وَ كَيْفَ فَعَلْتَ وَ يَلِكُ ذَلِكَ قَالَ أَيُّهَا الشَّيْخُ إِنَّهَا كَانَتْ صَنْمَهُ وَ كَانَ يَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَانْكُرْتَ ذَلِكَ بِقَلْبِي وَ أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ عَبْدًا لِلَّهِ لَا عَبْدًا لِلْحِيهِ.

قالوا و ليس شىء أشرف من العبوديه و لا- اسم أتم للمؤمن من اسمه بالعبوديه و لذلك قال سبحانه فى ذكر النبى ص ليله المعراج و كان ذلك الوقت أشرف أوقاته فى الدنيا سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا (١) و قال تعالى فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ (٢) فلو كان اسم أجل من العبوديه لسماه به.

و أنشدوا لا تدعنى إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائى و منها الإراده قال تعالى وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (٣) .

قالوا الإراده هى بدء طريق السالكين و هى اسم لأول منازل القاصدين إلى الله و إنما سميت هذه الصفه إرادته لأن الإراده مقدمه كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله فلما كان هذا الشأن أول الأمر لمن يسلك طريق الله سمي إرادته تشبيهاً له بالقصد إلى الأمور التى هو مقدمتها.

قالوا و المرید على موجب الاشتقاق من له إرادته و لكن المرید فى هذا الاصطلاح من لا- إرادته له فما لم يتجرد عن إرادته لا يكون مریدا كما أن من لا إرادته له على موجب الاشتقاق لا يكون مریدا.

و قد اختلفوا فى العبارات الداله على ماهيه الإراده فى اصطلاحهم فقال بعضهم الإراده ترك ما عليه العاده و عاده الناس فى الغالب التعرّيج على أوطان الغفله

ص: ٢٠٩

١-١) سورة الإسراء ١.

١٠-٢) سورة النجم ١٠.

٥٢-٣) سورة الأنعام ٥٢.

و الركون إلى اتباع الشهوه و الإخلاد إلى ما دعت إليه المنيه و المرید هو المنسلخ عن هذه الجملة.

و قال بعضهم الإراده نهوض القلب فى طلب الرب و لهذا

٢٨٤٢

قِيلَ إِنَّهَا لَوْعَةٌ تَهْوُنُ كُلَّ رَوْعَةٍ.

٢٨٤٣

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ الْإِرَادَةُ لَوْعَةٌ فِي الْفُؤَادِ وَ لَذَعَةٌ فِي الْقَلْبِ وَ غَرَامٌ فِي الضَّمِيرِ وَ انزِعَاجٌ فِي الْبَاطِنِ وَ نِيرَانٌ تَأَجَّجٌ فِي الْقُلُوبِ.

٢٨٤٤

وَ قَالَ مِمَشَاذُ الدِّينَوْرِيِّ مُدَّ عَلِمْتُ أَنَّ أَحْوَالَ الْفُقَرَاءِ جِدُّ كُلِّهَا لَمْ أَمَارِخُ فَقِيرًا وَ ذَلِكَ أَنَّ فَقِيرًا قَدِيمَ عَلَيٍّ فَقَالَ أَيُّهَا الشَّيْخُ أُرِيدُ أَنْ تَتَّخِذَ لِي عَصِيَّةَ يَدِهِ فَجَرَى عَلَيٌّ لِسَانِي إِرَادَةً وَ عَصِيَّةَ فَتَأَخَّرَ الْفَقِيرُ وَ لَمْ أَشْعُرْ فَأَمَرْتُ بِاتِّخَاذِ عَصِيْدِهِ وَ طَلَبْتُهُ فَلَمْ أَجِدْهُ فَتَعَرَّفْتُ حَبْرَهُ فَقِيلَ إِنَّهُ انصِرَفَ مِنْ قُورِهِ وَ هُوَ يَقُولُ إِرَادَةً وَ عَصِيَّةَ يَدِهِ إِرَادَةً وَ عَصِيَّةَ يَدِهِ وَ هَامَ عَلَيٌّ وَ جَهَّهَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْبَادِيَةِ وَ هُوَ يُكْرَرُ هَيْدَهُ الْكَلِمَةَ فَمَا زَالَ يَقُولُ وَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى مَاتَ.

٢٨٤٥

وَ حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ كُنْتُ بِالْبَادِيَةِ وَ حَدِي فَصَاقَ صَدْرِي فَصَحْتُ يَا إِنْسُ كَلِّمُونِي يَا جِنُّ كَلِّمُونِي فَهَتَفَ هَاتِفٌ أَيُّ شَيْءٍ نَادَيْتَ فَقُلْتُ اللَّهُ فَقَالَ الْهَاتِفُ كَذَبْتَ لَوْ أَرَدْتَهُ لَمَا نَادَيْتَ الْإِنْسَ وَ لَا الْجِنَّ.

فالمرید هو الذى لا- يشغله عن الله شىء و لا- يفتر آناء الليل و أطراف النهار فهو فى الظاهر بنعت المجاهدات و فى الباطن بوصف المكابدات فارق الفراش و لانزم الانكماش و تحمل المصاعب و ركب المتاعب و عالج الأخلاق و مارس المشاق و عائق الأهوال و فارق الأشكال فهو كما قيل ثم قطعت الليل فى مهمه لا أسدا أخشى و لا ذيبا

ص: ٢١٠

يغلبني شوقى فأطوى السرى

و لم يزل ذو الشوق مغلوبا

وقيل من صفات المريدين التحبب إليه بالتوكل والإخلاص فى نصيحة الأمة و الأئس بالخلوه و الصبر على مقاساه الأحكام و الإيثار لأمره و الحياء من نظره و بذل المجهود فى محبته و التعرض لكل سبب يوصل إليه و القناعه بالخمول و عدم الفرار من القلب إلى أن يصل إلى الرب.

و قال بعضهم آفه المريد ثلاثه أشياء التزويج و كتبه الحديث و الأسفار.

و قيل من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثه أشياء نومه غلبه و أكله فاقه و كلامه ضروره.

و قال بعضهم نهايه الإراده أن يشير إلى الله فيجده مع الإشاره فليل له و أى شىء يستوعب الإراده فقال أن يجد الله بلا إشاره.

٢٨٤٤

وَ سِئَلِ الْجَنِيْدُ مَا لِلْمُرِيْدِيْنَ وَ سَمَاعِ الْقِصَصِ وَ الْحِكَايَاتِ فَقَالَ الْحِكَايَاتُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ تَعَالَى يُقَوِّى بِهَا قُلُوبَ الْمُرِيْدِيْنَ فَقِيلَ لَهُ هَلْ فِي ذَلِكَ شَاهِدٌ فَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فَوَادَكَ (١).

و قال أصحاب الطريقه بين المريد و المراد فرق فالمريد من سلك الرياضه طلبا للوصول و المراد من فاضت عليه العنايه الإلهيه ابتداء فكان مخاطوبا لا خاطبا و بين الخاطب و المخطوب فرق عظيم.

قالوا كان موسى ع مريدا قال رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢) و كان محمد ص مرادا قال له أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (٣) و

٢٨٤٧

سِئَلِ الْجَنِيْدُ عَن

ص: ٢١١

١-١) سورة هود ١٢٠.

٢-٢) سورة طه ٢٥.

٣-٣) سورة الشرح ١.

أَرْسَلَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيَّ رَجُلًا إِلَى أَبِي يَزِيدَ وَ قَالَ لَهُ إِلَى مَتَى النَّوْمُ وَ الرَّاحَةُ قَدْ سَارَتِ الْقَافِلَةُ فَقَالَ لَهُ أَبُو يَزِيدَ قُلْ لِأَخِي الرَّجُلُ مَنْ يَنَامُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ثُمَّ يُصْبِحُ فِي الْمَنْزِلِ قَبْلَ الْقَافِلَةِ فَقَالَ ذُو النُّونِ هَنِئًا لَهُ هَذَا الْكَلَامُ لَا تَبْلُغُهُ أَحْوَالُنَا.

و قد تكلم الحكماء فى هذا المقام فقال أبو على بن سينا فى كتاب الإشارات أول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الإرادة و هو ما يعترى المستبصر باليقين البرهانى أو الساكن النفس إلى العقد الإيمانى من الرغبة فى اعتلاق العروه الوثقى فيتحرك سره إلى القدس لينال من روح الاتصال فما دامت درجته هذه فهو مرید.

ثم إنه لىحتاج إلى الرياضه و الرياضه موجهه إلى ثلاثه أغراض الأول تنحيه ما دون الحق عن سنن الإيثار.

و الثانى تطويع النفس الأماره للنفس المطمئنه لتجذب قوى التخيل و الوهم إلى التوهامات المناسبه للأمر القدسى منصرفه من التوهامات المناسبه للأمر السفلى.

و الثالث تلطيف السر لنفسه.

فالأول يعين عليه الزهد الحقيقى و الثانى يعين عليه عده أشياء العباده المشفوعه بالفكره ثم الألحان المستخدمه لقوى النفس الموقعه لما لحن بها من الكلام موقع القبول من الأوهام ثم نفس الكلام الواعظ من قائل ذكى بعباره بليغه و نغمه رخيمه و سمت رشيد و الثالث يعين عليه الفكر اللطيف و العشق العفيف الذى تتأمر فيه شمائل المعشوق دون سلطان الشهوه.

و منها الاستقامه و حقيقتها الدوام و الاستمرار على الحال قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا (١).

و سئل بعضهم عن تارك الاستقامه فقال قد ذكر الله ذلك في كتابه فقال وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثٍ (٢) و

٢٨٦٩

١٤- فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ شَيْئِي هُوَ فِقِيلٌ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ قَوْلُهُ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ (٣).

و قال تعالى وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (٤) فلم يقل سقيناهم بل أسقيناهم أى جعلنا لهم سقيا دائمه و ذلك لأن من دام على الخدمه دامت عليه النعمه.

و منها الإخلاص و هو أفراد الحق خاصه فى الطاعه بالقصد و التقرب إليه بذلك خاصه من غير رياء و من غير أن يمازحه شىء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمده بين الناس أو محبه مدح أو معنى من المعانى و لذلك قال أرباب هذا الفن الإخلاص تصفيه العمل عن ملاحظه المخلوقين.

٢٨٧٠

وَ قَالَ الْخَوَاصُّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ نُقْصَانٌ كُلُّ مُخْلِصٍ فِي إِخْلَاصِهِ رُؤْيُهُ إِخْلَاصِهِ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُخْلِصَ إِخْلَاصَ عَبْدٍ أَشَقَطَ عَنْ إِخْلَاصِهِ رُؤْيَتَهُ لِإِخْلَاصِهِ فَيَكُونُ مُخْلِصًا لَا مُخْلِصًا.

و

٢٨٧١

جَاءَ فِي الْأَثَرِ عَنْ مَكْحُولٍ مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ.

ص: ٢١٣

١-١) سورة فصلت ٣٠.

٢-٢) سورة النحل ٩٢.

٣-٣) سورة هود ١١٢.

٤-٤) سورة الجن ١٦.



و منها الصدق و يطلق على معينين تجنب الكذب و تجنب الرياء و قد تقدم القول فيهما.

و منها الحياء و

٢٨٧٢

فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.

و

٢٨٧٣

فِي الْحَدِيثِ أَيْضاً الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ.

و قال تعالى أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى <sup>□</sup> <sup>□</sup> (١) قالوا معناه أ لم يستحي.

و

٢٨٧٤

١٤- فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالُوا إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَ نَحْمَدُ اللَّهَ قَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ مِنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَ مَا وَعَى وَ الْبَطْنَ وَ مَا حَوَى وَ لِيَذْكَرِ الْمَوْتَ وَ طُولَ الْبَلَى وَ لِيَشْرُكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ .

٢٨٧٥

وَ قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ الْعِلْمُ الْأَكْبَرُ الْهَيْبَةُ وَ الْحَيَاءُ فَإِذَا ذَهَبَا لَمْ يَبْقَ خَيْرٌ.

٢٨٧٦

وَ قَالَ ذُو النُّونِ الْحُبُّ يُنْطِقُ وَ الْحَيَاءُ يُسْكِتُ وَ الْخَوْفُ يُقْلِقُ.

٢٨٧٧

وَ قَالَ السَّرِيُّ الْحَيَاءُ وَ الْأَنْسُ يَطْرُقَانِ الْقَلْبَ فَإِنْ وَجَدَا فِيهِ الرَّهْدَ وَ الْوَرَعَ حَطَّ وَ إِلَّا رَحَلَ.

٢٨٧٨

وَ كَانَ يُعْمَلُ تَعَامِلَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّاسِ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالدِّينِ حَتَّى رَقَّ الدِّينُ ثُمَّ تَعَامَلَ الْقَرْنُ الثَّانِي بِالْوَفَاءِ حَتَّى ذَهَبَ الْوَفَاءُ ثُمَّ

تَعَامِلَ الْقُرُنُ الثَّلَاثُ بِالْمُرُوءِ حَتَّى فَيَتِي الْمُرُوءُ ثُمَّ تَعَامِلَ الْقُرُنُ الرَّابِعُ بِالْحَيَاءِ حَتَّى قَلَّ الْحَيَاءُ ثُمَّ صَارَ النَّاسُ يَتَعَامَلُونَ بِالرَّغْبَةِ وَ  
الرَّهْبَةِ.

ص: ٢١٤

---

١-١) سورة العلق ١٤.

وَ قَالَ الْفُضَيْلُ حَمْسٌ مِنْ عِلَامَاتِ الشَّقَاءِ الْقِسْوَةُ فِي الْقَلْبِ وَ جُمُودُ الْعَيْنِ وَ قَلَّةُ الْحَيَاءِ وَ الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَ طُولُ الْأَمَلِ.

وَ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ (١) أَنَّهَا كَانَتْ لَهَا صَنَمٌ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ فَمَضَتْ فَأَلْقَتْ عَلَى وَجْهِهِ ثَوْبًا فَقَالَ يُوسُفُ مَا هَذَا قَالَتْ أَسْتَحْيِي مِنْهُ قَالَ فَأَنَا أَوْلَى أَنْ أَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ.

و

فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ مَا أَنْصَفَنِي عَبْدِي يَدْعُونِي فَأَسْتَحْيِي أَنْ أُرُدَّهُ وَ يَعْصِينِي وَ أَنَا أَرَاهُ فَلَا يَسْتَحْيِي مِنِّي.

و منها الحرية و هو ألا يكون الإنسان بقلبه رق شيء من المخلوقات لا من أغراض الدنيا و لا من أغراض الآخرة فيكون فردا لفرد لا يسترقه عاجل دنيا و لا آجل منى و لا حاصل هوى و لا سؤال و لا قصد و لا أرب.

١٤- قَالَ لَهُ ص بَعْضُ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ قَدْ عَزَفْتُ نَفْسِي يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الدُّنْيَا فَاسْتَوَى عِنْدِي ذَهَبُهَا وَ حَجَرُهَا قَالَ صِرْتَ حُرًّا.

وَ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لَوْ صَحَّتْ صَلَاةٌ بَعْدَ قُرْآنٍ لَصَحَّتْ بِهِذَا الْبَيْتِ أَتَمَّنِي (٢) عَلَى الزَّمَانِ مُحَالًا أَنْ تَرَى مُقْلَتَايَ طَلَعَهُ حُرًّا.

وَ سُئِلَ الْجَنَيْدُ عَمَّنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مِقْدَارُ مَصِّ نَوَاهِ فَقَالَ الْمَكَاتِبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دِرْهَمٌ.

وَ مِنْهَا الذِّكْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٣)

١-١) سورة يوسف ٢٤.

٢-٢) ب: «من الزمان»، و ما أثبتته من ا.

٣-٣) سورة الأحزاب ٤١.

٢٨٨٥

١٤- رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى قَالَ أَلَا أُتْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ خَالِقِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ مِنْ إِعْطَائِكُمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا مَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ذَكَرَ اللَّهُ .

٢٨٨٦

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ اللَّهُ اللَّهُ.

٢٨٨٧

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ الذُّكْرُ مَنْشُورُ الْوَلَايَةِ فَمَنْ وُقِّقَ لِلذُّكْرِ فَقَدْ أُعْطِيَ الْمَنْشُورَ وَ مَنْ سَلِبَ الذُّكْرَ فَقَدْ عَزَلَ.

٢٨٨٨

وَ قِيلَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ سَيْفُ الْمُرِيدِينَ بِهِ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُمْ وَ بِهِ يَدْفَعُونَ الْآفَاتِ الَّتِي تَقْصِدُهُمْ وَ إِنَّ الْبَلَاءَ إِذَا أَظَلَ الْعَبْدَ فَفَزِعَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ حَادٍ عَنْهُ كُلُّ مَا يَكْرَهُهُ.

٢٨٨٩

١٤- فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ إِذَا مَرَزْتُمْ بَرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا فِيهَا قِيلَ وَ مَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ قَالَ مَجَالِسُ الذُّكْرِ .

٢٨٩٠

فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي .

٢٨٩١

وَ سَمِعَ الشُّعْلِيَّ وَ هُوَ يُنْشِدُ ذَكَرْتُكَ لَا أَنِّي نَسَيْتُكَ لَمَحَّةً



و منها الفتوة قال سبحانه مخبرا عن أصحاب الأصنام قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (١).

و قال تعالى فى أصحاب الكهف إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاَهُمْ هُدًى (٢).

و قد اختلفوا فى التعبير عن الفتوة ما هى

٢٨٩٢

فَقَالَ بَعْضُهُمُ الْفُتُوَّةُ أَلَّا تَرَى لِنَفْسِكَ فَضْلًا عَلَى غَيْرِكَ.

٢٨٩٣

وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْفُتُوَّةُ الصَّنْفُحُ عَنْ عَنَرَاتِ الْإِخْوَانِ.

٢٨٩٤

١- وَ قَالُوا إِنَّمَا هَتَفَ الْمَلِكُ يَوْمَ أُحُدٍ بِقَوْلِهِ لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَ لَا فَتًى إِلَّا عَلِيٌّ .

لأنه كسر الأصنام فسُميَ بما سُميَ به أبوه إبراهيم الخليل حين كسرها و جعلها جدًا إذا

٢٨٩٥

قَالُوا وَ صَنِمٌ كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْسُهُ فَمَنْ خَالَفَ هَوَاهُ فَقَدْ كَسَرَ صَنِمَهُ فَاسْتَحَقَّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا لَفْظُ الْفُتُوَّةِ.

٢٨٩٦

وَ قَالَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ الْفُتُوَّةُ أَنْ تُنْصَفَ وَ لَا تُتَّصَفَ.

٢٨٩٧

وَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ سُئِلَ أَبِي عَنِ الْفُتُوَّةِ فَقَالَ تَرُكُ مَا تَهْوَى لِمَا تَخْشَى.

٢٨٩٨

وَ قِيلَ الْفُتُوَّةُ أَلَّا تَدَّخِرَ وَ لَا تَعْتَدِرَ.

٢٨٩٩

٦- سِيَالُ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ جَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ عَنِ الْفُتُوهِ فَقَالَ مَا تَقُولُ أَنْتَ قَالَتْ إِنَّ أُعْطِينَا شَكَرْنَا وَإِنْ مُنِعْنَا صَبَرْنَا قَالَ إِنَّ الْكِلَابَ عِنْدَنَا بِالْمَدِينَةِ هَذَا شَأْنُهَا وَ لَكِنْ قُلْ إِنَّ أُعْطِينَا آثَرْنَا وَإِنْ مُنِعْنَا شَكَرْنَا .

ص: ٢١٧

---

١-١) سورة الأنبياء ٦٠.

٢-٢) سورة الكهف ١٣.

و منها الفراسه قيل فى تفسير قوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (١) أى للمتفرسين و

٢٩٠٠

قَالَ النَّبِيُّ ص اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهَا لَا تُحْطَى.

٢٩٠١

قِيلَ الْفِرَاسَةُ سَوَاطِعُ أَنْوَارٍ لَمَعَتْ فِي الْقُلُوبِ حَتَّى شَهِدَتْ الْأَشْيَاءَ مِنْ حَيْثُ أَشْهَدَهَا الْحَقُّ إِيَّاهَا وَ كُلُّ مَنْ كَانَ أَقْوَى إِيمَانًا كَانَ أَشَدَّ فِرَاسَةً.

٢٩٠٢

وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا صَحَّتِ الْفِرَاسَةُ ارْتَقَى مِنْهَا صَاحِبُهَا إِلَى الْمَشَاهِدَةِ.

و منها حسن الخلق و هو من صفات العارفين فقد أثنى الله تعالى به على نبيه فقال وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٢) و

٢٩٠٣

١٤- قِيلَ لَهُ ص أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ إِيمَانًا فَقَالَ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَ بِالْخُلُقِ تَظْهَرُ جَوَاهِرُ الرَّجَالِ وَ الْإِنْسَانُ مَشْتُورٌ بِخُلُقِهِ مَشْهُورٌ بِخُلُقِهِ .

٢٩٠٤

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ حُسْنُ الْخُلُقِ اسْتِصْعَارٌ مَا مِنْكَ وَ اسْتِعْظَامٌ مَا إِلَيْكَ.

و

٢٩٠٥

قَالَ النَّبِيُّ ص إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ.

٢٩٠٦

قِيلَ لِدَى النَّوْنِ مَنْ أَكْبَرُ النَّاسِ هَمًّا قَالَ أَسْوَوْهُمْ خُلُقًا.

٢٩٠٧

وَ كَانَ يُقَالُ مَا تَخَلَّقَ أَحَدٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِخُلُقٍ إِلَّا صَارَ ذَلِكَ طَبِيعَةً فِيهِ.



قَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لِيَا بَكَ فَطَهَّرْهُ (٣) أَيْ وَ خُلِقَكَ فَحَسَّنْ.

شَتَمَ رَجُلٌ الْأَخْفَ بْنَ قَيْسٍ وَ جَعَلَ يَتَّبِعُهُ وَ يَشْتِمُهُ فَلَمَّا قَرَّبَ الْحَيَّ وَقَفَ وَ قَالَ يَا فَتَى إِنَّ كَانَ قَدْ بَقِيَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ فَقُلْهُ كَيْلًا  
يَسْمَعَكَ سُفَهَاءُ الْحَيِّ فَيَجِيبُوكَ.

١-١) سورة الحجر ٧٥.

٢-٢) سورة القلم ٤.

٣-٣) سورة المدثر ٤.

و يُقَالُ إِنَّ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ نَزَلَ دِجْلَهُ لِيَسْبَحَ وَ وَضَعَ ثِيَابَهُ وَ مُصْحَفَهُ فَبَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَاحْتَمَلَتْهُمَا فَتَبِعَهَا وَ قَالَ أَنَا مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ فَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَلَيْكَ ابْنُ يَفْرَأُ قَالَتْ لَا قَالَ أَفَلَيْكَ بَعْلُ قَالَتْ لَا قَالَ فَهَاتِي الْمُصْحَفَ وَ خُذِي الثِّيَابَ.

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ مَا آدَبَ الْخُلُقِ قَالَ مَا آدَبَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ فِي قَوْلِهِ خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١).

يُقَالُ إِنَّ فِي بَعْضِ كُتُبِ الثُّبُوتِ الْقَدِيمَةِ يَا عَبْدِي أَذْكَرْنِي حِينَ تَغْضَبُ أَذْكَرَكَ حِينَ أَغْضَبُ.

قَالَتِ امْرَأَةُ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ يَا مُرَائِي فَقَالَ لَقَدْ وَجَدْتِ اسْمِي الَّذِي أَضَلَّهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ وَ قَدْ سُئِلَ عَنْ غُلَامٍ سُوءٍ لَهُ لِمَ يُمْسِكُهُ قَالَ آتَعَلَّمُ عَلَيْهِ الْحِلْمَ.

وَ كَانَ يُقَالُ ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ثَلَاثَةِ الْحَلِيمِ عِنْدَ الْغَضَبِ وَ الشُّجَاعِ عِنْدَ الْحَرْبِ وَ الصَّدِيقُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

وَ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً (٢) الظَّاهِرَةُ تَسْوِيَةُ الْخَلْقِ وَ الْبَاطِنَةُ تَصْفِيَةُ الْخُلُقِ.

الْفُضَيْلُ

لَأَنَّ يَضْحَكُنِي فَاجِرٌ حَسَنُ الْخُلُقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَضْحَكُنِي عَابِدُ سَيِّئِ الْخُلُقِ.

خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ إِلَى بَعْضِ الْبِرَارِيِّ فَاسْتَقْبَلَهُ جُنْدِيُّ فَسَأَلَهُ أَيْنَ الْعُمَرَانُ فَأَشَارَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَضَرَبَ رَأْسَهُ فَشَجَّهَ وَ أَدْمَاهُ فَلَمَّا جَاوَزَهُ قِيلَ لَهُ إِنَّ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ

---

١-١) سورة الأعراف ١٩٩.

٢-٢) سورة لقمان ٢٠.

زَاهِدٌ خُرَاسَانٌ فَرَدَّ إِلَيْهِ يَعْتَدِرُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّكَ لَمَّا ضَرَبْتَنِي سَأَلْتُ اللَّهَ لَكَ الْجَنَّةَ .

قَالَ لِمَ سَأَلْتَ ذَلِكَ قَالَ عَلِمْتُ أَنِّي أَوْجُرُّ عَلَى ضَرْبِكَ لِي فَلَمْ أَرِدْ أَنْ يَكُونَ نَصِيبي مِنْكَ الْخَيْرَ وَنَصِيْبِكَ مِنِّي الشَّرَّ .

٢٩١٩

وَ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَبَدَأْتُ بِالشَّيْخِ كَيْ لَا يَتَعَنَّى إِلَيَّ فَسَأَلْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ مَضَيْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَلَمَّا صِلَيْتُ الصُّبْحَ فِي الْمَسْجِدِ إِذَا أَنَا بِهِ خَلْفِي فِي الصَّفِّ فَقُلْتُ إِنَّمَا جِئْتُكَ أَمْسٍ لِيئلاً تَتَعَنَّى فَقَالَ ذَلِكَ فَضَلُّكَ وَ هَذَا حَقُّكَ .

٢٩٢٠

١٤- كَانَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى حَوْضٍ يَسْمَى إِبْلَهُ فَرَاخَمَهُ إِنْسَانٌ فَكَسَرَ الْحَوْضَ فَجَلَسَ أَبُو ذَرٍّ ثُمَّ اضْطَجَعَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ص إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ وَ هُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ وَ إِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ .

٢٩٢١

دَعَا إِنْسَانٌ بَعْضَ مَشَاهِيرِ الصُّوفِيَّةِ إِلَى ضِيَّافَةٍ فَلَمَّا حَضَرَ بَابَ دَارِهِ رَدَّهُ وَ اعْتَدَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ فَعَلَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَ ثَانِيَةً وَ ثَالِثَةً وَ الصُّوفِيُّ لَا يَغْضَبُ وَ لَا يَضْجُرُ فَمَدَحَهُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ وَ أَتْنِي عَلَيْهِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ إِنَّمَا تَمْدَحُنِي عَلَى خُلُقٍ تَجِدُ مِثْلَهُ فِي الْكَلْبِ إِنْ دَعَوْتَهُ حَضَرَ وَ إِنْ زَجَرْتَهُ انْتَزَجَرَ .

٢٩٢٢

مَرَّ بَعْضُهُمْ وَقَتَّ الْهَاجِرَةَ بِسِكِّهِ فَأَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ سَطْحٍ طَسْتُ رَمَادٍ فَعَضِبَ مَنْ كَانَ فِي صُحْبَتِهِ فَقَالَ لَا تَغْضَبُوا مِنِّي اسْتَحَقَّ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْهِ النَّارُ فَصُولِحَ عَلَى الرَّمَادِ لَمْ تَجْزُ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ .

٢٩٢٣

كَانَ لِبَعْضِ الْخِيَّاطِينَ جَارٌ يَدْفَعُ إِلَيْهِ ثِيَاباً فَيَخِيْطُهَا وَ يَدْفَعُ إِلَيْهِ أُجْرَتَهَا دَرَاهِمَ زُيُوفاً فَيَأْخُذُهَا فَقَامَ يَوْماً مِنْ حَانُوتِهِ وَ اسْتِخْلَفَ وَلَدَهُ فَجَاءَ الْجَارُ بِالْأَدْرَاهِمِ الرَّائِفَةِ فَدَفَعَهَا إِلَى الْوَلَدِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا فَأَبْدَلَهَا بِأَدْرَاهِمٍ جَيِّدَةٍ فَلَمَّا جَاءَ أَبُوهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الْأَدْرَاهِمَ فَقَالَ وَيْحَكَ هَلْ جَرَى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ أَمْرٌ قَالَ نَعَمْ إِنَّهُ أَحْضَرَ الْأَدْرَاهِمَ زُيُوفاً فَوَدَّتُهَا فَأَحْضَرَ هَذِهِ

ص : ٢٢٠

فَقَالَ بَشَسَ مَا صَنَعْتَ إِنَّهُ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً يُعَامِلُنِي بِالزَّائِفِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهِ وَالْقِيَهَا فِي بَيْتِ كَيْ لَا يُعْزَّ غَيْرِي بِهَا.

٢٩٢٤

وَقِيلَ الْخُلُقُ السَّيِّئُ هُوَ أَنْ يَضِيقَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ عَنْ أَنْ يَتَّسَعَ لِغَيْرِ مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ وَتُؤَثِّرُهُ كَالْمَكَانِ الضَّيِّقِ لَا يَسْعُ غَيْرَ صَاحِبِهِ.

٢٩٢٥

وَكَانَ يُقَالُ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ أَنْ تَقِفَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ غَيْرِكَ وَتَعِيبَهُ بِهِ.

٢٩٢٦

١٤- قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ عَذَابًا.

٢٩٢٧

١- دَعَا عَلِيٌّ عَ غُلَامًا لَهُ مِرَارًا وَهُوَ لَا- يُجِيبُهُ فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُ يَا غُلَامُ قَالَ بَلَى قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ الْجَوَابِ قَالَ  
أَمْنِي لِعُقُوبَتِكَ قَالَ إِذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ

و منها الكتمان

٢٩٢٨

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص اسْتَعِينُوا عَلَيَّ أُمُورِكُمْ بِالْكِتْمَانِ.

٢٩٢٩

وَ قَالَ السَّرِيُّ عَلَامَةُ الْحُبِّ الصَّبْرُ وَ الْكِتْمَانُ وَ مَنْ بَاحَ بِسِرِّنَا فَلَيْسَ مِنَّا.

و قال الشاعر كتمت حبك حتى منك تكرمه و هذا ضد ما يذهب إليه القوم من الكتمان و هو عذر لأصحاب السر و الإعلان

٢٩٣٠

وَ كَانَ يُقَالُ الْمَحَبَّةُ فَاضِحَةٌ وَ الدَّمْعُ نَمَامٌ.

و قال الشاعر لا جزى الله دمع عيني خيرا و جزى الله كل خير لسانی



فاض دمعى فليس يكتم شيئا

و وجدت اللسان ذا كتمان

٢٩٣١

يُقَالُ إِنَّ بَعْضَ الْعَارِفِينَ أَوْصَى تَلْمِيذَهُ بِكْتِمَانِ مَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ فَلَمَّا شَاهِدَ الْأَمْرَ غَلَبَ فَكَانَ يَطْلُعُ فِي بَيْتٍ فِي مَوْضِعِ خَالٍ  
فِيحِدُ نَهْجًا بِمَا يُشَاهِدُ فَتَبَتَتْ فِي تَلْعَكِ الْبَيْتِ شَجْرَهُ سَمِعَ مِنْهَا صَوْتٌ يَحْكِي كَلَامَ ذَلِكَ التَّلْمِيذِ كَمَا يَحْكِي الصَّادَا كَلَامَ الْمُتَكَلِّمِ  
فَأَسْقَطَ بِذَلِكَ مِنْ دِيْوَانِ الْأَوْلِيَاءِ.

و أنشدوا أبدا تحن إليكم الأرواح

و قال الحسين بن منصور الحلاج إني لأكتم من علمي جواهره

و منها الجود و السخاء و الإيثار قال الله تعالى وَ يُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (١) و

٢٩٣٢

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ

ص: ٢٢٢

وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ الْجَاهِلَ السَّخِيَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَابِدِ الْبَخِيلِ.

قالوا لا- فرق بين الجود و السخاء فى اصطلاح أهل العربيه إلا أن البارى سبحانه لا يوصف بالسخاء لأنه يشعر بسماع النفس عقيب التردد فى ذلك و أميا فى اصطلاح أرباب هذه الطريقه فالسخاء هو الرتبه الأولى و الجود بعده ثم الإيثار فمن أعطى البعض و أبقي البعض فهو صاحب السخاء و من أعطى الأكثر و أبقي لنفسه شيئا فهو صاحب الجود و الذى قاسى الضراء و آثر غيره بالبلغه فهو صاحب الإيثار.

٢٩٣٣

قَالَ أَسِيمَاءُ بِنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّةِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ طَلَبَهَا إِنْ كَانَ كَرِيمًا صُنْتُ عِرْضَهُ عَنِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَيْثِيًّا صُنْتُ عَنْهُ عِرْضِي.

٢٩٣٤

كَانَ مُورِقُ الْعَجَلِيِّ يَتَلَطَّفُ فِي بَرِّ إِخْوَانِهِ يَضَعُ عِنْدَهُمْ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَيَقُولُ أَمْسِكُوهَا حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْتُمْ مِنْهَا فِي حِلٍّ.

٢٩٣٥

وَ كَانَ يُقَالُ الْجُودُ إِجَابَةُ الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ.

٢٩٣٦

وَ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الْبُوشَنَجِيُّ فِي الْخَلَاءِ فَدَعَا تَلْمِيذًا لَهُ فَقَالَ انْزِعْ عَنِّي هَذَا الْقَمِيصَ وَ ادْفَعْهُ إِلَى فُلَانٍ فَقِيلَ لَهُ هَلَّا صَبَرْتَ فَقَالَ لَمْ آمَنْ عَلَى نَفْسِي أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيَّ مَا وَقَعَ لِي مِنَ التَّخَلُّقِ مَعَهُ بِالْقَمِيصِ.

٢٩٣٧

١- رُئِيَ عَلِيُّ عَ يَوْمًا بَاكِيًا فَقِيلَ لَهُ لِمَ تَبْكِي فَقَالَ لَمْ يَأْتِنِي ضَيْفٌ مُنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَخَافُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَهَانَنِي

٢٩٣٨

أَضَافَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَجُلًا- فَأَحْسَنَ قَوَاهُ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَزْتَحِلَّ لَمْ يُعِنُّهُ غُلَمَانُهُ فَسَرِيَلٌ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّهُمْ إِنَّمَا يُعِينُونَ مَنْ نَزَلَ عَلَيْنَا لَا مَنْ ارْتَحَلَ عَنَّا. و منها غيره

٢٩٣٩



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ إِنَّمَا حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ لِغَيْرَتِهِ.

ص: ٢٢٣

٢٩٤٠

فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّ اللَّهَ لَيَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَغَارُ.

قال و الغيره هي كراهيه المشاركه فيما هو حقه.

و قيل الغيره الأنفه و الحميه.

٢٩٤١

وَ حُكِيَ عَنِ السَّرِيِّ أَنَّهُ قُرِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (١) فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ أَ تَدْرُونَ مَا هَذَا الْحِجَابُ هَذَا حِجَابُ الْغَيْرَةِ وَ لَا أَحَدٌ أَعْيُرُ مِنَ اللَّهِ.

قَالُوا وَ مَعْنَى حِجَابِ الْغَيْرَةِ أَنَّهُ لَمَّا أَصَرَ الْكَافِرُونَ عَلَى الْجُحُودِ عَاقِبَهُمْ بِأَنْ لَمْ يَجْعَلْهُمْ أَهْلًا لِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ .

٢٩٤٢

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ إِنَّ أَصْحَابَ الْكَسَلِ عَنِ عِبَادَتِهِ هُمُ الَّذِينَ رَبَطَ الْحَقُّ بِأَقْدَامِهِمْ مُثْقَلَةً الْحِذْلَانَ فَاخْتَارَ لَهُمُ الْبُعْدَ وَ أَخْرَهُمُ عَنِ مَحَلِّ الْقُرْبِ وَ لِذَلِكَ تَأَخَّرُوا.

و في معناه أنشدوا فقالوا أنا صب بمن هويت و لكن ما احتيالي في سوء رأى الموالى.

و في معناه قالوا سقيم لا يعاد و مرید لا يراد.

٢٩٤٣

وَ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ إِذَا وَقَعَ شَيْءٌ فِي خِلَالِ الْمَجْلِسِ يُشَوِّشُ قُلُوبَ الْحَاضِرِينَ يَقُولُ هَذَا مِنْ غَيْرِهِ الْحَقُّ يُرِيدُ بِهِ أَلَّا يَتِمَّ مَا أَمَلْنَا مِنْ صَفَاءِ هَذَا الْوَقْتِ.

و أنشدوا في معناه همت بإتياننا حتى إذا نظرت إلى المرأه نهانا وجهها الحسن.

٢٩٤٤

وَ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ أ تَرِيدُ أَنْ تَرَاهُ قَالَ لَا قِيلَ لِمَ قَالَ أَنْزَهُ ذَلِكَ الْجَمَالَ عَنْ نَظَرِ مِثْلِي. وَ فِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا إِنِّي لِأَحْسَدُ نَظْرِي عَلَيْكَ حَتَّى أَغْضُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ



و أراك تخطر في شمائلك التي

هي فتنتي فأغار منك عليك

٢٩٤٥

وَ سُئِلَ الشَّيْطَانُ مَتَى تَسْتَرِيحُ قَالَ إِذَا لَمْ أَرَ لَهُ ذَاكِرًا.

٢٩٤٦

١٧، ١٤- وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ص عِنْدَ مُبَايَعَتِهِ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ وَ أَنَّهُ اسْتَيْقَالَهُ فَقَالَ الْاَعْرَابِيُّ عَمَرَكَ اللَّهُ فَمَنْ أَنْتَ قَالَ ص أَنَا امْرُؤٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْحَاضِرِينَ لِلْاَعْرَابِيِّ كَفَاكَ جَفَاءً أَلَا تَعْرِفَ نَبِيَّكَ فَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ يَقُولُ إِنَّمَا قَالَ امْرُؤٌ مِنْ قُرَيْشٍ غَيْرَهُ وَ نَوْعًا مِنَ الْمَأْنَفَةِ وَ إِلَّا- فَقَدْ كَانَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَرَّفَ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنَّهُ مَنْ هُوَ لِكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَجْرَى عَلَى لِسَانِ ذَلِكَ الصَّحَابِيِّ التَّعْرِيفَ لِلْاَعْرَابِيِّ بِقَوْلِهِ كَفَاكَ جَفَاءً أَلَا تَعْرِفَ نَبِيَّكَ

٢٩٤٧

وَ قَالَ أَصْحَابُ الطَّرِيقَةِ مُسَاكِنُهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ لِلْحَقِّ فِي قَلْبِكَ تُوجِبُ الْغَيْرَةَ مِنْهُ تَعَالَى.

٢٩٤٨

أَذَّنَ الشَّيْطَانُ مَرَّةً فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ قَالَ وَ حَقَّقْ لَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَنِي مَا ذَكَرْتُ مَعَكَ غَيْرَكَ.

٢٩٤٩

وَ سَمِعَ رَجُلٌ رَجُلًا يَقُولُ جَلَّ اللَّهُ فَقَالَ أَحِبُّ أَنْ تُجَلَّهُ عَنْ هَذَا.

٢٩٥٠

وَ كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ دَاخِلِ الْقَلْبِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ قُرْطِ الْأُذُنِ.

٢٩٥١

وَ قِيلَ لِأَبِي الْفُتُوحِ الشُّهْرَوَرْدِيِّ وَ قَدْ أُخِذَ بِحَبْلِ لِيُضِلَّ عَلَى خَشْبِهِ مِمَّا الَّذِي أَبَاحَهُمْ هَذَا مِنْكَ قَالَ إِنَّ هُوَ لَاءِ دَعَوْنِي إِلَى أَنْ أَجْعَلَ مُحَمَّدًا شَرِيكًا لِلَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ فَلَمْ أَفْعَلْ فَفَتَلُونِي.



و منها التفويض قال الله تعالى وَ عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَ عَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١) فاستوقف من عقل أمره عن الاقتراح عليه و أفهمه ما يرضاه به من التفويض إليه فالعقل تارك للاقتراح على العالم بالصالح.

و قال تعالى فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (٢) فبعث على تأكيد الرجاء بقوله خَيْرًا كَثِيرًا .

و لما فوض مؤمن آل فرعون أمره إلى الله فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٣) كما ورد في الكتاب العزيز .

و حقيقه التفويض هي التسليم لأحكام الحق سبحانه و إلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٤) فأس التفويض و الباعث عليه هو اعتقاد العجز عن مغالبه القدر و أنه لا يكون في الخير و الشر أعنى الرخص و الصحة و سعه الرزق و البلياء و الأمراض و العلل و ضيق الرزق إلا- ما أراد الله تعالى كونه و لا يصح التفويض ممن لم يعتقد ذلك و لم يعلمه علم اليقين.

و قد بالغ النبي ص في التصريح به و النص عليه

٢٩٥٢

بِقَوْلِهِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِيَقِلَّ هَمُّكَ مَا قَدَّرَ آتَاكَ وَ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَمْ يَأْتِكَ وَ لَوْ جَهَدَ الْخَلْقُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَ لَوْ جَهَدُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ ذَلِكَ.

ص: ٢٢٦

١-١) سورة البقره ٢١٦.

٢-٢) سورة النساء ١٩.

٣-٣) سورة غافر ٤٥.

٤-٤) سورة التوبه ٥١.

٢٩٥٣

فِي صَيْحِ حِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ فِي كَلَامٍ لَهُ فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ وَ لَكِنْ قُلْ مَا قَدَّرَ اللَّهُ وَ مَا شَاءَ فَعَلَ.

٢٩٥٤

فِي صَيْحِ حِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ أَيْضاً عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَقُلْ كَذَا إِلَى أَنْ قَالَ وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَ أَلْبَجْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَ رَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَنَجِي وَ لَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ.

٢٩٥٥

وَ كَانَ يُقَالُ مُعَارَضَهُ الْمَرِيضِ طَبِيبُهُ تَوْجِبُ تَغْذِيئِهِ.

٢٩٥٦

وَ كَانَ يُقَالُ إِنَّمَا الْكَيْسُ الْمَاهِرُ مِنْ أَمْسَى (١) فِي قَبْضِهِ الْقَاهِرِ.

٢٩٥٧

وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا كَانَتْ مُعَالِبَةُ الْقَدْرِ مُسْتَحِيلَةً فَمَا مِنْ أَعْوَانٍ تَقْوُدُهُ إِلَى الْحِيلَةِ.

٢٩٥٨

وَ كَانَ يُقَالُ إِذَا التَّبَسَّتِ الْمَصَادِرُ فَفَوَّضَ إِلَى الْقَادِرِ.

٢٩٥٩

وَ كَانَ يُقَالُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مَصِيرٌ مَغْلُوبٌ وَ مُدَبَّرٌ مَرْبُوبٌ أَنْ يَتَبَدَّلَ رَأْيُهُ فِي بَعْضِ الْخُطُوبِ وَ يَعْمَى عَلَيْهِ الصَّوَابُ الْمَطْلُوبُ.

وَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَرُبَّمَا كَانَ تَدْمِيرُهُ فِي تَدْبِيرِهِ وَ اغْتِيَالُهُ مِنْ اخْتِيَالِهِ وَ هَلَكْتُهُ مِنْ حَرَكَتِهِ.

و في ذلك أنشدوا أيا من يعول في المشكلات

---

١-١) كذا في ا، و في ب: «استسلم».



و أنشدوا فى هذا المعنى يا ربّ مغتبط و مغبوط

و منها الولايه و المعرفه و قد تقدم القول فيهما.

و منها الدعاء و المناجاه قال الله تعالى أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (١) و

٢٩٤٠

فى الحديث المرفوع الدعاء مَخَّ الْعِبَادَهُ.

و قد اختلف أرباب هذا الشأن فى الدعاء فقال قوم الدعاء مفتاح الحاجه و مستروح أصحاب الفاقات و ملجأ المضطرين و متنفس ذوى المآرب.

و قد ذمّ الله تعالى قوما فقال وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ (٢) فسروه و قالوا لا يمدونها إليه فى السؤال.

٢٩٤١

و قَالَ سَيَهْلُ بُنُ عَبِيدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَ قَالَ تَاجِرُوا فِيَّ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاسْتَمِعُوا مِنِّي فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَكُونُوا بِيَابِي فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَنْزِلُوا حَاجَاتِكُمْ بِي.

قالوا و قد أثنى الله على نفسه فقال أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ (٣) قالوا الدعاء إظهار فاقه العبوديه.

ص: ٢٢٨

١-١) لابن ظفر، سلوان المطاع ٨.

٢-٢) سورة غافر ٦٠.

٣-٣) سورة التوبه ٦٧.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الْأَعْرَجُ لَأَنَّ أُحْرَمَ الدُّعَاءَ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أُحْرَمَ الْجَابَةَ.

و قال قوم بل السكوت و الخمود تحت جريان الحكم و الرضا بما سبق من اختيار الحكيم العالم بالمصالح أولى و لهذا

قَالَ الْوَاسِطِيُّ اخْتِيَارُ مَا جَرَى لَكَ فِي الْأَزَلِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مُعَارَضِهِ الْوَقْتِ.

و

قَالَ النَّبِيُّ ص إِخْبَارًا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ شَعَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ.

وَقَالَ قَوْمٌ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ صَاحِبَ دُعَاءٍ بِلِسَانِهِ وَ صَاحِبَ رِضًا بِقَلْبِهِ لِيَأْتِيَ بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا.

وَقَالَ قَوْمٌ إِنَّ الْأَوْقَاتِ تَخْتَلِفُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يَكُونُ الدُّعَاءُ أَفْضَلَ مِنَ السُّكُوتِ وَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يَكُونُ بِالْعَكْسِ وَ إِنَّمَا يُعْرَفُ هَذَا فِي الْوَقْتِ لِأَنَّ عِلْمَ الْوَقْتِ يَحْصِيهِ فِي الْوَقْتِ فَمَاذَا وَجِدَ فِي قَلْبِهِ الْإِشَارَةَ إِلَى الدُّعَاءِ فَالدُّعَاءُ أَوْلَى وَ إِنْ وَجِدَ بِقَلْبِهِ الْإِشَارَةَ إِلَى السُّكُوتِ فَالسُّكُوتُ لَهُ أَتَمُّ وَ أَوْلَى.

و

جَاءَ فِي الْخَبْرِ أَنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْعَبْدَ فَيَسْرِعُ إِجَابَتَهُ بَعْضًا لِسَمَاعِ صَوْتِهِ وَ أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَبْدَ فَيُؤَخِّرُ إِجَابَتَهُ حُبًّا لِسَمَاعِ صَوْتِهِ.

و من أدب الدعاء حضور القلب

فَقَدْ رَوَى عَنْهُ ص أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ قَلْبٍ لَاهٍ.

و من شروط الإجابة طيب الطعمه و حل المكسب

قَالَ ص لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَطْبَ كَسْبِكَ تُسْتَجَبُ دَعْوَتُكَ.

ص: ٢٢٩

و ينبغي أن يكون الدعاء بعد المعرفه

٢٩٧٠

٦- قِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ ع مَا بَالُنَا نَدْعُو فَلَا يُسْتَجَابُ لَنَا قَالَ لِأَنَّكُمْ تَدْعُونَ مَنْ لَا تَعْرِفُونَهُ .

٢٩٧١

كَانَ صَالِحِ الْمُرِّي يَقُولُ كَثِيرًا ادْعُوا فَمَنْ أَدَمَنَ قَرَعَ الْبَابَ يُوشِكُ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ فَقَالَتْ لَهُ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ مَاذَا تَقُولُ أَعْلِقَ هَذَا الْبَابَ حَتَّى يُسْتَفْتَحَ فَقَالَ صَالِحٌ شَيْخٌ جَهْلٌ وَامْرَأَةٌ عَلِمَتْ.

٢٩٧٢

وَ قِيلَ فَائِدَةُ الدُّعَاءِ إِظْهَارُ الْفَاقِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَ إِلَّا فَالرَّبُّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

٢٩٧٣

وَ قِيلَ دُعَاءُ الْعَامَّةِ بِالْأَقْوَالِ وَ دُعَاءُ الْعَابِدِ بِالْأَفْعَالِ وَ دُعَاءُ الْعَارِفِ بِالْأَحْوَالِ.

٢٩٧٤

وَ قِيلَ خَيْرُ الدُّعَاءِ مَا هَيَّجَهُ الْأَحْزَانُ وَ الْوَجْدُ.

٢٩٧٥

وَ قِيلَ أَقْرَبُ الدُّعَاءِ إِلَى الْإِجَابَةِ دُعَاءُ الْإِضْطِرَارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ .

٢٩٧٦

قَالَ أَصْحَابُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَلْسِنَةُ الْمُتَبَدِّئِينَ أَرْبَابُ الْإِرَادَةِ مُنْطَلَقَةُ الدُّعَاءِ وَ أَلْسِنَةُ الْمُحَقِّقِينَ الْوَاصِلِينَ قَدْ خَرَسَتْ عَنْ ذَلِكَ.

٢٩٧٧

وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ يَقُولُ مَا دَعَوْتُهُ مِنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً وَ لَا أُرِيدُ أَنْ يَدْعُو لِي أَحَدٌ.

٢٩٧٨

وَ قِيلَ الدُّعَاءُ سَلْمُ الْمُنْذِينِ.

وَقَالَ مَنْ قَالَ بِنَقِيضِ هَذَا الدُّعَاءِ مُرَاسَلَهُ وَ مَا دَامَتِ المُرَاسَلَةُ بَاقِيَةً فَالْأَمْرُ جَمِيلٌ بَعْدُ.

وَقَالُوا أَلْسِنَةُ المُذْنِبِينَ دُمُوعُهُمْ.

وَ كَانَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ يَقُولُ إِذَا بَكَى المُذْنِبُ فَقَدْ رَاسَلَ اللّٰهَ.

و فى معناه أنشدوا دموع الفتى عما يجن تترجم و أنفاسه تبدين ما القلب يكتم.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الْعَارِفِينَ ادْعُ لِي فَقَالَ كَفَاكَ مِنَ الْإِجَابَةِ أَلَّا تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَاسِطَةً.

و منها التأسى قال سبحانه لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (١) أى فى مصابه و ما نيل منه فى نفسه و فى أهله يوم أحد فلا تجزعوا أن أصيب بعضكم.

و

جاء فى الحديث المرفوع لا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ وَانظُرُوا إِلَى مَنْ دُونَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدُرُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

و قالت الخنساء ترثى أباها و لولا كثرة الباكين حولي

و حقيقه التأسى تهوين المصائب و النوائب على النفس بالنظر إلى ما أصاب أمثالك و من هو أرفع محلا منك.

و قد فسر العلماء قوله تعالى وَ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٢) قال إنه لا يهون على أحد من أهل النار عذابه و إن تأسى بغيره من المعذبين لأن الله تعالى جعل لهم التأسى نافعا فى الدنيا و لم يجعله نافعا لأهل النار مبالغة فى تعذيبهم و نفيًا لراحه تصل إليهم.

ص: ٢٣١

١-١) سورة الأحزاب ٢١.

٢-٢) ديوانها ١٥٢.

و منها الفقر و هو شعار الصالحين

٢٩٨٤

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص

اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَ أَمِتْنِي مِسْكِينًا وَ أَحْشُرْنِي مَعَ الْمَسَاكِينِ .

٢٩٨٥

قَالَ لِعَلِيِّ ع إِنَّ اللَّهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينِهِ لَمْ يُزَيِّنِ الْعِيَادَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَ هَبَ لَكَ حُبَّ الْمَسَاكِينِ فَجَعَلَكَ تَرْضَى بِهِمْ أَتْبَاعًا وَ يَرْضُونَ بِكَ إِمَامًا.

و

٢٩٨٦

جَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ الْفُقَرَاءُ الصُّبْرُ جُلَسَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٢٩٨٧

وَ سُئِلَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ عَنِ الْفَقْرِ فَقَالَ أَلَّا تَسْتَغْنَى إِلَّا بِاللَّهِ .

و

٢٩٨٨

١٤- قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَمَّا نَافَعَ مِنْ فَوْقِ قَصْرِ فَاتَّحَطَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَجَالِسِهِ الْغِنَى لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَ مَجَالِسَهُ الْمَوْتَى فَقِيلَ لَهُ وَ مَا الْمَوْتَى قَالَ الْأَغْنِيَاءُ .

٢٩٨٩

قِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ قَدْ عَلَا السُّعْرُ قَالَ نَحْنُ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُجِيعَنَا إِنَّمَا يُجِيعُ أَوْلِيَاءَهُ .

٢٩٩٠

وَ قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ مَا الْفَقْرُ قَالَ خَوْفُ الْفَقْرِ .

٢٩٩١

وَقَالَ الشَّيْطَانُ أَذْنَى عَلامَاتِ الْفَقِيرِ أَنْ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَسِيرِهَا لِوَاحِدٍ فَأَنْفَقَهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثُمَّ خَطَرَ بِإِيَالِهِ لَوْ أَمْسَكَتُ مِنْهَا قُوَّةَ يَوْمٍ  
آخَرَ لَمْ يَصُدَّقْ فِي فَقْرِهِ.

٢٩٩٢

سُئِلَ ابْنُ الْجَلَاءِ عَنِ الْفَقْرِ فَسَكَتَ ثُمَّ ذَهَبَ قَلِيلًا وَعَادَ فَقَالَ كَانَتْ عِنْدِي أَرْبَعَةُ دَوَانِقَ فِضَّةٍ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ أَنْ أَتَكَلَّمَ فِي الْفَقْرِ  
وَهِىَ عِنْدِي فَذَهَبْتُ فَأَخْرَجْتُهَا ثُمَّ قَعَدْتُ فَتَكَلَّمْتُ فِي الْفَقْرِ.

٢٩٩٣

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ السَّدِّاقُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ص مَنْ تَوَاضَعَ لِغِنَى ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ إِنْ الْمَرْءَ بِقَلْبِهِ وَلسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ فَمَنْ تَوَاضَعَ لِغِنَى  
بِلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ فَإِنْ تَوَاضَعَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ ذَهَبَ دِينُهُ كُلُّهُ.

ص: ٢٣٢



و منها الأدب قالوا فى تفسير قوله تعالى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١) حفظ أدب الحضرة.

٢٩٩٤

١٤- قِيلَ إِنَّهُ عَ لَمْ يَمُدَّ نَظْرَهُ فَوْقَ الْمَقَامِ الَّذِى أُوصِلَ إِلَيْهِ لَيْلَةً شَاهَدَ السُّدْرَةَ وَ هِىَ أَفْصَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَهَى إِلَيْهِ الْبَشَرِيُّونَ .

و

٢٩٩٥

فى الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَدْبِنِى رَبِّى فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِى .

٢٩٩٦

وَ قِيلَ إِنَّ الْجُنَيْدَ لَمْ يَمُدَّ رِجْلَهُ فِى الْخَلْوَةِ عِشْرِينَ سَنَةً وَ كَانَ يَقُولُ الْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ أَوْلَى مِنَ الْأَدَبِ مَعَ الْخَلْقِ .

٢٩٩٧

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ مَنْ صَاحَبَ الْمُلُوكَ بَغَيْرِ أَدَبٍ أَسْلَمَهُ الْجَهْلُ إِلَى الْقَتْلِ .

و

٢٩٩٨

مِنْ كَلَامِهِ عَ تَزَكَّ الْأَدَبُ يُوجِبُ الطَّرْدَ فَمَنْ أَسَاءَ الْأَدَبَ عَلَى الْبِسَاطِ رُدَّ إِلَى الْبَابِ وَ مَنْ أَسَاءَ الْأَدَبَ عَلَى الْبَابِ رُدَّ إِلَى سَاحِهِ الدَّوَابِّ .

٢٩٩٩

وَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِى الْأَدَبِ وَ عِنْدِى أَنَّ الْأَدَبَ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ .

٣٠٠٠

وَ قَالَ الثَّوْرِيُّ مَنْ لَمْ يَتَأَدَّبْ لِلْوَقْتِ فَوَقْتُهُ مَقْتٌ .

٣٠٠١

وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَهُ عَنْ أَبِي بَرٍّ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَنِى الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٢) قَالَ لَمْ يَقُلْ فَارْحَمْنِى لِأَنَّهُ حَفِظَ آدَابَ الْخُطَابِ وَ كَذَلِكَ قَالَ فِى قَوْلِ عِيسَى إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ (٣) قَالَ لَمْ يَقُلْ لَمْ أَقُلْ رِعَايَةً لِأَدَبِ

١-١) سورة النجم ١٧.

٢-٢) سورة الأنبياء ٨٣.

٣-٣) سورة المائدة ١١٦.

و منها المحبه و هى مقام جليل

٣٠٠٢

قَالُوا الْمَحَبَّةُ أَنْ تَهَبَ كُلَّكَ لِمَنْ أَحْبَبْتَ فَلَا يَبْقَى لَكَ مِنْكَ شَيْءٌ.

٣٠٠٣

قِيلَ لِبَعْضِ الْعَرَبِ مَا وَجَدْتَ مِنْ حُبِّ فُلَانَةٍ قَالَ أَرَى الْقَمَرَ عَلَى جِدَارِهَا أَحْسَنَ مِنْهُ عَلَى جُدْرَانِ النَّاسِ.

٣٠٠٤

وَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ الْمَحَبَّةُ أَنْ تَغَارَ عَلَى مَحْبُوبِكَ أَنْ يُحِبَّهُ غَيْرُكَ.

٣٠٠٥

وَ قَالَ النَّصْرَآبَادِيُّ الْمَحَبَّةُ نَوْعَانِ نَوْعٌ يُوجِبُ حَقْنَ الدَّمَاءِ وَ نَوْعٌ يُوجِبُ سَفْكَ الدَّمَاءِ.

٣٠٠٦

وَ قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذِ الْمَحَبَّةُ الْخَالِصَةُ أَلَّا تَنْقُصَ بِالْجَفَاءِ وَ لَا تَزِيدَ بِالْبِرِّ.

٣٠٠٧

وَ قِيلَ لِلنَّصِيرِآبَادِيِّ كَيْفَ حَالُكَ فِي الْمَحَبَّةِ قَالَ عَيْدُمْتُ وَ صَالَ الْمُحِبِّينَ وَ رُزِقْتُ حَسْرَاتِهِمْ فَهُوَ ذَا أَنَا أَخْتَرِقُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ الْمَحَبَّةُ مُجَانِبَةُ السُّلُوءِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

و أنشدوا و من كان فى طول الهوى ذاق سلوه و

٣٠٠٨

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَ لَمَّا سَمِعَ سَمْعُونُ هَذَا الْخَبَرَ قَالَ فَازَ الْمُحِبُّونَ بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لِأَنَّهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

و

٣٠٠٩

فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ لِأَعْيُنِ الرَّأْيَةِ غَدًّا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ .

و هذا يتجاوز حدّ الجلاله و الشرف.

٣٠١٠

وَ كَانَ يُقَالُ الْحُبُّ أَوْلُهُ حَتْلٌ وَ آخِرُهُ قَتْلٌ.

٣٠١١

قِيلَ كَتَبَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ إِلَى أَبِي يَزِيدَ سَيِّكْرَتُ مِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبْتُ مِنْ مَحَبَّتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو زَيْدٍ غَيْرُكَ شَرِبَ بُحُورَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا رَوَى بَعْدُ وَ لِسَانُهُ خَارِجٌ وَ هُوَ يَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ.

ص: ٢٣٤

و أنشد عجبت لمن يقول ذكرت حبي

٣٠١٢

وَ قِيلَ الْمَحَبَّةُ سُكْرٌ لَا يَضْحُو صَاحِبُهُ إِلَّا بِمُشَاهَدَةِ مَحْبُوبِهِ ثُمَّ السُّكْرُ الَّذِي يَحْصُلُ عِنْدَ الْمُشَاهَدَةِ لَا يُوصَفُ.

و أنشدوا فأسكر القوم دور كأس و كان سكرى من المدير.

و منها الشوق

٣٠١٣

جَاءَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْفُوعِ أَنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ - عَلِيٍّ وَ سَلْمَانَ وَ عَمَّارٍ .

الشوق مرتبه من مراتب القوم و مقام من مقاماتهم

٣٠١٤

سُئِلَ ابْنُ عَطَاءٍ الشُّوقُ أَعْلَى أَمْ الْمَحَبَّةُ فَقَالَ الْمَحَبَّةُ لِأَنَّ الشُّوقَ مِنْهَا يَتَوَلَّدُ.

و

٣٠١٥

١٤- مِنَ الْمَادِّعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَأْتُورَةِ الدُّعَاءُ الَّذِي كَانَ يَدْعُو بِهِ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ بِالْغَيْبِ وَ قُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَ تَوَفَّيْ مَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَ الْغَضَبِ وَ أَسْأَلُكَ الْقَضِيْدَ فِي الْغِنَى وَ الْفَقْرِ وَ أَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَبِيدُ وَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَ أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعِيدَ الْقَضَاءِ وَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعِيدَ الْمَيُوتِ وَ أَسْأَلُكَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ وَ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرِّهِ اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِرَبِّنَا الْإِيْمَانَ وَ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ .

٣٠١٦

قَالُوا الشُّوقُ احْتِيَاجُ الْقَلْبِ إِلَى لِقَاءِ الْمَحْبُوبِ وَ عَلَى قَدْرِ الْمَحَبَّةِ يَكُونُ الشُّوقُ وَ عَلَامَةُ الشُّوقِ حُبُّ الْمَوْتِ.

ص: ٢٣٥

و هذا هو السر في قوله تعالى فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) أى أن من كان صاحب محبه يتمنى لقاء محبوبه فمن لا يتمنى ذلك لا يكون صادق المحبه.

قيل لبعض الصوفيه هل تشتاق إليه فقال إنما الشوق إلى غائب و هو حاضر لا يغيب.

و قالوا في قوله تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ (٢) إنه تطيب لقلوب المشتاقين.

و

٣٠١٧

يُقَالُ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي بَعْضِ كُتُبِ الثُّبُوتِ الْقَدِيمَةِ شَوْقُنَاكُمْ فَلَمْ تَشْتَاقُوا وَ زَمَرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا وَ خَوْفُنَاكُمْ فَلَمْ تَرْهَبُوا وَ نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَحْزَنُوا.

و

٣٠١٨

قِيلَ إِنَّ شُعَيْبًا بَكَى حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصِيرَهُ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصِيرَهُ ثُمَّ كَذَلِكَ ثَلَاثًا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ كَانَ هَذَا الْبُكَاءُ شَوْقًا إِلَى الْجَنَّةِ فَقَدْ أَبْحَثْنَا لَكَ وَ إِنْ كَانَ خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَقَدْ أَجْرَتِكَ مِنْهَا فَقَالَ وَ حَقِّكَ لَا هَيْدَا وَ لَا هَيْدَا وَ لَكِنْ شَوْقًا إِلَيْكَ فَقَالَ لَهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ أَخْدَمْتُكَ نَبِيًّا وَ كَلِمِي عَشْرَ سِنِينَ.

و منها الزهد و رفض الدنيا قال سبحانه وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا (٣) و

٣٠١٩

حِيَاءٌ فِي الْخَبْرِ أَنَّ يُوسُفَ كَانَ يَجُوعُ فِي سِنِي الْحَيْدِ فَقِيلَ لَهُ أَ تَجُوعُ وَ أَنْتَ عَلَىٰ خَزَائِنِ مِصْرَ فَقَالَ أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسِيَ الْجِيَاعَ.

و كذلك

٣٠٢٠

١- قَالَ عَلِيُّ عَ وَ قَدْ قِيلَ لَهُ أَ هَذَا لِباسِكَ وَ هَذَا مَا كُؤَلِكَ وَ أَنْتَ أَمِيرُ

ص: ٢٣٦

٢-٢) سورہ العنکبوت ٥.

٣-٣) سورہ طہ ١٣١.

الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيَّ أُمَّةَ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَضَعْفِهِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعُ (١) بِالْفَقِيرِ فَقَرَهُ .

٣٠٢١

وَمَنْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَفْسَهُ عَامَ الرَّمَادَةِ الدَّسَمِ وَقَالَ لَا أَكُلُهُ حَتَّى يُصِيبَهُ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا.

٣٠٢٢

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ تَنَعُّمًا فَبِيلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ قُومَتْ ثِيَابُهُ حِينَئِذٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقُومَتْ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ.

واعلم أن بعض هذه المراتب و المقامات التي ذكرناها للقوم قد يكون متداخلا في الظاهر و له في الباطن عندهم فرق يعرفه من يأنس بكتبهم و قد أتينا في تقسيم مراتبهم و تفصيل مقاماتهم في هذا الفصل بما فيه كفايه

ص: ٢٣٧

---

(١-١) يتبع به فقره: أى يغلبه و يحمله على الشر.



لَا أُيْهِا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (١) أَذْحَضُ مَسِيئُولٍ حُجَّةً وَ أَقْطَعُ مُعْتَرِّ مَعِيذَرَهُ لَقَدْ أَبْرَحَ جِهَالَهُ بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَزَّأكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ وَ مَا أَنْسَكَ بِهَلَكِهِ نَفْسِكَ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ [نَوْمِكَ]

يَقْطَعُهُ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرَبِّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ وَ جَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِحِكَ وَ عَزَّكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَ هِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَ كَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمِهِ وَ قَدْ تَوَرَّطَتْ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَى مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمِهِ وَ مِنْ كَرَى الْعُفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِقَطْطِهِ وَ كُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً وَ بِذِكْرِهِ أَنْسَأْ وَ تَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَ يَتَعَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَ أَنْتَ مُتَوَلِّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ

ص: ٢٣٨

فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَ تَوَاضَعَتْ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَ فِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ يَمْنَعِكَ فَضْلَهُ وَ لَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمِهِ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئِهِ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّتِهِ يَصْرِفُهَا عَنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ وَ ائِمَّ اللَّهُ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفَقِينَ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازِينَ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِدَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَ مَسَاوِيِّ الْأَعْمَالِ وَ حَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَ لَكِنْ بِهَا اغْتَرَزْتَ وَ لَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتِ وَ آذَنْتُكَ عَلَىٰ سِوَاءٍ وَ لَهَايَ بِمَا تَعُدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَ [النَّقِصِ]

النَّقِصِ فِي قُوَّتِكَ أَصِيدُكَ وَ أَوْفَىٰ مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ وَ لَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَ صَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ وَ لَكِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَ بَلَاحِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلِّهِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَ الشَّحِيحِ بِكَ وَ لَنِعْمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا وَ مَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا وَ إِنَّ السَّعِيدَاءَ بِالدُّنْيَا عَدَاً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ إِذَا رَجَعَتِ الرَّاجِفَةُ وَ حَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ وَ لِحَقِّ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَ بِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبْدَتُهُ وَ بِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ [يَجْرِ]

يُجْرَىٰ فِي عَدْلِهِ وَ قِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ حَرْقُ بَصْرِ فِي الْهَوَاءِ وَ لَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ فَكَمْ حُجَّهِ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضُهُ وَ عِلَاقِ عُدْرٍ مُنْقَطِعُهُ فَتَحَرَّرَ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُدْرُكَ وَ تَتَّبَعَتْ بِهِ حُجَّتُكَ وَ خُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَىٰ لَهُ وَ تَيْسَّرْ لِسَافِرِكَ وَ شَمِّ بَرَقِ النَّجَاهِ وَ ارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ .

لقائل أن يقول لو قال ما غرك بربك العزيز أو المنتقم أو نحو ذلك لكان أولى لأن للإنسان المعاتب أن يقول غرني كرمك الذي وصفت به نفسك.

و جواب هذا أن يقال إن مجموع الصفات صار كشيء واحد و هو الكريم الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ و المعنى ما غرك برب هذه صفته و هذا شأنه و هو قادر على أن يجعلك في أى صورته شاء فما الذى يؤمنك من أن يمسحك في صورته القردة و الخنازير و نحوها من الحيوانات العجم و معنى الكريم هاهنا الفياض على المواد بالصور و من هذه صفته ينبغى أن يخاف منه تبديل الصورة .

قال ع أدحض مسئول حجه المبتدأ محذوف و الحجه الداخضه الباطله.

و المعذره بكسر الذال العذر.

و يقال لقد أبرح فلان جهاله و أبرح لؤما و أبرح شجاعه و أتى بالبرح من ذلك أى بالشديد العظيم و يقال هذا الأمر أبرح من هذا أى أشد و قتلوه أبرح قتل و جهاله منصوب على التمييز.

و قال القطب الراوندى مفعول به قال معناه جلب جهاله إلى نفسه و ليس بصحيح و أبرح لا يتعدى هاهنا و إنما يتعدى أبرح فى موضعين أحدهما أبرحه الأمر أى أعجبه و الآخر أبرح زيد عمرا أى أكرمه و عظمه .

قوله ما جرأك بالهمزه و فلان جرى القوم أى مقدمهم.

و ما أنسك

بالتشديد و روى ما أنسك بالمد و كلاهما من أصل واحد و تأنست

ص : ٢٤٠

بفلان و استأنست بمعنى و فلان أنيسى و مؤانسى و قد أنسى كله بمعنى أى كيف لم تستوحش من الأمور التى تؤدى إلى هلكه نفسك .

و البلول مصدر بل الرجل من مرضه إذا برئ و يجوز أبل قال الشاعر إذا بل من داء به ظن أنه نجا و به الداء الذى هو قاتله (١) .

و الضاحى لحر الشمس البارز و هذا داء ممض أى مؤلم أمضى الجرح إمضا و يجوز مضى .

و روى و جلدك على مصائبك بصيغه الجمع .

و بيات نغمه بفتح الباء طروقها ليلا و هى من أفاظ القرآن العزيز (٢) .

و تورط وقع فى الورطه بتسكين الراء و هى الهلاك و أصل الورطه أرض مطمئنه لا طريق فيها و قد أورطه و ورطه توريطا أى أوقعه فيها .

و المدارج الطرق و المسالك و يجوز انتصاب مدارج هاهنا لأنها مفعول به صريح و يجوز أن ينتصب على تقدير حرف الخفض و حذفه أى فى مدارج سطواته .

قوله و تمثل أى و تصور .

و يتغمدك بفضله

أى يسترک بعفوه و سمي العفو و الصفح فضلا تسميه للنوع بالجنس .

قوله مطرف عين بفتح الراء أى زمان طرف العين و طرفها إطباق أحد

ص: ٢٤١

(١-١) الصحاح ٤:١٦٤٠ (من غير نسبة).

(٢-٢) منه قوله تعالى: وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا قَوْمًا بِأَسِنَّاتٍ يُدْأَوْنَ بِهَا فِيهَا قَاتِلُونَ . ٤ سورة الأعراف.

جفنيها على الآخر و انتصاب مطرف هاهنا على الظرفيه كقولك وردت مقدم الحاجّ أى وقت قدومهم .

قوله متوازيين فى القدره أى متساويين و روى متوازيين بالنون .

و العظام جمع عظه و هو منصوب على نزع الخافض أى كاشفتك بالعظام و روى العظام بالرفع على أنه فاعل و روى كاشفتك الغطاء .

و آذنتك

أى أعلمتك.

و عَلِيٍّ سَوَاءٍ أَى عَلَى عَدَلٍ وَ إِصْصَافٍ وَ هَذَا مِنَ الْإِلْفَاصِ الْقِرْآنِيهِ (١) .

و الراجفه الصيحه الأولى و حقت بجلالها القيامه أى بأمرها العظام و المنسك الموضع الذى تذبح فيه النساءك و هى ذبائح القربان و يجوز فتح السين و قد قرئ بهما فى قوله تعالى لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنَا مَنَسْكَاً (٢) .

فإن قلت إذا كان يلحق بكل معبود عبده فالنصارى إذن تلحق بعيسى و الغلاه من المسلمين بعلى و كذلك الملائكه فما القول فى ذلك.

قلت لا- ضرر فى التحاق هؤلاء بمعبوديههم و معنى الالتحاق أن يؤمر الأتباع فى الموقف بالتحيز إلى الجبهه التى فيها الرؤساء ثم يقال للرؤساء هؤلاء أتباعكم و عبدتكم فحينئذ يتبرءون منهم فينجو الرؤساء و تهلك الأتباع كما قال سبحانه أ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٣) أى إنما كانوا يطيعون الشياطين المضله لهم فعبادتهم فى

ص: ٢٤٢

١- ١) منه قوله تعالى: وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ . ٥٨ سورة الأنفال.

٢- ٢) سورة الحج ٦٧.

٣- ٣) سورة سبأ ٤١.

الحقيقه للشياطين لا لنا و إنهم ما أطاعونا و لو أطاعونا لكانوا مهتدين و إنما أطاعوا شياطينهم.

و لا- حاجه فى هذا الجواب إلى أن يقال ما قيل فى قوله تعالى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (١) من تخصيص العموم بالآيه الأخرى و هى قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (٢).

فإن قلت فما قولك فى اعتراض ابن الزبيرى على الآيه هل هو وارد.

قلت لا لأنه قال تعالى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ و ما لما لا يعقل فلا يرد عليه الاعتراض بالمسيح و الملائكه و الذى قاله المفسرون من تخصيص العموم بالآيه الثانيه تكلف غير محتاج إليه.

فإن قلت فما الفائدة فى أن قرن القوم بأصنامهم فى النار و أى معنى لذلك فى زياده التعذيب و السخط.

قلت لأن النظر إلى وجه العدو باب من أبواب العذاب و إنما أصاب هؤلاء ما أصابهم بسبب الأصنام التى ضلوا بها فكلما رأوها معهم زاد غمهم و حسرتهم.

و أيضا فإنهم قدروا أن يستشفعوا بها فى الآخره فإذا صادفوا الأمر على عكس ذلك لم يكن شىء أبغض إليهم منها .

قوله فلم يجر قد اختلف الرواه فى هذه اللفظه فرواها قوم فلم يجر و هو مضارع جرى يجرى تقول ما الذى جرى للقوم فيقول من سألته قدم الأمير من السفر فيكون المعنى على هذا فلم يكن و لم يتجدد فى ديوان حسابه ذلك اليوم صغير و لا حقير إلا بالحق و الإنصاف و هذا مثل قوله تعالى لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ

ص: ٢٤٣

١-١) سورة الأنبياء ٩٨.

٢-٢) سورة الأنبياء ١٠١.

الحِسابِ (١) و رواها قوم فلم يجز مضارع جاز يجوز أى لم يسغ و لم يرخص ذلك اليوم لأحد من المكلفين فى حركة من الحركات المحقرات المستصغرات إلا إذا كانت قد فعلها بحق و على هذا يجوز فعل مثلها و رواها قوم فلم يجر من جار أى عدل عن الطريق أى لم يذهب عنه سبحانه و لم يضل و لم يشذ عن حسابه شىء من أمر محقرات الأمور إلا بحقه أى إلا ما لا فائده فى إثباته و المحاسبه عليه نحو الحركات المباحه و العثيه التى لا تدخل تحت التكليف.

و قال الراوندى خرق بصر مرفوع لأنه اسم ما لم يسم فاعله و لا أعرف لهذا الكلام معنى.

و الهمس الصوت الخفى .

قوله فتح من أمرك تحريت كذا أى توخيته و قصدته و اعتمدته.

قوله و تيسر لسفرك أى هيبى أسباب السفر و لا تترك لذاك عائقا.

و الشيم النظر إلى البرق.

و رحلت مطيتى إذا شددت على ظهرها الرحل قال الأعشى رحلت سمي غدوه أجمالها غضبى عليك فما تقول بدا لها (٢).

و التشمير الجد و الانكماش فى الأمر.

و معانى الفصل ظاهره و ألفاظه الفصيحه تعطيتها و تدلّ عليها بما لو أراد المفسر أن يعبر عنه بعبارة غير عبارته ع لكان لفظه ع أولى أن يكون تفسيراً لكلام ذلك المفسر

ص: ٢٤٤

١-١ (١) سورة غافر ١٧.

٢-٢ (٢) مطلع قصيدته، ديوانه ٢٢.

وَاللَّهِ لَمَّا نَ أَبَيْتَ عَلَيَّ حَسَبَكَ السَّعِيدَانِ مُسَيِّهًا أَوْ أُجْرَى فِي الْأَغْلَالِ مُصَيِّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَغْضِ الْعِيَادِ وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَكَيْفَ أَظْلِمَ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلِيِّ قُفُولَهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولَهَا وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتَ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَيْتِي اسْتِمَاحِي مِنْ بُرْكُمْ صَاعًا وَرَأَيْتَ صَبِيًّا أَنَّهُ شَعَثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْمَالْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سَوَّدَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْعَظِيمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكَّدًا وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا فَأَضْيَعْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَاتَّبَعَ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَهُ ثُمَّ أذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبَرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيحٌ ذِي دَنْفٍ مِنَ الْمَهْمَا وَكَأَدَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسِ مَهْمَا فَقُلْتُ لَهُ تَكَلَّثَكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَيْتُنْ مِنْ حَدِيدِهِ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِلْعَبِيهِ وَتَجْرُنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعَضِّهِ أَتَيْتُنْ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتِينُ مِنْ لَظَى وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرْفَنَا بِمَلْفُوفِهِ فِي وَعَائِهَا وَمَعْجُونِهِ شَنْتُهَا كَأَنَّمَا عَجِنْتُ بِرَيْقِ حَيْهِ أَوْ فَيْئُهَا فَقُلْتُ أَمْ صَلَّةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صِدْقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلُ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَ لَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتُ هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَمْ مُحْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَيَّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلِهِ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرِهِ



مَا فَعَلْتُهُ وَ إِنْ دُنِيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقِهِ فِي فَمِ جَرَادِهِ تَقْضُمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لَدَّهِ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ  
وَ قُبْحِ الزَّلْلِ وَ بِهِ نَسْتَعِينُ .

السعدان نبت ذو شوكة يقال له حسك السعدان و حسكه السعدان و تشبه به حلمه الثدى فيقال سعدانه الشدوه و هذا النبت من  
أفضل مراعى الإبل و فى المثل مرعى و لا كالسعدان و نونه زائده لأنه ليس فى الكلام فعال غير مضاعف إلا خرعال و هو ظلع  
يلحق الناقه و قهقار و هو الحجر الصلب و قسطال و هو الغبار.

و المسهد الممنوع النوم و هو السهاد.

و الأغلال القيود و المصنفد المقيد و الحطام عروض الدنيا و متاعها شبه لزواله و سرعه فئائه بما يتحطم من العيدان و يتكسر .

ثم قال كيف أظلم الناس لأجل نفس تموت سريعا يعنى نفسه ع.

فإن قلت أليس قوله عن نفس يسرع إلى البلى قفولها يشعر بمذهب من قال بقدم الأنفس لأن القفول الرجوع و لا يقال فى  
مذهبه للمسافره قافله إلا إذا كانت راجعه.

قلت لا حاجه إلى القول بقدم الأنفس محافظه على هذه اللفظه و ذلك لأن النفس إذا كانت حادثه فقد كان أصلها العدم فإذا  
مات الإنسان عدمت نفسه فرجعت إلى العدم الأصلى و هو المعبر عنه بالبلى .

و أَمَلِقُ افْتَقَرَ قَالَ تَعَالَى وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ (١).

و استماحنى طلب منى أن أعطيه صاعا من الحنطة و الصاع أربعة أمداد و المد رطل و ثلث فمجموع ذلك خمسة أرطال و ثلث رطل و جمع الصاع أصوع و إن شئت همزت و الصواع لغه فى الصاع و يقال هو إناء يشرب فيه.

و العظمم بالكسره فى الحرفين نبت يصبغ به ما يراد اسوداده و يقال هو الوسمه و شعث الألوان أى غبر .  
و أصغيت إليه أملت سمعى نحوه.

و أتبع قياده

أطيعه و انقاد له .

و أحميت الحديده فى النار فهى محماه و لا يقال حميت الحديده.

و ذى دنف أى ذى سقم مؤلم.

و من ميسمها من أثرها فى يده .

و ثكلتك الثواكل دعاء عليه و هو جمع ثاكلة و فواعل لا يجىء إلا جمع المؤنث إلا فيما شذ نحو فوارس أى ثكلتك نساؤك.

قوله أحماها إنسانها أى صاحبها و لم يقل إنسان لأنه يريد أن يقابل هذه اللفظه بقوله جبارها .

و سجرها بالتخفيف أوقدها و أحماها و السجور ما يسجر به التتور .

قوله بملفوفه فى وعائها كان أهدي له الأشعث بن قيس نوعا من الحلواء تأنق فيه و كان ع يبغض الأشعث لأن الأشعث كان يبغضه و ظن الأشعث أنه يستميله بالمهاداه لغرض دنيوى كان فى نفس الأشعث و كان أمير المؤمنين

ص: ٢٤٧

ع يفطن لذلك و يعلمه و لذلك ردّ هديه الأشعث و لو لا ذلك لقبها لأن النبي ص قبل الهديه

٣٠٢٣

١- وَ قَدْ قَبِلَ عَلِيٌّ ع هَدَايَا جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ دَعَاهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَأْتِسُ إِلَيْهِ إِلَى حُلُوءِ عَمَلِهَا يَوْمَ نَوْرُوزَ فَأَكَلَ وَ قَالَ لِمَ عَمِلْتَ هَذَا فَقَالَ لِأَنَّهُ يَوْمَ نَوْرُوزَ فَضَحِكَ وَ قَالَ نَوْرُوزًا لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ

و كان ع من لطفه الأخلاق و سجاحه الشيم على قاعده عجيبه جميله و لكنه كان ينفر عن قوم كان يعلم من حالهم الشنآن له و عنم يحاول أن يصانعه بذلك عن مال المسلمين و هيهات حتى يلين لضرس الماضغ الحجر.

و قال بملفوفه في وعائها لأنه كان طبق مغطى.

ثم قال و معجونه شنتها أى أبغضتها و نفرت عنها كأنما عجت بريق الحيه أو بقيئها و ذلك أعظم الأسباب للنفره من المأكول.

و قال الراوندى وصفها باللطافه فقال كأنها عجت بريق الحيه و هذا تفسير أبعد من الصحيح .

قوله أ صله أم زكاه أم صدقه فذلك محرم علينا أهل البيت الصله العطيّه لا يراد بها الأجر بل يراد وصله التقرب إلى الموصول و أكثر ما تفعل للذكر و الصيت و الزكاه هى ما تجب فى النصاب من المال.

و الصدقه هاهنا هى صدقه التطوع و قد تسمى الزكاه الواجبه صدقه إلا أنّها هنا هى النافله.

فإن قلت كيف قال فذلك محرم علينا أهل البيت و إنّما يحرم عليهم الزكاه الواجبه خاصّه و لا يحرم عليهم صدقه التطوع و لا قبول الصلوات قلت أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسه محمّدا و عليا و فاطمه و حسنا و حسينا

ص: ٢٤٨

ع فهؤلاء خاصه دون غيرهم من بنى هاشم محرم عليهم الصله و قبول الصدقه و أميا غيرهم من بنى هاشم فلا يحرم عليهم إلا الزكاه الواجبه خاصه.

فإن قلت كيف قلت إن هؤلاء الخمسه يحرم عليهم قبول الصلات

٣٠٢٤

٢,٣- وَقَدْ كَانَ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ ع يَقْبَلَانِ صَلَّه مَعَاوِيَه .

قلت كلا لم يقبلا صلته و معاذ الله أن يقبلاها و إنما قبلا منه ما كان يدفعه إليهما من جملة حقهما من بيت المال فإن سهم ذوى القربى منصوص عليه فى الكتاب العزيز و لهما غير سهم ذوى القربى سهم آخر للإسلام من الغنائم.

قوله هبلك الهبول أى ثكلتك أمك و الهبول التى لها عاده بثكل الولد.

فإن قلت ما الفرق بين مختبط و ذى جنه و يهجر .

قلت المختبط المصروع من غلبه الأخلاط السوداءيه أو غيرها عليه و ذو الجنه من به مس من الشيطان و الذى يهجر هو الذى يهذى فى مرض ليس بصرع كالمحموم و المبرسم و نحوهما .

و جلب الشعيره بضم الجيم قشرها و الجلب و الجلبه أيضا جليده تعلقو الجرح عند البرء يقال منه جلب الجرح يجلب و يجلب و أجلب الجرح أيضا و يقال للجليده التى تجعل على القتب جلبه أيضا.

و تقضمها بفتح الضاد و الماضى قضم بالكسر

ص: ٢٤٩

و عقيل هو عقيل بن أبي طالب ع بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أخو أمير المؤمنين ع لأمه و أبيه و كان بنو أبي طالب أربعة طالب و هو أسن من عقيل بعشر سنين و عقيل و هو أسن من جعفر بعشر سنين و جعفر و هو أسن من علي بعشر سنين و علي و هو أصغرهم سنا و أعظمهم قدرا بل و أعظم الناس بعد ابن عمه قدرا.

٣٠٢٥

١٤،١- وَ كَانَ أَبُو طَالِبٍ يُحِبُّ عَقِيلًا أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِ سَائِرَ بَيْنِهِ فَلِذَلِكَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ص وَ لِلْعَبَّاسِ حِينَ أَتِيَاهُ لِيُقْتَسِمَا بَيْنَهُمَا بَيْنَهُمَا عَامَ الْمَحَلِّ فَيُخَفِّفَا عَنْهُ ثِقَلَهُمْ دَعُوا لِي عَقِيلًا وَ خُذُوا مِنْ شَيْئِمْ فَأَخَذَ الْعَبَّاسُ جَعْفَرًا وَ أَخَذَ مُحَمَّدٌ ص عَلِيًّا ع .

و كان عقيل يكنى أبا يزيد

٣٠٢٦

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص يَا أَبَا يَزِيدَ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبِّي حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي وَ حُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ.

٣٠٢٧

١- أُخْرِجَ عَقِيلٌ إِلَى بَدْرٍ مُكْرَهًا كَمَا أُخْرِجَ الْعَبَّاسُ فَأَسْرَ وَ فُدِيَ وَ عَادَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ أَقْبَلَ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا قَبْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَ شَهِدَ غَزْوَةَ مَوْتَهُ مَعَ أَخِيهِ جَعْفَرٍ ع وَ تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَ عُمُرُهُ سِتُّ وَ تِسْعُونَ سَنَةً.

وَ لَمَهُ دَارٌ بِالْمَدِينَةِ مَعْرُوفَةٌ وَ خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ أَخِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع شَيْئًا مِنْ حُرُوبِهِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ وَ عَرَّضَ نَفْسَهُ وَ وُلْدَهُ عَلَيْهِ فَأَعْفَاهُ وَ لَمْ يُكَلِّفْهُ حُضُورَ الْحَرْبِ.

وَ كَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ وَ أَعْلَمَهُمْ بِأَيَّامِهَا وَ كَانَ مُبْغِضًا إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُ كَانَ يَعُدُّ مَسَاوِيَهُمْ

ص: ٢٥٠

وَكَانَتْ لَهُ طِنْفِسُهُ تَطْرُحُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَيَصَلِّي عَلَيْهَا وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي عِلْمِ النَّسَبِ وَ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَ كَانَ حِينئِذٍ قَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ وَ كَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ جَوَابًا وَ أَشَدَّهُمْ عَارِضَةً.

كَانَ يُقَالُ إِنَّ فِي قُرَيْشٍ أَرْبَعَةً يُتَخَاكَمُ إِلَيْهِمْ فِي عِلْمِ النَّسَبِ وَ أَيَّامِ قُرَيْشٍ وَ يُرْجَعُ إِلَى قَوْلِهِمْ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ مَحْرَمُهُ بْنُ نَوْفَلِ الزُّهْرِيُّ وَ أَبُو الْجَهْمِ بْنُ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيُّ وَ حُوَيْطُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الْعَامِرِيُّ

و اختلف الناس في عقيل هل التحق بمعاويه و أمير المؤمنين حي فقال قوم نعم

٣٠٢٨

١- وَ رَوَوْا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ يَوْمًا وَ عَقِيلٌ عِنْدَهُ هَذَا أَبُو زَيْدٍ لَوْ لَا عِلْمُهُ أَنِّي خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَخِيهِ لَمَّا أَقَامَ عِنْدَنَا وَ تَرَكَهُ فَقَالَ عَقِيلُ أَخِي خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَ أَنْتَ خَيْرٌ لِي فِي دُنْيَايَ وَ قَدْ آثَرْتُ دُنْيَايَ أَسْأَلُ اللَّهَ خَاتِمَةَ خَيْرٍ

و قال قوم إنه لم يعد إلى معاويه إلا بعد وفاه أمير المؤمنين ع و استدلوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه إليه في آخر خلافته و الجواب الذي أجابه ع و قد ذكرناه فيما تقدم و سيأتي ذكره أيضا في باب كتبه ع و هذا القول هو الأظهر عندي

٣٠٢٩

٣- وَ رَوَى الْإِمْدَائِيُّ قَالَ قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ مِنْ حَاجَةٍ فَأَقْضِي بِهَا لَكَ قَالَ نَعَمْ جَارِيَةٌ عُرِضَتْ عَلَيَّ وَ أَبِي أَصِيحَابُهَا أَنْ يَبِيعُوهَا إِلَّا بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا فَأَحَبَّ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَمَازِحَهُ فَقَالَ وَ مَا تَصْنَعُ بِجَارِيَةِ قِيَمَتِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا وَ أَنْتَ أَعْمَى تَجْتَرِي بِجَارِيَةِ قِيَمَتِهَا خَمْسُونَ دِرْهَمًا قَالَ أَرْجُو أَنْ أَطَاهِرًا فَتَلِدُ لِي غُلَامًا إِذَا أَعْضَبْتَهُ يَضْرِبُ عُنُقَكَ بِالسَّيْفِ فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ وَ قَالَ مَا زِحْنَاكَ يَا أَبَا يَزِيدَ وَ أَمْرٌ فَابْتِيعَ لَهُ الْجَارِيَةَ

ص: ٢٥١

الَّتِي أَوْلَدَ مِنْهَا مُسْلِمًا فَلَمَّا أَتَتْ عَلَى مُسْلِمٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَ قَدْ مَاتَ عَقِيلٌ أَبُوهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِي أَرْضًا بِمَكَانٍ  
كَذَا مِنَ الْمَدِينَةِ وَ إِنِّي أُعْطِيتُ بِهَا مِائَةَ أَلْفٍ وَ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُبِيعَكَ إِيَّاهَا فَادْفَعْ إِلَيَّ ثَمَنَهَا فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ بِقَبْضِ الْأَرْضِ وَ دَفَعَ الثَّمَنَ  
إِلَيْهِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحُسَيْنِ ع فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّكَ غَرَّرْتَ غُلَامًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَابْتَعْتَ مِنْهُ أَرْضًا لَا يَمْلِكُهَا فَاقْبِضْ مِنَ الْغُلَامِ  
مَا دَفَعْتَهُ إِلَيْهِ وَ ارْزُدْ إِلَيْنَا أَرْضَنَا.

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ إِلَى مُسْلِمٍ فَأَخْبَرَهُ ذَلِكَ وَ أَقْرَأَهُ كِتَابَ الْحُسَيْنِ ع وَ قَالَ ارْزُدْ عَلَيْنَا مَالِنَا وَ خُذْ أَرْضِيكَ فَإِنَّكَ بَعْتَ مَا لَا تَمْلِكُ فَقَالَ  
مُسْلِمٌ أَمَّا دُونَ أَنْ أُضْرَبَ رَأْسِيكَ بِالسَّيْفِ فَلَا فَاسْتَلْقَى مُعَاوِيَةَ ضَاحِكًا يَضْرِبُ بِرِجْلَيْهِ فَقَالَ يَا بَنِي هَذَا وَ اللَّهُ كَلَامٌ قَالَهُ لِي أَبُوكَ  
حِينَ ابْتَعْتَ لَهُ أُمَّكَ.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ إِنِّي قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكُمْ الْأَرْضَ وَ سَوَّغْتَ مُسْلِمًا مَا أَخَذَ فَقَالَ الْحُسَيْنُ ع أَبَيْتُمْ يَا آلَ أَبِي سُفْيَانَ إِلَّا كَرَمًا

٣٠٣٠

وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَقِيلٍ يَا أَبَا يَزِيدَ أَيْنَ يَكُونُ عَمَّكَ أَبُو لَهَبٍ الْيَوْمَ قَالَ إِذَا دَخَلْتَ جَهَنَّمَ فَاطْلُبْهُ تَجِدُهُ مُضَاجِعًا لِعَمَّتِكَ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ  
حَرْبِ بْنِ أُمِّيَّةَ .

٣٠٣١

وَ قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ ابْنَةُ عَثْبَةَ بِنْتُ رَبِيعَةَ يَا بَنِي هَاشِمٍ لَا يُحِبُّكُمْ قَلْبِي أَبَدًا أَيْنَ عَمِّي أَيْنَ أَخِي كَأَنَّ أَعْنَاقَهُمْ أَبَارِيقُ الْفِضَّةِ تَرَى أَنَا فِيهِمْ  
الْمَاءَ قَبْلَ شِفَاهِهِمْ قَالَ إِذَا دَخَلْتَ جَهَنَّمَ فَخِذِي عَلَى شِمَالِكَ.

ص: ٢٥٢

١٤,١,٣- سَأَلَ مُعَاوِيَةَ عَقِيلًا عَنْ قِصَّةِ الْحَدِيدَةِ الْمُحَمَّاهِ الْمَذْكُورَةِ فَبَكَى وَقَالَ أَنَا أَحَدُتُكَ يَا مُعَاوِيَةَ عَنْهُ ثُمَّ أَحَدُتُكَ عَمَّا سَأَلْتُ نَزَلَ بِالْحُسَيْنِ ابْنِهِ ضَيْفٌ فَاسْتَسَلَفَ دِرْهَمًا اشْتَرَى بِهِ خُبْزًا وَاحْتِيَاجَ إِلَى الْإِدَامِ فَطَلَبَ مِنْ قَتَبْرِ خَادِمُهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ زَقًّا مِنْ زُقَاقٍ عَسَلَ جَاءَتْهُمْ مِنَ الْيَمَنِ فَأَخَذَ مِنْهُ رَطْلًا فَلَمَّا طَلَبَهَا عَ لِيَقْسِمَهَا قَالَ يَا قَتَبْرُ أَطُنُّ أَنَّهُ حَدَّثَ بِهَذَا الزُّقِّ حَدَّثَ فَأَخْبَرَهُ فَغَضِبَ عَ وَقَالَ عَلِيُّ بِحُسَيْنٍ فَرَفَعَ عَلَيْهِ الدَّرَّةَ فَقَالَ بِحَقِّ عَمِّي جَعْفَرٍ وَكَانَ إِذَا سُئِلَ بِحَقِّ جَعْفَرٍ سَكَنَ فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ أَنْ أَخَذْتَ مِنْهُ قَبْلَ الْقِسْمِ قَالَ إِنَّ لَنَا فِيهِ حَقًّا فَإِذَا أُعْطِينَاهُ رَدَدْنَاهُ قَالَ فِدَاكَ أَبُوكَ وَإِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ حَقٌّ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَتَنَفَّعَ بِحَقِّكَ قَبْلَ أَنْ يَتَنَفَّعَ الْمُسْلِمُونَ بِحُقُوقِهِمْ أَمَّا لَوْ لَا- أَنَّى رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَ يُعْبَلُ نَيْتِيكَ لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ثُمَّ دَفَعَ إِلَى قَتَبْرِ دِرْهَمًا كَانَ مَصِيرُورًا فِي رِدَائِهِ وَقَالَ اشْتَرِ بِهِ خَيْرَ عَسَلَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ عَقِيلٌ وَاللَّهِ لَكَأَنَّي أَنْظُرُ إِلَى يَدِي عَلِيٍّ وَهِيَ عَلَى فَمِ الزُّقِّ وَقَتَبْرُ يَقْلِبُ الْعَسَلَ فِيهِ ثُمَّ شَدَّهُ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحُسَيْنٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ .

فَقَالَ مُعَاوِيَةَ ذَكَرْتَ مَنْ لَا يُنْكِرُ فَضْلِهِ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَسَنِ فَلَقَدْ سَبَقَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَأَعْجَزُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ هَلُمَّ حَدِيثِ الْحَدِيدَةِ.

قَالَ نَعَمْ أَقْوِيَتْ وَأَصِيَابَتْ مَخْمَصِهِ شَدِيدَةً فَسَأَلْتُهُ فَلَمْ تَنْدِ صِفَاتِهِ فَجَمَعْتُ صَبِيَانِي وَجِئْتُ بِهِمْ وَالْبُؤْسَ وَالضَّرَّ ظَاهِرَانِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ابْنَتِي عَشِيَّةَ لَأَذْفَعُ إِلَيْكَ شَيْئًا فَجِئْتُ يَقُودُنِي أَحَدٌ وَوَلَدِي فَأَمَرَهُ بِالتَّحِيُّ ثُمَّ قَالَ أَلَا فَدُونَكَ فَأَهْوَيْتُ حَرِيصًا قَدْ غَلَبَنِي الْجَشِيْعُ أَظْنُّهَا صِرَّةً فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى حَدِيدَةٍ تَلْتَهَبُ نَارًا فَلَمَّا قَبِضْتُهَا نَبَذْتُهَا وَخَرْتُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ تَحْتَ يَدِ جَارِرِهِ فَقَالَ لِي تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ هَذَا مِنْ حَدِيثِهِ



أَوْقَدَتْ لَهَا نَارُ الدُّنْيَا فَكَيْفَ بِكَ وَبِي غَدًا إِنَّ سَلَكَنَا فِي سَلَاسِلُ جَهَنَّمَ ثُمَّ قَرَأَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (١).

ثُمَّ قَالَ لَيْسَ لَكَ عِنْدِي فَوْقَ حَقِّكَ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ لَكَ إِلَّا مَا تَرَى فَانصَرَفَ إِلَى أَهْلِكَ.

فَجَعَلَ مُعَاوِيَةَ يَتَعَجَّبُ وَيَقُولُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ عَقِمَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَهُ

ص: ٢٥٤

---

١ - ١) سورة غافر ٧١.

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ وَ أَسْتَعِظُ شَرَّارَ خَلْقِكَ وَ أُبْتَلِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَ أُفْتِنَ بِدَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَ الْمَنْعِ إِنَّكَ عَلِيٌّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

صن وجهي باليسار

أى استره بأن ترزقنى يسارا و ثروه أستغنى بهما عن مسأله الناس .

و لا تبذل جاهى بالإقتار

أى لا تسقط مروءتى و حرمتى بين الناس بالفقر الذى أحتاج معه إلى تكفف الناس .

٣٠٣٣

وَ رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْجَوَادِ رَقَّتْ حِيَالُهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ لِأَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ جَفَاهُ فَرَأَى يَوْمًا إِلَى الْجُمُعَةِ فَدَعَا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَوَّدْتَنِي عَادَهُ جَرِيئُ عَلَيْهَا فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ قَدْ انْقَضَى فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ فَلَمْ يَلْحَقْ الْجُمُعَةَ الْآخَرَى .

و

٣٠٣٤

٢- كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع يَدْعُو فَيَقُولُ اللَّهُمَّ وَسَّعْ عَلَيَّ فَإِنَّهُ لَا يَسْعُنِي إِلَّا الْكَثِيرُ .

ص: ٢٥٥

قوله فأسترزق منصوب لأنَّه جواب الدعاء كقولهم ارزقنى بعيرا فأحج عليه بين ع كيفية تبذل جاهه بالإقتار و فسرهُ فقال بأن أطلب الرزق ممن يطلب منك الرزق.

و أستعطف الأشرار من الناس أى أطلب عاطفتهم و إفضالهم و يلزم من ذلك أمران محذوران أحدهما أن أبتلى بحمد المعطى. و الآخر أن أفتن بدم المانع .

قوله ع و أنت من وراء ذلك كله مثل يقال للمحيط بالأمر القاهر له القادر عليه كما نقول للملك العظيم هو من وراء وزرائه و كتابه أى مستعد متهيئ لتبعضهم و تعقبهم و اعتبار حر كاتهم لإحاطته بها و إشرافه عليها.

و ولى مرفوع بأنَّه خبر المبتدأ و يكون خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون ولى هو الخبر و يكون من وراء ذلك جملة مركبه من جار و مجرور منصوبه الموضع لأنَّه حال

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْفُوفَةٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لَا يَسِيلُمُ نَزَالُهَا أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَ تَارَاتُ مُتَصَرِّفُهُ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَ الْأَمَانُ مِنْهَا (١) مَعْدُومٌ وَ إِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا وَ تُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَ أَعَمَرَ دِيَاراً وَ أَبْعَدَ آثَاراً أَصِيبَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَ رِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً وَ أَجْسَادُهُمْ بِأَلْيَةٍ وَ دِيَارُهُمْ نَحْوِ أَلْيَةٍ وَ آثَارُهُمْ عَافِيَةٌ فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمَشِيدَةِ وَ النَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ الصُّخُورِ وَ الْأَحْجَارِ [الْمُسْنَدَةَ]

الْمُسْنَدَةَ وَ الْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةِ الَّتِي قَدْ بِنِي عَلَى الْخَرَابِ فِنَاوُهَا وَ شِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاوُهَا فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ وَ سَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلِّهِ مُوَحِّشِينَ وَ أَهْلِ فِرَاقٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ وَ لَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَ دُنُوِّ الدَّارِ وَ كَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَ قَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَهِ الْبَلَى وَ أَكَلَتْهُمْ الْجِنَادِلُ وَ الشَّرَى وَ كَمَا أَنَّ قَدْ صَرَّوْهُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ وَ ارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ وَ ضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الأُمُورُ وَ بُعِثَتْ الْقُبُورُ هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ

نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١).

بالبلاء محفوفه

قد أحاط بها من كل جانب.

و تارات جمع تاره و هى المره الواحده و متصرفه منتقله متحوله .

و مستهدفه بكسر الدال منتصبه مهياه للرمى و روى مستهدفه بفتح الدال على المفعوليه كأنها قد استهدفها غيرها أى جعلها أهدافا .

و و رياحهم راكده ساكنه و آثارهم عافيه مندرسه .

و القصور المشيده العالیه و من روى المشيده بالتخفيف و كسر الشين فمعناه المعموله بالشيد و هو الجص.

و النمارق الوسائد.

و القبور الملحده

ذوات اللحد.

و روى و الأحجار المسنده بالتشديد.

قوله ع قد بنى على الخراب فناؤها أى بنيت لا لتسكن الأحياء فيها كما تبني منازل أهل الدنيا .

و الكلكل الصدر و هو هاهنا استعاره.

و الجنادل الحجاره و بعثت القبور أثرت.

و تَبَلُّوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ تخبير و تعلم جزاء أعمالها و فيه حذف مضاف و من

ص: ٢٥٨

قرأتلو بالتاء بنقطتين أى تقرأ كل نفس كتابها و ضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم ما كانوا يدعونه و يكذبون فيه من القول بالشركاء و أنهم شفعاء

### [ذكر بعض الآثار و الأشعار الواردة فى ذم الدنيا]

٣٠٣٥

و من كلام بعض البلغاء فى ذم الدنيا أما بعد فإن الدنيا قد عاتبت نفسها بما أبدت من تضرُّفها و إنبات عن مساوئها بما أظهرت عن مصارع أهلها و دلت على عوراتها بتغير حالاتها و نطقت ألسنته العبر فيها بزوالها و شهد اختلاف شئونها على فنائها و لم يبق لمزتاب فيها ريب و لا ناظر فى عواقبها شك بل عرفها جل من عرفها معرفه يقين و كشفوها أوضح تكشيف ثم اختلجهم الأهواء عن منافع العلم و دلتهم الأميال بغرور فلججت بهم فى غمرات العجز فسبحوا فى بحورها موقنين بالهلكه و رتعوا فى عراضها عارفين بالخدعه فكان يقينهم شكاً و علمهم جهلاً لا بالعلم انتفعوا و لا بما عابنوا اعتبروا فلو بهم عالمه جاهله و أيدانهم شاهده عابته حتى طرقتهم المنيه فأعجلتهم عن الأُمِّيَّه فبغتهم القيامة و أورثتهم الندامه و كذلك الهوى حلت مذاقته و سيمت عاقبته و نفى الأمل ينسى طويلاً و يأخذ و شيكاً فانتفع امرؤ بعلمه و جاهد هواه أن يضله و جانب أملة أن يعرّه و قوى يقينه على العمل و نفى عنه الشك بقطع الأمل فإن الهوى و الأمل إذا استضعفا اليقين صرعا و إذا تعاونا على ذى غفله خدعا فصريعهما لا ينهض سالماً و خديعهما لا يزال نادماً و القوى من قوى عليهما و الحازم من اخترس منهما ألسنا الله و إياكم جنه السلامه و وقانا و إياكم سوء العذاب.

ص: ٢٥٩

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا جَلَسَ لِلْقَضَاءِ قَرَأَ أَوْ أَيْتَ إِذْ مَنَّعَتْهُمُ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (١).

قَالَ مَنصُورُ بْنُ عَمَّارٍ لِأَهْلِ مَجْلِسِهِ مَا أَرَى إِسَاءَةً تَكْبَرُ عَلَى عَفْوِ اللَّهِ فَلَا تَيْئَسُ وَرُبَّمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الصَّغِيرِ فَلَا تَأْمَنُ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ بِطُولِ عَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ عُمَرَتْ مَحَالِسُ الْإِعْتِرَارِ بِهِ وَرَضِيَتْ لِنَفْسِكَ الْمُقَامَ عَلَى سَخَطِهِ وَ لَوْ كُنْتَ تُعَاقِبُ نَفْسَكَ بِقَادِرٍ تَجَاوَزَهُ عَنْ سَيِّئَاتِكَ مَا اسْتَمَرَّ بِكَ لِحَاجٍ فِيمَا نَهَيْتَ عَنْهُ وَلَا قَصْرَتْ دُونَ الْمُبَالَغَةِ فِيهِ وَ لَكِنَّكَ رَهِينُ غَفْلَتِكَ وَ أَسِيرُ حَيْرَتِكَ.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ زِيَادٍ أَبُو يَعْقُوبَ قَدِمَ عَلَيْنَا بَعَادَانُ رَاهِبٌ مِنَ الشَّامِ وَ نَزَلَ دَيْرَ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ فَذَكَرُوا حِكْمَهُ كَلَامِهِ فَحَمَلَنِي ذَلِكَ عَلَى لِقَائِهِ فَأَتَيْتُهُ وَ هُوَ يَقُولُ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا سَمَّتْ بِهِمْ هَمَمِهِمْ فَهَوُوا الْعَظِيمَ الدَّخَائِرِ فَالْتَمَسُوا مِنْ فَضْلِ سَيِّدِهِمْ تَوْفِيقًا يُبَلِّغُهُمْ سِيمًا أَلْهَمَ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَهْيَا الْمَرْتَحِلُونَ عَنْ قَرِيبٍ أَنْ تَأْخُذُوا بِبَعْضِ أَمْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ قَدْ مَلَكَتْ الْأَخْرَهُ قُلُوبِهِمْ فَلَمْ تَجِدْ الدُّنْيَا فِيهَا مُلْسًا فَالْحُزْنَ بَنَّهُمْ وَ الدَّمْعَ رَاحَتَهُمْ وَ الدُّعُوبَ وَسِيلَتَهُمْ وَ حُسْنَ الظَّنِّ قُرْبَانَهُمْ يَحْزَنُونَ بِطُولِ الْمَكْتِ فِي الدُّنْيَا إِذَا فَرِحَ أَهْلُهَا فَهُمْ فِيهَا مَسْجُونُونَ وَ إِلَى الْأَخْرَهُ مُنْطَلِقُونَ.

فَمَا سَمِعْتُ مَوْعِظَةً كَانَتْ أَنْفَعُ لِي مِنْهَا.

و من جيد شعر أبي نواس في الزهد (٢) يا بني النقص و الغير

١-١) سورة الشعراء ٢٠٧، ٢٠٥.

٢-٢) ديوانه ١٩٥.

و الشكول اللى تبائن

و من جيد شعر الرضى أبى الحسن رحمه الله فى ذكر الدنيا و قلبها بأهلها (١) و هل نحن إلا مرامى السهام

ص: ٢٤١

---

١-١) روايه الديوان: حيث لا تظهرون فى ه للهو و لا سمر.



طرائد تطردها النائبات

وقال أيضا و هي من محاسن شعره ما أقل اعتبارنا بالزمان

ص: ٢٤٢

كم محيدا عن الطريق وقد ضرح

و أيضا من هذه القصيده قد مررنا على الديار خشوعا

ص: ٢٤٣

فى رفاض من السماح حوال

و هذا شعر فصح نادر معرق فى العربيه.

ص: ٢٤٤

و من شعره الجيد أيضا في ذكر الدنيا و مصائبها (١) أ و ما رأيت وقائع الدهر

ص: ٢٦٥

---

١-١) من قصيده يرثى بها أبا الحسن عبد الله بن محمد، ديوانه لوحه ١٣٢.

إن التوقى فرط معجزه

و هذا من حر الكلام و فصيحہ و نادره و لا عجب فهذه الورقه من تلك الشجره و هذا القبس من تلك النار

ص: ٢٤٤

## اشاره

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْأَنْسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ وَ أَحْضَرُهُمْ بِالْكَفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ فَأَسِرَّارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ إِنْ أَوْحَشَتْهُمْ الْغُرْبَةُ أَنْسِيَهُمْ ذِكْرَكَ وَ إِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصِيْبَةُ لَجُّنَا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ عَلِمًا بِأَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ وَ مَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ اللَّهُمَّ إِنْ فَهِتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طَلِبَتِي فَدَلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي وَ خُذْ بَقَلْبِي إِلَى مَرَادِي فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ وَ لَا بِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَ لَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ .

أنست ضد وحشت و الإيناس ضد الإيحاش و كان القياس أن يقول إنك آنس المؤمنين لأن الماضي أفعل و إنما الأنسون جمع آنس و هو الفاعل من أنست بكذا لا من آنست فالرواية الصحيحة إذن بأوليائك أي أنت أكثرهم أنسا بأوليائك و عطفًا و تحننا عليهم.

و أحضرهم بالكفاية

أي أبلغهم إحضارا لكفاية المتوكلين عليهم و أقومهم بذلك

تشاهدهم فى سرائرهم

أى تطلع على غيبهم و البصائر العزائم نفذت بصيرته فى كذا أى حقّ عزمه.

و قلوبهم إليك ملهوفه

أى صارخه مستغيثه .

و فهت عن مسألتى بالكسر عييت و الفهه و الفهاهه العى رجل أفه و رجل فه أيضا و امرأه فههه قال الشاعر فلم تلفنى فهها و لم تلف حاجتى ملجلجه أبغى لها من يقيمها (١) .

و قد فهت يا رجل فهها أى عييت و يقال سفيه فهيه و فههه الله و خرجت لحاجه فأفهنى عنها فلان أى أنسانيهها.

و يروى أو عمهت بالهاء و الميم المكسوره و العمه التحير و التردد عمه الرجل فهو عمه و عامه و الجمع عمه و أرض عمههه لا أعلام بهها.

و النكر العجب و البدع المبتدع و منه قوله تعالى قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاً مِنَ الرُّسُلِ (٢) أى لم آت بما لم أسبق إليه .

و مثل قوله ع اللهم احملنى على عفوك و لا تحملنى على عدلك قول المروانيه للهاشميه لما قتل مروان فى خير قد اقتصصناه قديما ليسعنا عدلكم قالت الهاشميه إذن لا نبقى منكم أحدا لأنكم حاربتم عليا ع و سمتم الحسن ع و قتلتم الحسين و زيادا و ابنه و ضربتم على بن عبد الله و خنقتم إبراهيم الإمام فى جراب النوره.

قالت قد يسعنا عفوكم قالت أما هذا فنعم

ص: ٢٦٨

١-١) الصحاح ١٢٤٥ من غير نسبه.

٢-٢) سوره الأحقاف ٩.

و من الدعوات الفصيحه المستحسنه فصول من كلام أبي حيان التوحيدى نقلتها.

فمنها اللهم إني أبرأ من الثقة إلا- بك و من الأمل إلا- فيك و من التسليم إلا- لك و من التفويض إلا إليك و من التوكل إلا عليك و من الطلب إلا- منك و من الرضا إلا عنك و من الذل إلا في طاعتك و من الصبر إلا على بلائك و أسألك أن تجعل الإخلاص قرين عقيدتي و الشكر على نعمك شعاري و دثاري و النظر إلى ملكوتك دأبي و ديدني و الانقياد لك شأني و شغلي و الخوف منك أمني و إيماني و اللياذ بذكرك بهجتي و سروري.

اللهم تتابع برك و اتصل خيرك و عظم رعدك و تناهى إحسانك و صدق وعدك و بر قسمك و عمت فواضلك و تمت نوافلك- و لم تبق حاجه إلا و قد قضيتها أو تكلفت بقضائها فاختم ذلك كله بالرضا و المغفره إنك أهل ذلك و القادر عليه و الملى به .

و منها اللهم إني أسألك خفايا لطفك و فواتح توفيقك و مألوف برك و عوائد إحسانك و جاه المقدسين من ملائكتك و منزله المصطفين من رسلك و مكآثره الأولياء من خلقك و عاقبه المتقين من عبادك.

و أسألك القناعه برزقك و الرضا بحكمك و النزاهه عن محظورك و الورع فى شبهاتك و القيام بحجتك و الاعتبار بما أبديت و التسليم لما أخفيت و الإقبال على ما أمرت و الوقوف عما زجرت حتى أتخذ الحق حجه عند ما خف و ثقل و الصدق سنه فيما عسر و سهل و حتى أرى أن شعار الزهد أعز شعار و منظر الباطل أشوه منظر



فأتبخر في ملكوتك بفضفاض الرداء بالدعاء إليك و أبلغ الغايه القصوى بين خلقك بالثناء عليك .

و منها اللهم إليك أرفع عجری و بجرى و بك أستعين فى عسرى و يسرى و إياك أدعو رَغَباً وَ رَهَباً فَإِنَّكَ العالم بتسويل النفس و فتنه الشيطان و زينه الهوى و صرف الدهر و تلون الصديق و بائنه الثقه و قنوط القلب و ضعف المنه و سوء الجزع.

ففى اللهم ذلك كله و اجمع من أمرى شمله و انظم من شأنى شتيته و احرسنى عند الغنى من البطر و عند الفقر من الضجر و عند الكفايه من الغفله و عند الحاجه من الحسره و عند الراحة من الفسوله و عند الطلب من الخيبه و عند المنازله من الطغيان و عند البحث من الاعتراض عليك و عند التسليم من التهمه لك.

و أسألك أن تجعل صدرى خزانه توحيدك و لسانى مفتاح تمجيدك و جوارحى خدم طاعتك فإنه لا عزّ إلا فى الذل لك و لا- غنى إلا- فى الفقر إليك و لا أمن إلا فى الخوف منك و لا قرار إلى فى القلق نحوك و لا روح إلا فى الكرب لوجهك و لا ثقه إلا فى تهمه خلقك و لا راحه إلا فى الرضا بقسمك و لا عيش إلا فى جوار المقربين عندك .

و منها اللهم ببرهانك الصادع و بنور وجهك الساطع صل على محمد نبيك نبى الرحمه و قائد الأمه و إمام الأئمه و احرس على إيمانى بك بالتسليم لك و خفف عنى مئونه الصبر على امتحانك و واصل لى أسباب المزيد عند الشكر على نعمتك و اجعل بقيه عمرى فى غنى عن خلقك و رضا بالمقدم من رزقك.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِن آخَذْتَنَا بِذُنُوبِنَا خَسَفْتَ الْأَرْضَ بِنَا وَإِنْ جَازَيْتَنَا عَلَى ظَلَمِنَا قَطَعْتَ دَوَابِرَنَا فَإِنَّكَ قَلْتَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نَشْكُو قَسْوَةَ قُلُوبِنَا وَ غَلَّ صَدُورِنَا وَ فْتَنَةَ أَنْفُسِنَا وَ طَمُوحَ أَبْصَارِنَا وَ رَفَثَ أَلْسِنَتِنَا وَ  
سَخْفَ أَعْمَالِنَا وَ سُوءَ أَعْمَالِنَا وَ فَحْشَ لُجَاجِنَا وَ قَبِيحَ دَعْوَانَا وَ نَتْنَ أَشْرَارِنَا وَ خَبْثَ أَخْيَارِنَا وَ تَلْزِقَ ظَاهِرِنَا وَ تَمزِقَ بَاطِنِنَا.

اللَّهُمَّ فَارْحَمْنَا وَ ارْأفْنَا وَ اعْطِفْ عَلَيْنَا وَ أَحْسِنْ إِلَيْنَا وَ تَجَاوِزْ عَنَّا وَ اقْبَلِ الْمَيْسُورَ مِنَّا فَإِنَّا أَهْلُ عَقُوبَةٍ وَ أَنْتَ أَهْلُ مَغْفِرَةٍ وَ أَنْتَ  
بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَحَقُّ مِنَّا بِمَا وَسَمْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مَا اقْتَرَنَ بِكَرَمِكَ وَ أَدَى إِلَى عَفْوِكَ وَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ وَ بَعْدَهُ  
فَأَلْبَ عَيْشِنَا بِنِعْمَتِكَ وَ أَرْحَ أَرْوَاحِنَا مِنْ كَدِّ الْأَمَلِ فِي خَلْقِكَ وَ خَذَ بِأُزْمَتِنَا إِلَى بَابِكَ وَ أَلَهَ قُلُوبِنَا عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ وَ ازْرَعْ  
فِيهَا مَحَبَّةَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ وَ قَلْبِنَا عَلَى بَسَاطَةِ لَطْفِكَ وَ حَثْنَا بِالْإِحْسَانِ إِلَى كِنْفِكَ وَ رَفَهْنَا عَنِ التَّمَسُّكِ مَا عِنْدَ غَيْرِكَ وَ اغْضُضْ عِيُونَنَا  
مِنْ مَلَا حِظِهِ مَا حَجَبَ مِنْ غَيْرِكَ وَ صَلِّ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الرِّضَا عَنْكَ وَ ارْفَعْ عَنَّا مِثْوَنَةَ الْعَرَضِ عَلَيْكَ وَ خَفِّفْ عَلَيْنَا كُلَّ مَا أَوْصَلْنَا  
إِلَيْكَ وَ أَدْقِنَا حَلَاوَةَ قَرْبِكَ وَ اكشِفْ عَن سَرَائِرِنَا سَوَاتِرَ حُجُبِكَ وَ وَكُلِّ بِنَا الْحَفِظَةَ وَ ارزُقْنَا الْيَقِظَةَ حَتَّى لَا نَقْتَرِفَ سَيِّئَهُ وَ لَا  
نَفَارِقَ حَسَنَهُ إِنَّكَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ أَنْتَ بِمَا نَخَفَى وَ مَا نَعْلَنَ خَبِيرٌ بِصِيرٍ .

وَ مِنْهَا اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَ الْأَوَّلُ الدَّائِمُ وَ الْإِلَهُ الْقَدِيمُ وَ الْبَارِئُ الْمَصُورُ وَ الْخَالِقُ الْمَقْدَسُ وَ الْجَبَّارُ الرَّفِيعُ وَ الْقَهَّارُ الْمُنِيعُ وَ  
الْمَلِكُ الصَّفُوحُ وَ الْوَهَّابُ الْمُنُوحُ

ص: ٢٧١

(١ - ١) سورة الأنعام ٤٥.

و الرحمن الرؤوف و الحنان العطوف و المنان اللطيف مالِك الذوائب و النوامى و حافظ الأدانى و الأفاصى و مصرف المطيع و العاصى.

اللهم أنت الظاهر الذى لا يجحدك جاحد إلا زيلته الطمأنينه و أسلمه اليأس و أوحشه القنوط و رحلت عنه العصمه و تردد بين رجاء قد نأى عنه التوفيق و أمل قد حفت به الخيبه و طمع يحوم على أرجاء التكذيب و سر قد أطاف به الشقاء و علانيه قد أناف عليها البلاء موهون المنه منسوخ العقده مسلوب العده تشنؤه العين و تقلبه النفس عقله عقل طائر و لبه لب حائر و حكمه حكم جائر لا يروم قرارا إلا أزعج عنه و لا يستفتح بابا إلا أرتج دونه و لا يقتبس ضمرا إلا أجج عليه عشرته موصوله بالعره و حسرته مقرونه إلى حسره إن سمع زيف و إن قال حرف و إن قضى خرف و إن احتج زخرف و لو فاء إلى الحق لوجد ظله ظليلا و أصاب تحته مثنوى و مقيلا- و أنت الباطن الذى لا يرومك رائم و لا يحوم على حقيقتك حائم إلا غشيه من نور إلهيتك و عز سلطانك و عجيب قدرتك و باهر برهانك و غرائب غيوبك و خفى شأنك و مخوف سطوتك و مرجو إحسانك ما يرده خاسئا من مزحزحه عن الغايه خجلا مبهورا و يرده إلى عجزه ملتحفا بالندم مرتديا بالاستكانه راجعا إلى الصغار موقوفا مع الذله فظاهر ك يدعو إليك بلسان الاضطرار و باطنك يحير فيك لسعه قضاء الاعتبار و فعلك يدل عليك الأسماع و الأبصار و حكمتك تعجب منك الألباب و الأسرار لك السلطان و الملكه و بيدك النجاه و الهلكه فإليك المفر و معك المقر و منك صنوف الإحسان و البر أسألك بأصح سر و أكرم لفظ و أفصح لغه و أتم إخلاص و أشرف همه و أفضل نيه و أظهر عقيده و أثبت يقين أن تصد عنى

كل ما يصد عنك و تصلني بكل ما يصل بك و تحب إلى كل ما يحب إليك فإنك الأول و الثانى و المشار إليه فى جميع المعانى لا إله إلا أنت .

و منها اللهم إني أسألك جدا مقرونا بالتوفيق و علما بريئا من الجهل و عملا عريا من الرياء و قولا موشحا بالصواب و حالا دائره مع الحق و فطنه عقل مضروبه فى سلامه صدور و راحه جسم راجعه إلى روح بال و سكون نفس موصولا بثبات يقين و صحه حجه بعيده من مرض شبهه حتى تكون غايتى فى هذه الدنيا موصوله بالأمثل فالأمثل و عاقبتى عندك محموده بالأفضل فالأفضل من حياه طيبه أنت الواعد بها و نعيم دائم أنت المبلغ إليه.

اللهم لا تخيب رجاء هو منوط بك و لا تصفر كفا هي ممدوده إليك و لا تعذب عينا فتحتها بنعمتك و لا تذلل نفسا هي عزيزه بمعرفتك و لا تسلب عقلا هو مستضىء بنور هدايتك و لا تخرس لسانا عودته الثناء عليك فكما كنت أولا بالتفضل فكن آخرا بالإحسان.

الناصيه بيدك و الوجه عان لك و الخير متوقع منك و المصير على كل حال إليك.

ألبسنى فى هذه الحياه البائده ثوب العصمه و حلنى فى تلك الدار الباقيه بزينه الأمن و أفطم نفسى عن طلب العاجله الزائده و أجرنى على العاده الفاضله و لا تجعلنى ممن سها عن باطن ما لك عليه بظاهر ما لك عنده فالشقى من لم تأخذ بيده و لم تؤمنه من غده و السعيد من آوئته إلى كنف نعمتك و نقلته حميدا إلى منازل رحمتك غير مناقش فى الحساب و لا سائق له إلى العذاب فإنك على ذلك قدير .

و منها اللهم اجعل غدونا إليك مقرونا بالتوكل عليك و رواحنا عنك موصولا

بالنجاح منك و إجابتنا لك راجعه إلى التهالك فيك و ذكرنا إياك منوطا بالسكون معك و ثقتنا بك هادئه إلى التفويض إليك و لا تخلصنا من يد تستوعب الشكر و من شكر يمتري خلف المزيد و من مزيد يسبق اقتراح المقترحين و صنع يفوق ذرع الطالبين حتى نلقاك مبشرين بالرضا محكمين في المنى غير مناقشين و لا مطرودين.

اللهم أعذنا من جشع الفقير و ريبه المنافق و تجليح (١) المعاند و طيشه العجول و فتره الكسلان و حيله المستبد و فتور العقل (٢) و حيره المنخرج و حسره المحوج و فلتة الدهول و حرقه النكول (٣) و رقه الخائف و طمأنينه المغرور و غفله الغرور. و اكفنا مؤونه أخ يرصد مسكونا إليه و يمكر موثوقا به و يخيس (٤) معتمدا عليه.

و صل الكفايه بالسلوه عن هذه الدنيا و اجعل التهافتنا عليها حيننا إلى دار السلام و محل القرار و غلب إيماننا بالغيب على يقيننا بالعيان و احرسنا من أنفسنا فإنها يناير الشهوه و مفاتيح البلوى.

و أرنا من قدرتك ما يحفظ علينا هيبتك و أوضح لنا من حكمتك ما يقلبنا في ملكوتك و أسبغ علينا من نعمتك ما يكون لنا عوننا على طاعتك و أشع في صدورنا من نورك ما تتجلي به حقائق توحيدك و اجعل ديدنا ذكرك و عادتنا الشوق إليك و علمنا النصح لخلقك و اجعل غايتنا الاتصال بك و احجبنا عن قول يبرئ من رضاك و عمل يعمى صاحبه عن هداك و ألف بيننا و بين الحق و قربنا من معادن الصدق و اعصمنا من بوائق الخلق و انقلنا من مضايق الرق و اهدنا إلى فوائد العتق.

اللهم إنك بدأت بالصنع و أنت أهله فعد بالتوفيق فإنك أهله.

ص: ٢٧٤

١- ١) جلع في الأمر: زكب رأسه.

٢- ٢) ا: «الفعال».

٣- ٣) ب: «الثكول»، و ما أثبتته من ا.

٤- ٤) يخيس: يغدر.

اللَّهُمَّ إنا نتضاءل لك عند مشاهده عظمتك و نذل عليك عند تواتر برک و نذل لك عند ظهور آياتك و نلح عليك عند علمنا بجودك.

و نسألك من فضلک ما لا یرزؤک و لا ینکؤک و نتوسل إليك بتوحد لا ینتمى إليه خلق و لا یفارقة حق .

و منها اللهم عليك أتوکل و بک أستعین و فيک أوالى و بک أنتسب و منك أفرق و معک أستأنس و لك أمجد و إياک أسأل لسانا سمحا بالصدق و صدرا قد ملئ من الحق و أملا منقطعا عن الخلق و حالا مکنونها یبوی الجنه و ظاهرها یحقق المنه و عاقبه تنسى ما سلف و تتصل بما یتمنى و یتوکف.

و أسألك اللهم کبدا رجوفا خوفا و دمعا نطوفا شوقا إليك و نفسا عزوفا إذعانا لك و سرا ناقعا ببرد الإيمان بک و نهارا مشتملا على ما کسب من مرضاتک و ليلا مالئا بما أزلف لדיک.

أشکو إليك اللهم تلهفى على ما يفوتنى من الدنيا و إننى فى طاعه الهوى جاهلا بحقک ساهيا عن واجبک ناسيا ما تکرره من وعظک و إرشادک و بيانک و تنبيهک حتى كان حلاوه وعدک لم تلج أذنى و لم تباشر فؤادى و حتى کأنى مراره عتابک و لائمتک لم تهتک حجابى و لم تعرض على أوصابى.

اللَّهُمَّ إليك المفر من دار منهومها لا يشبع و حائمها لا ينقع (١) و طالبها لا یربع و واجدها لا یقنع و العیش عنک رقیق و للأمل فيک تحقیق.

اللَّهُمَّ كما ابتليت بحکمتک الخفيه التى أشکلت على العقول و حارت معها البصائر فعاف برحمتک اللطيفه التى تطاولت إليها الأعناق و تشوفت نحوها السرائر و خذ معنا بالفضل الذى إليك هو منسوب و عنک هو مطلوب و أفطم نفوسنا من رضاع الدنيا

ص: ٢٧٥

---

١- (١) الحائم: العطشان. و لا ينقع: لا یروى.

و الطف بما أنت له أهل إنك على كل شئ قدير .

اللهم قدنا بأزمه التوحيد إلى محاضر طاعتك و اخلطنا في زمرة المخلصين لذكرك و اجعل إجابتك من قبيل ما يتصل بكرم عفوك و لا تجعل خيبتنا من قبل جهلنا بقدرك و إضرابنا عن أمرك فلا سائل أحوج منا و لا مسئول أجود منك.

اللهم احجر بيننا و بين كل ما دل على غيرك ببيانك و دعا إلى سواك ببرهانك و انقلنا عن مواطن العجز مرتقيا بنا إلى شرفات العز فقد استحوذ الشيطان و خبث النفس و ساءت العاده و كثر الصادون عنك و قل الداعون إليك و ذهب المراعون لأمرك و فقد الواقفون عند حدودك و خلت ديار الحق من سكانها و بيع دينك بيع الخلق و استهزئ بناشر مجدك و أقصى المتوسل بك.

اللهم فأعد نضاره دينك و أفض بين خلقك بركات إحسانك و امدد عليهم ظل توفيقك و اقمع ذوى الاعتراض عليك و اخسف بالمقتمحين فى دقائق غيبك و اهتك أستار الهاتكين لستر دينك و القارعين أبواب سر ك القائسين بينك و بين خلقك اللهم إنى أسألك أن تخصصنى بإلهام اقتبس الحق منه و توفيق يصحبنى و أصحبه و لطف لا يغيب عنى و لا أغيب عنه حتى أقول إذا قلت لوجهك و أسكت إذا سكت بإذنك و أسأل إذا سألت بأمرك و أبين إذا أبنت بحجتك و أبعده إذا بعدت بإجلالك و أقرب إذا قربت برحمتك و أعبد إذا عبدت مخلصا لك و أموت إذا مت منتقلا إليك اللهم فلا تكلنى إلى غيرك و لا تؤيسنى من خيرك .

و منها اللهم إنا بك نعز كما إنا بغيرك نذل و إياك نرجو كما إنا من غيرك نياس و إليك نفوض كما إنا من غيرك نعرض أذنت لنا فى دعائك و أدنيتنا إلى فنائك و هياتنا لعطائك و خصصتنا بجائتك و وسمتنا بولائك و عممتنا باللائك و غمستنا فى نعمائك و ناغيتنا بألسن ملكوتك عن دفائن ما فى عالمك و لاطفتنا بظاهر قولك

و توليتنا بباطن فعلك فسمت نحوك أبصارنا و شامت بروق جودك بصائرنا فلما استقر ما بيننا و بينك أرسلت علينا سماء فضلك مدرارا و فتحت لنا منا أسماعا و أبصارا فرأينا ما طاح معه تحصيلنا و سمعنا ما فارقنا عنده تفضيلنا فلما سرنا إلى خلقك من ذلك ذروا (١) اتخذونا من أجله لعبا و هزوا فبقدرتك على بلوانا بهم أرنا بك الغنى عنهم اللهم قيض لنا فرجا من عندك و أنح لنا مخلصا إليك فإنا قد تعبنا بخلقك و عجزنا عن تقويمهم لك و نحن إلى مقاربتهم في مخالفتك أقرب منا إلى منابذتهم في موافقتك لأنه لا طاقه لنا بدهمائهم و لا صبر لنا على بلوائهم و لا حيله لنا في شفائهم فنسألك بالضرعه التامه و بالإخلاص المرفود إلا أخذت بأيدينا و أرسلت رحمتك علينا فما أقدرك على الإجابة و ما أجودك بكل مصون يا ذا الجلال و الإكرام .

و منها اللهم إنا قربنا بك فلا تنننا عنك و ظهرنا لك فلا تبطننا دونك و وجدناك بما ألقيت إلينا من غيب ملكوتك و عزفنا عن كل ما لوانا عن بابك و وثقنا بكل ما وعدتنا في كتابك و توكلنا بالسر و العلن على لطيف صنعك.

اللهم إليك نظرت العيون فعادت خاسئه عبرى و فيك تقسمت الظنون فانقلبت يائسه حسرى و فى قدرتك حارت الأبصار و فى حكمتك طاحت البصائر و فى آلائك غرقت الأرواح و على ما كان منك تقطعت الأنفاس و من أجل إعراضك التهبت الصدور و لذكر ما مضى منك هملت الدموع اللهم تولنا فيما وليتنا حتى لا نتولى عنك و أمنا مما خوفنا حتى نقر معك و أوسعنا رحمتك حتى نطمئن إلى ما وعدتنا فى كتابك و فرق بيننا و بين الغل حتى لا نعامل به خلقك و أغننا بك حتى لا نفتقر إلى عبادك فإنك إذا يسرت أمرا تيسر و مهما بلوتنا فلا تبلنا بهجرتك و لا تجرنا مراره سخطك لا قد اعترفنا بربوبيتك

ص: ٢٧٧

(١ - ١) ذروا: طرفا.



عبوديه لك فعرفنا حقيقتها بالعفو عنا و الإقبال علينا و الرفق بنا يا رحيم .

و منها اللهم إن الرغبات بك منوطه و الوسائل إليك متداركه و الحاجات ببابك مرفوعه و الثقة بك مستحصفه أى مستحكمه و الأخبار بجودك شائعه و الآمال نحوك نازعه و الأمانى وراءك منقطعه و الثناء عليك متصل و وصفك بالكرم معروف و الخلائق إلى لطفك محتاجه و الرجاء فيك قوى و الظنون بك جميله و الأعناق لعزك خاضعه و النفوس إلى مواصلتك مشتاقه و الأرواح لعظمتك مبهوره لأنك لإله العظيم و الرب الرحيم و الجواد الكريم و السميع العليم تملك العالم كله و ما بعده و ما قبله و لك فيه تصارييف القدره و خفيات الحكمه و نوافذ الإراده و لك فيه ما لا ندرية ممّا تخفيه و لا تبديه جللت عن الإجلال و عظمت عن التعظيم و قد أزف و رودنا عليك و وقوفنا بين يديك و ظننا ما قد علمت و رجاؤنا ما قد عرفت فكن عند ظننا بك و حقق رجاءنا فيك فما خالفناك جرأه عليك و لا عصيناك تقحما فى سخطك و لا اتبعنا هوانا استهزاء بأمرك و نهيك و لكن غلبت علينا جواذب الطينه التى عجتتنا بها و بذور الفطره التى أنبتنا منها فاسترخت قيودنا عن ضبط أنفسنا و عزبت ألبابنا عن تحصيل حظوظنا و لسنا ندعى حجه و لكن نسألك رأفه فبسترك السابغ الذيال و فضلك الذى يستوعب كل مقال إلاّ تمت ما سلف منك إلينا و عطفت بجودك الفياض علينا و جذبت بأضباعنا و أقررت عيوننا و حققت آمالنا إنك أهل ذلك و أنت على كل شىء قدير \*\*\*

تم الجزء الحادى عشر من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد و يليه الجزء الثانى عشر

- ١٩٦ و من كلام له عليه السلام فى أن الدنيا دار مجاز. ٣
- ١٩٧ و من كلام له عليه السلام كان ينادى به أصحابه، و فيها يذكرهم بأمر الموت. ٥
- ١٩٨ و من كلام له عليه السلام كلم به طلحه و الزبير عند ما نقما عليه عدم الرجوع إليهما فى الرأى. ٧-٨
- ١٩٩ و من كلام له عليه السلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين. ٢١
- ٢٠٠ و من كلام له عليه السلام فى بعض أيام صفين و قد رأى الحسن ابنه عليه السلام ٢٥
- ٢٠١ و من كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومه ٢٩
- ٢٠٢ و من كلام له عليه السلام بالبصره، و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى، و هو من أصحابه، يعوده. ٣٢
- ٢٠٣ و من كلام له عليه السلام و قد سأله سائل عن أحاديث البدع، و عما فى أيدي الناس من اختلاف الخبر. ٣٨-٣٩
- ٢٠٤ و من خطبه له عليه السلام فى تمجيد الله و وصف خلق الأرض. ٥١

٢٠٥ و من خطبه له عليه السلام فيمن أعرض عن النصيح، و نكص عن نصره الله ٦٠

٢٠٦ و من خطبه له عليه السلام في تمجيد الله و تعظيمه ٦٢-٦٣

٢٠٧ و من خطبه له عليه السلام في ذكر النبي عليه السلام، و أنه خير خلقه ٦٥-٦٦

٢٠٨ و من كلام له عليه السلام كان يدعو به كثيرا ٨٤

٢٠٩ و من خطبه له عليه السلام خطبها بصفين ٨٨-٩٢

٢١٠ من كلام له عليه السلام ردّ فيه على رجل من أصحابه أكثر الثناء عليه ١٠١-١٠٢

٢١١ و من كلام له عليه السلام يشكو فيه أمر قريش معه ١٠٩

٢١٢ و من كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصره لحربه عليه السلام ١٢١-١٢٢

٢١٣ و من كلام له عليه السلام لما مر بطلحه بن عبيد الله و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل ١٢٣

٢١٤ و من كلام له عليه السلام، يصف فيه أحوال تقى عارف بالله ١٢٧

٢١٥ و من كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد ١٤٢

٢١٦ و من كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: (ألهاكم التكاثر) ١٤٥-١٥٢

٢١٧ و من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: (يسبح له فيها بالغدو و الأصال رجال لا تلهيهم تجاره و لا بيع عن ذكر الله) ١٧٦-

١٧٧

٢١٨ و من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: (يا أيها الإنسان ما غرّك برّبك الكريم) ٢٣٨-٢٣٩

ص: ٢٨٠

٢١٩ و من كلام له عليه السلام فى تهويل الظلم و تبرئه منه و بيان صغر الدنيا فى نظره ٢٤٥-٢٤٥

٢٢٠ و من دعاء له عليه السلام ٢٥٥-٢٤٤

٢٢١ و من خطبه له عليه السلام فى ذمّ الدنيا و وصف سكان القبور ٢٥٦-٢٥٨

٢٢٢ و من دعائه عليه السلام أيضا ٢٤٧

ص: ٢٨١

فهرس الموضوعات (١)

من أخبار طلحه و الزبير ١٠-٢٠

ذكر بعض مقامات العارفين و الزهاد ٣٤-٣٧

ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاه محمّد عليه السلام ٤١-٤٢

ذكر بعض ما منى به آل البيت من الأذى و الاضطهاد ٤٣-٤٨

فصل فيما وضع الشيعة و البكرية من الأحاديث ٤٨-٥٠

ذكر بعض المطاعن فى النسب و كلام للجاحظ فى ذلك ٤٧-٧٢

ذكر بعض أحوال العارفين و الأولياء ٧٢-٨٠

فصل فيما ورد من الآثار فيما يصلح للملك ٩٣-٩٧

الآثار الواردة فى العدل و الإنصاف ٩٧-١٠٠

فصل فى أن جعفرًا و حمزه لو كانا حيين لبايعا عليا ١١٥-١٢٠

عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ١٢٣-١٢٤

بنو جمح ١٢٥

فصل فى مجاهده النفوس و ما ورد فى ذلك من الآثار ١٢٧-١٣٣

فصل فى الرياضه النفسيه و أقسامها ١٣٤-١٣٦

فصل فى أن الجوع يؤثر فى صفاء النفس ١٣٧

كلام للفلاسفه و الحكماء فى المكاشفات الناشئه عن الرياضه ١٣٧-١٤١

ص: ٢٨٢

بعض الأشعار و الحكايات فى وصف القبور و الموتى ١٥٦-١٥٩

إيراد أشعار و حكايات فى وصف الموت و أحوال الموتى ١٦٨-١٧٥

بيان أحوال العارفين ١٨١-٢٣٧

نبذ من أخبار عقيل بن أبى طالب ٢٥٠-٢٥٤

ذكر الآثار و الأشعار الواردة فى ذم الدنيا ٢٥٩

أدعيه فصيحجه لأبى حيان التوحيدى ٢٧١-٢٧٨

ص: ٢٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة



نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

**[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩